

التراث العربي



مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق

التراث العربي

مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب - دمشق
العدد الأول، السنة الأولى، تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٧٩

المؤسسة
عمل عتلة مسان
هذا التحدي
د. عبد الكريم الياباني
مجلة اداري هاشم
د. عدنان درويش
د. نبات حسانه
كتبه للتحدي
محمد اصفيه



ترسل المواد والدراسات الى العنوان التالي:

اتحاد الكتاب العرب، مجلة التراث العربي، دمشق، من، بـ: ٤٤٢، هاتف: ٣٣٦٧٠٠ - ٣٣٧٠٠١

تأثير الحضارة العربية في الحضارة الغربية

د. مصطفى الراقي

المجامعة اللبنانية

مكتبة لسان العرب

www.lisanarb.com

ساقها وainتعم ، بدأ عهدها المزدهر أو شبابها المفعلي ، وتكون في هذا الطور في ابان خصبها . فإذا استنفدت طاقتها المخزونة بدأت تنحدر نحو الهرم والشيخوخة ، وبدأ عطاؤها يشيخ ويتنفس ، إلى أن تنقرض .

في كل حضارة بلا شك بذرةبقاء ، هي الارث الحضاري الذي تتركه وراءها ، وهذا الارث مشاع كالهوا ، يمكن لكل امة ان تفيد منه ، كما يمكن لكل حضارة نامية ان تتفاعل معه وتجعله لبنة في بنائها .

ولعله من حسن حظ الانسانية ان يكون الامر كذلك ، لأن الحضارة المنغلقة على ذاتها لا يمكن ان تعطي الانسانية شيئاً ، فهي مبتلة بالعقل لأن جوهرها يفتقر الى بذرة البقاء .

والتفاعل بين الحضارات أمر لا مفر منه ، فهو ظهر من مظاهر عدوى التقاليد ، وانفتاح كل حضارة على التاريخ . واشد ما يكون هذا التفاعل حين تكون الحضارة الناشئة في دور الاقتباس والتلقي ، فإذا ما تجاوزته الى دور المهمض والتمثيل ،

تمهيد :
الحضارة تجسيد للنشاط العقلي عند الانسان ، وتاريخ الحضارة سجل لتطور هذا العقل ومدى فعاليته في مختلف نواحي الحياة ، من سياسية واجتماعية واقتصادية وادارية وحربية وعمرانية . ودراسة هذا التاريخ تتناول الى جانب ذلك وسائل انتاج الانسان ومستوى معيشته وفنونه الجميلة ، ومعتقداته الدينية وأساطيره وعلومه وأدابه ووسائل كفاحه المستمر مع الطبيعة من أجل البقاء .

وذلك يعني ان هذا التاريخ لم يعد كما عرفه المؤرخ الانكليزي « ادوارد فريمان » بقوله :

« انه تاريخ السياسة الماضية » بل ان التاريخ بمجمله احسن ، بحسب النظرة التطورية الحديثة ، هو بالذات تاريخ الحضارة .

والحضارة فعل نام متحرك كالكائن الحي ، تولد ثم تحبو طفلاً طرية العود ، حتى اذا أشتد

استحال ما اخذته الى دم قوي نشيط يساعدها على بدء عملية الخلق والإبداع ، هذه العملية التي تعطيها طابعها الخاص وشخصيتها المميزة ، ككائن مستقل واضح الخصائص .

والحضارة العربية واحدة من تلك الحضارات المفتوحة على التاريخ ، انها من الحضارات الشاملة التي تأثرت بها شعوب مختلفة ؛ ولعبت دورها المجيد في سير الحضارة البشرية ، وهي ، عدا عن كونها امتدادا لحضارة اليونان والرومان ، ذات شخصية متميزة ، مدت ظلها على المشرقين ، الآدنى والواسطى ، وتجاوزتها الى بعض أوروبا ، وكان لها أثراها الفعال في بirth النهضة الأوروبية الحديثة .

ولو لم يكن للحضارة العربية الا دور الوسيط الذي حمل الى الغرب أنفس ما في التراثين اليونياني والروماني ، لكتافها ذلك فخرا ، ولجنبيها تهمة الشج في العطاء ، التي يحاول بعض المتجمين على التاريخ الصاقها بها .

قال غوستاف لوبيون : « لقد انشأ العرب بسرعة ، حضارة جديدة ، كثيرة الاختلاف عن الحضارات التي ظهرت قبلها ، وتمكنوا بحسن سياساتهم من حمل أمم كثيرة على انتقال دينهم ولغتهم وثقافتهم ، ولم يشذ عن ذلك اقدم الشعوب كالمصريين والهنود الذين رضوا أيضا بمعتقدات العرب وعاداتهم وفن عمارتهم » ..

وقال : « ان الامم التي غابت عن التاريخ لم تترك غير اطلال وحضارات اديانها ولغاتها وفنونها ذكريات ، اما العرب فما زالت عناصر حضارتهم باقية حية » .

ويقول صاحب كتاب « اعتذار الى محمد والاسلام » : يجب ان نعترف بان علوم الطبيعة والفلك والفلسفة والرياضيات التي انعشت اوروبا منذ القرن العاصي مقتبسة عن القرآن .

ولعل هذا الباحث لم يخطئ الصواب اذا علمنا ان الله قد افتح هذا القرآن الكريم الذي هو كتاب العرب الاول والذي انزله على خاتم انبيائه ورسله محمد ص بكلمة « اقرأ » وان اول قسم اقسمه الله كان « بالقلم » « ن والقلم وما بسطرون » .

وان المتبع لآيات القرآن يجد انها حوت ما يربو على ٧٥٠ آية شملت معظم العلوم المعروفة في زماننا .

فجده علم القانون في قوله : « ولكم في القصاص حياة يا اولي الالباب » . ونجد علم التجارة في قوله : « واهل الکتابيع وحرم الربا » . ونجد فنون صناعة الكتابة في قوله : « ن والقلم وما يسطرون » . ونجد علم البيان في قوله : « الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان » . ونجد النجارة في قوله : « واصنعوا الفلك بأعيننا ووحينا » . ونجد الغوص واستخراج المعادن في قوله : « وتسخرون منه حلية تلبسونها » . ونجد الملاحة في قوله : « وترى الفلك مواخر فيه » . وعلم الزراعة في قوله : « افريت ما تحرثون ؟ » . وعلم الاختراع في قوله : « علم الانسان مالم يعلم » . وعلم الفلك في قوله : « لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون » . وعلم الجيش والجندية في قوله : « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة » . وفن التجميل في قوله :

العرب يبحثون العلوم المختلفة ، ويتدارسونها ، وينشرونها على الناس ، كان أهل أوروبا في جهل مطبق ، وسبات عميق ، ولم يستفيقوا إلا بعد الحروب الصليبية ، لأنهم حينئذ اختعلتوا بالعرب والمسلمين ، فوجدوا لديهم علوما لم يعرفوها إلا بهم ، وحضارة اقتبسوها منهم وادخلوها إلى بلادهم .

ويقول «دارير» أحد علماء أمريكا المشهورين «لقد تأخذنا الدهشة إذا نظرنا في كتب العرب ، فنجد فيها آراء نعتقد أنها لم تولد في زمننا هذا ، كالرأي الجديد في ترقى الكائنات العضوية ودرجها في كمال أنواعها ، فإن هذا العلم علمه العرب قديما في مدارسهم ، وذهبوا فيه إلى أبعد مما ذهبنا إليه » .

ويقول «توماس كارليل» المستشرق الانجليزي لقد أخرج الله العرب بالإسلام من الظلمات إلى النور، وأحيا به أممًا خاملة ، لا يسمع لها صوت ، ولا تحس منها حركة ، منذ بدأ العالم فارسل الله نبيا بكلمة من لدنه، ورسالة من قبله، فإذا الخمول نهاية ، والغموض قد استحال شهرة ، والضفة رفعة ، والضعف قوة ، والشرارة حريقا ، وسع نوره الانحاء ، وعم ضوء الإرجاء ، وعقد شعاعه الشimal بالجنوب ، والشرق بالغرب ، وما هو الا قرن بعد هذا الحادث حتى صار لدولة العرب رجل في الهند ، ورجل في الأندلس، وأسرقت دولة الإسلام حقبا عديدة ، ودهورا مديدة ، بنور الفضل والتبل ، والمرءة والنجد ، ورونق الحياة والهدى على نصف المعمورة .

والحق ما قاله هذا المستشرق المنصف ، وهو

«خذوا زينتكم عند كل مسجد» . وصناعة المزاج في قوله «قال انه صرح مرد من قوارير» . وصناعة الفخار في قوله : «فاوقد لي يا هامان على الطين » . وعلم النفس في قوله : «وفي انفسكم أفلأ تبصرون» . وعلم التاريخ في قوله : «ذلك من آباء الغيب نوحيه اليك » . وعلم الآثار في قوله : «قد خلت من قبلكم سفن فسروا في الارض فانظروا كيف كانت عاقبة المكذبين» .

الأفصاح :

لا شك ان الباحث المنصف في تاريخ الامم ، ونهضات الشعوب ، يقف حيال تاريخ الامة العربية ، ونهضتها موقف المتأمل الماخش ، لما وصلت اليه هذه الامة ، في حضارتها الظاهرة ، ومدنيتها العاملة ، التي اطلت الإنسانية بظلالها الموارفة ، ونعمت فيها بالحرية والكرامة ، والامن والسلام ، من تعاليم رشيدة ، وسياسة حكيمة ، وعناية بالعلوم والمعارف على اختلافها .

ذلك لأن العرب هم الذين اسهموا بأموالهم وعلوهم في البحث والتحصيل ، حتى اظهروا خافيها ، وذللوا الصعب منها ، وأصبحت - في عهودهم المزدهرة - دولة قائمة للعلوم وال المعارف - ومن هنا كانوا زينة الدنيا ومعجزة العالمين - منهم اليساندة الاولون الذين تتمذّل على أيديهم علماء الغرب ، وحج الى معاهدهم طلاب الفلسفة ، وعشاق الحكمة . يدل على ذلك ، هذه الآثار المشاهدة بتأثيرهم الناطقة بحضارتهم ، في مصر والشام والأندلس وايران وما وراء النهرین وافغانستان وطبرستان ، وغيرها من البلاد .

يقول «روبرتسون» : في الزمن الذي كان فيه

اليونان التي ترجمتها العرب ككتب جالينوس وابقراط وأفلاطون وارسطو وأقليدس وارخميدس وبطليموس .

وقد روى الدكتور (لوكلير) في كتابه « تاريخ الطب العربي » ان ما ترجم من كتب العرب الى اللاتينية يتجاوز الثلاثمائة كتاب ، وان القرون الوسطى لم تعرف كتب قدماء اليونان الا من ترجماتها العربية ، ولم يكن يقدر للغرب لولا العرب - ان يطلع على كتاب « ابوالونيوس » في المخروطات ، وكتابات جالينوس في الامراض السارية ، وكتاب ارسسطو في الحجارة الخ ..

وقال مسيو لبيري : « لو لم يظهر العرب على مسرح التاريخ لتأخرت نهضة اوروبا الحديثة عده قرون » .

وعلى كتب العرب وحدها اعتمد علماء الغرب بعد القرن الخامس عشر كروجر بي肯 وليونارد البيزي ، وارنولد الفيلنوف ، وسان توما ، والبرت الكبير . وهذا الاخير مدين بكل قيمتهما العلمية لابن سينا وابن رشد ، وقد اوضح هذه الحقيقة واعلنها مسيوريينان حين قال :

« ان البرت الكبير مدين لابن سينا ، وسان توما مدين في فلسفته لابن رشد » .

ومن الثابت ان جامعات اوروبا ظلت اكثر من ستة قرون تفتدي بكتب العرب العلمية التي ظلت وحدها مادة التدريس فيها ، كما ان الطب الغربي ظل حتى اواخر القرن الماضي عالة على ابن سينا .

وفي فن العمارة تأثر الغربيون بالعرب الى حد بعيد ، وما تزال البيوت في اشبيلية وقرطبة تبني

ان العرب لم يبلغوا ذلك الا بالاسلام وتعاليمه التي كان بها اتباعه خير امة اخرجت للناس ، تقيم للعدالة ميزانها ، وترفع للحق منارة ، وتغرس للدنيا دولة تمتد شرقا وغربا ، وشمالا وجنوبا ، حيث لا حروب ولا قلقل ، ولا ظلم ولا تناحر وانما هو الامن والسلام ، والحياة والاستقرار والتعارف والرحمة (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا) . وفي دراستنا هذه ، قبس من هذا النور ، وضياء من هذا الوجه الامم ، الذي وهب الدنيا القوة والعلمية .

تأثير الحضارة العربية في الحضارة الغربية :

لقد عنى المنصوفون من مؤرخي الغرب وباحتئه بتبيان الاثر العظيم الذي تركته الحضارة العربية في الحضارة الاوروبية ، وبما ان اثبات جميع ما قالوه في هذا الموضوع غير ممكن ، فاننا سنكتفي هنا بتلخيص ما ذكره العلامة « غوستاف لوبيون » في كتابه « حضارة العرب » حول هذه هذه النقطة .

يرى العلامة المنصف ان الحروب الصليبية لم تكن السبب الذي ادى الى دخول العلوم الى اوروبا ، بل ان هذه العلوم انما دخلت عن طريق اسبانية وصقلية وايطالية . ففي عام ١٤٣٠ م انشيء في طليطلة ، وبرعاية رئيس اسايقتها « ريمون » ، مكتب للترجمة يعني بنقل اهم كتب العرب الى اللاتينية . ولقد نجح هذا المكتب في مهمته ، ولم يقتصر النقل على مؤلفات علماء العرب « كالرازي » و « أبي القاسم » و « ابن سينا » و « ابن رشد » بل تعداها الى كتب

على الطراز العربي ، ولا يزال الرقص والموسيقى
فيها على الطريقة العربية .

بدء التدوين :

حفظه من الدس ، بعد ان شاع الوضع وكثرت
الاحاديث الموضعية ، التي لجأ الى وضعها
اصحاب المذاهب السياسية ليدعموا بها اراءهم
في خلافاتهم الحزبية مع خصومهم .

وحركة التدوين المنتظم للحديث التي ازدهرت
في القرن الثالث للهجرة ، تمتاز عن تلك التي
نشأت في القرن الثاني بان تدوين الحديث فيها
كان مقصوراً لذاته ، في حين أن تدوين الحديث في
الاول كان يجري عرضاً اثناء تدوين كتب الفقه
أي - ان الفقه هو الذي كان مقصوداً منها - لا
الحديث .

اما فيما يتعلق بالفقه ، فلم يطرأ عليه في
العهد الاموي الا تطور طفيف ، فالمعلوم ان
الخلفاء الراشدين يرجعون في احكامهم الى القرآن
والسنة ويجتهدون بآرائهم ، ويلجأون الى
القياس . فلما انتشر كبار الصحابة في البلدان
التي حولهم طلاب العلم ، يستمعون الى آرائهم
ويحفظون عنهم ، فنشأت عن ذلك مدارس فقهية ،
تمضي في اواخر القرن الاول عن مدرستين
مشهورتين ، مدرسة الحجاز ومدرسة العراق ،
وتتميز الاولى بتقييد اصحابها بالحديث دون
الرجوع الى الرأي الانادرا ، في حين تتميز الثانية
باستعمال الرأي اي الاجتئاد لحل كثير من المشاكل
دون الرجوع الى الحديث اقليلياً .

اما العلوم الانسانية والاجتماعية فلم تتتطور
في العصر الاموي ولم تتغير كثيراً عما كانت عليه
في العصر السالف . والتطور القليل الذي سجلته
انما كان بتأثير القرآن والحديث ، الذين وهدا
اللهجات وهذا الفاظ العربية وادخلا عليها
مصطلحات جديدة، وبتأثير الفتوحات والتنظيمات

التدوين بمعنى تصنيف الكتب ، لم يظهر
الا بعد العهد الاموي الاول ، لأن المسلمين كانوا
حتى اواخر العهد الاموي يعتمدون في نقل العلم
على الحفظ والذاكرة ، ولم يكن عندهم كتاب
مدون سوى القرآن . ويرجع السبب في ذلك الى
عوامل مختلفة ، فمن الرواة من يزعم ان بعض
الخلفاء لجأوا الى منع التدوين خشية ان يصرف
الناس نشاطهم اليه ، ومنهم من يعلل ذلك بان
المسلمين كانوا يعتقدون في تلك المرحلة من حياتهم
الفكرية ان العلوم والمكتب المدونة لا لزوم لها مع
وجود القرآن ، في حين يرى آخرون ان حركة
التدوين لم تنشط لأن المسلمين كانوا لا يزالون
 قريبين من عهد النبوة ، وكانت علومهم ، مازالت
 ضعيفة لا تخرج عن نطاق القرآن وتفسيره ورواية
ال الحديث .

على انه ما كادت تستقر احوال المسلمين في
البلاد المفتوحة ، حتى تغير الحال وانصرفوا الى
التدوين في العصر العباسي لعلومهم ولغتهم .

وقد اختلف في اول من الكتب بدون
الاخبار ، غير ان ابن المندي يشير الى ان عبيدا
البرهمي الذي عاش في القرن الاول الهجري هو
اول من دون اخبار ملوك العرب والعجم ، وان
مجاهد بن جبير هو اول من دون كتاباً في التفسير ،
ووهب بن حنين ١١٦ هـ ، هو اول من كتب التاريخ
والمغازي .

ولا شك ان الغاية من تدوين الحديث كانت

مترفة هادئة ، فاذا هذه الحياة لا تلبث ان تعطى ثمارها ، ومن ثمارها ذلك الشعر الفزلي الرقيق الذي تحول فيما بعد الى مجون ، ومن أشهر شعراء هذا العصر : عمر بن أبي ربيعة القرشي والاحوص الانصاري .

اما الغزل الشرييف البعيد عن الفحش : فقد نما في بادية الحجاز ، ونشأ فيبني عذرة وخزاعة ، ومثله ، في عصربني أمية ، جميل بثينة وكثير عزة .

واما طابع هذا الشعر على نوعيه : البريء والماجن ، فهو طابع الشعر الجاهلي وشعر صدر الاسلام مع فارق واحد ، هو عذوبة في الشعر الاموي ، ورقة لم تتوفّر لشعر العصور السابقة ؛ والفاظ واشتقات لم تعرف من قبل ، وتجديده بعض الصور الشعرية اقتضته طبيعة الحياة ، ومتطلبات الثقافة ، وحيوية المجتمع .

واذا قينا نظرة على حالة النثر في العهد الاموي ، فاننا نلاحظ تطورا ملماسا ، ابرزته احداث الجزيرة العربية ، وافتت اليه فتوحات المسلمين وانصرافهم الى دراسة القرآن وتاثيرهم به ، واهتمامهم بحفظ الاحاديث ، وتنافسهم في احياء تراث الجahلية ، وقد ظهر هذا التنافس في العصر الاموي بعد ان بعثت العصبية القبلية ، التي خنقها المهد الاسلامي الاول وقضى عليها ، كانت الكتابة في العصور السابقة تميز بالبساطة والايجاز ، فتنوعت اساليبها في عصر بنى أمية ، وتعددت طرقها وأغراضها ، وتأنقت الفاظها ورقت ، حتى أصبحت فنا خاصا ، له نظمه وقواعده ، ونشأت على اثر ذلك دواوين الكتاب ، وانتشر من ناثري ذلك العصر ، عبد

الادارية التي استلزمت ادخال كلمات جديدة استعربت واستعملت بداعي الحاجة اليها . ولم تزدهر هذه العلوم - وخاصة الاجتماعية منها كال التاريخ والجغرافيا وعلوم الاوائل كالطلب والكيمياء والفلسفة والرياضيات والفلك والمنطق - الا في العصر العباسي ، عندما بلغت الحركة الفكرية عصرها الذهبي .

اما الشعر والنثر فقد تطور تطورا ملماسا ، فكانوا صورة لتطور المجتمع الاموي ، هذا المجتمع الذي نشطت فيه العصبيات ، وشجرت الاختلافات ونشأت الفرق وتضاربت السياسات .

فالشعر أصبح سلاحا سياسيا ، ووسيلة من وسائل الدعاية . وقد غالى الخلفاء والامراء من أجل ذلك ، في تشجيع الشعراء لاستخدامهم في أغراضهم السياسية ، وتأييد وجهات نظرهم وذريبياتهم . ورجعة واحدة الى تاريخ الادب العربي ، تبين لنا اثر الشعراء الثلاثة الامويين (الخطل وبرير والفردق) في التوجيه السياسي اندماذ ، وفي توجيه الحرب الكلامية التي كانوا يعملون على اذكيائهم .

غير اتنا اذا التفتنا الى الحجاز نتفقد حالة الشعر فيه ، واثر السياسة في هذا الشعر لوجدنا ان وضعه في هذا القطر يختلف تماما عنه في القطر الآخر ، فالاميون الذين نقلوا مركز الحياة السياسية من مكة والمدينة الى دمشق ، كان همهم الوحيد اقصاء اهل الحجاز عن السياسة وصرف انتشار ابناء الاشراف والمهاجرين والانصار والغرازة عنها ، وذلك خوفا على نفوذهم وسلطانهم .

وعملما بهذه السياسة اتاحوا للحجاز حياة



لهميد الكاتب (١٣٤هـ) وعبد الله بن المقفع (١٤٣هـ)

وكما كان الشعر سلاحاً ماضياً تستخدمناه للإحزاب والعصبيات في صراعها السياسي ، فأن الفثر استخدم عن طريق الخطابة للدعويات السياسية ، واعتمد وسيلة للتغافر والتغافل في الصراع القائم بين الشيعة والزبيرية والخوارج والأمويين ، واليمنية والعرب والشعوبيين ، وعلى الأخص الفرس .

وإذا استعرضنا خطباء ذلك العصر ، لعدتنا في طليعتهم معاوية وعبد الملك وعمر بن عبد العزيز ، والحسين وابن الزبير وابن الأشعث والمطلب والحجاج وخالد القسري ، والمختر الثقيفي ، وقتيبة بن مسلم ، وسحبان بن وائل .

ثم في العصر العباسي أصبحت اللغة العربية ، نظراً للتطور الذي أصاب المجتمع ، بحاجة إلى تطوير وتهذيب ، وتوسيع ، وضبط ، فخصوصاً بعد أن استقر العرب في الأقطار التي افتتحوها ، وخالفوا العادات وأحتكوا بهم ، وأصبح هؤلاء يشكلون مجموعة لا يأس بها من سكان البلاد .

كانت اللغة العربية في هذا الدور شائعة في البلاد الفارسية ، وظلت تنتشر في هذه البلاد وتمتد ، فكان من أثر ذلك أن تأثرت بالفردان والتراكيب الاعجمية ولجا العرب إلى اشتقاءات جديدة استدعتها التطورات الجديدة وال حاجات الجديدة .

وقد نبغ في علوم اللغة وال نحو ، الخليل بن أحمد الذي هدب صناعة النحو ونظمها . وسيبوبيه الذي أخذ عن الخليل ، وكمل ما لم يكمله سلفه ، فوضع مؤلفه المشهور « الكتاب » .

وقد ازدهرت علوم اللغة ، وبخاصة النحو في مدينة البصرة ، ثم انتقلت زعامة هذه العلوم إلى الكوفة ، فظهر الكسائي في القرن الثالث . وكانت حركة الإبداع في النحو قد ركبت ، وأصبح الاهتمام مقصورة على الشرح والتلخيص . والجدير بالذكر أن الخليل بن أحمد هو أول من وضع المعاجم ، إذ وضع معجمه المعروف (كتاب العين) وهذا المعجم هو أول معجم في العربية ولم تظهر بعد هذا المعجم معاجم جديدة إلا بعد مدة فرن . إذ ألف أبو بكر بن دريد معجم « الجمهرة في اللغة » .

وكان من الطبيعي أن تزحف العجمة ، وما ينبعها من ركاكاً واضطراب بلاغي إلى الشعر ، فأخذ الشعراء عن الأوزان العربية ، التي وعثها الأذن العربية ، فهب بعض رجال اللغة وأولهم الخليل لحماية الأوزان القديمة ، وضبطها ، فكان أن وفق إلى استخراجها وحصرها وجعلها ١٥ وزناً ، ثم جاء الإخشش فendarك النقص وزاد بحراً جديداً وسماه « المتدارك » فأضحت بحور الشعر ستة عشر بحراً .

وقد ادرك رجال اللغة مخاطر الركاكا التي طرأت على الأسلوب العربي نتيجة المؤثرات الخارجية ، وادركاً كذلك العقبات التي تحول دون تذوق الأساليب العربية ، وضسورة اظهار بلاغة القرآن ، واقناع الأعاجم بها ، للرد على الزنادقة ، فكان من أثر ذلك أن بدأت الابحاث البلاغية تظهر على يد أبي عبيدة معمر بن المنفي ، ثم الجاحظ وسواهما . ولكن الجهود المبذولة في هذا المضمار لم تثمر ثمرتها المرجوة إلا في القرن الخامس الهجري على يد عبد القادر الجرجاني ، صاحب

النثر :

اما النثر فانه قد تطور ايضا ، بفضل العوامل التي ذكرناها ، وبما ترجم عن الفارسية من آثار أدبية ، وما نقل عن اليونانية من المسائل العقلية المنطقية . وكان لتطور الادارة اثر كبير في تطور النثر . ومن مظاهر ذلك نشوء الاسلوب السهل المرسل ، بعد ان كان الاسلوب المتبعة هو اسلوب الإيجاز البليغ ، وسبب ذلك ان هذا الاخير لم يعد يفي بمتطلبات الحياة الواسعة الشاملة .

وقد تأثر النثر العربي بالنثر الاجنبي ، ويمثل هذا التأثير الظاهر ابن المقفع ، الذي عاصر المنصور ، والذي يعتبر امام النثر في زمانه ، وكتابه « كلية ودمنة » خير دليل على التفاعل الثقافي ، بين العرب وسواهم .

ومن كتاب هذا الدور طاهر بن الحسين ، وهو من كتاب المؤمن .

وكانت الكتابة على نوعين : الكتابة الادبية ، او كتابة الترسيل ، وهي التي كانت تصدر عن ديوان الرسائل في الدولة ، وتدعى بالرسائل السلطانية ، والرسائل الاخوانية ، التي كانت تتبادل بين الاصدقاء في المناسبات وقد ظهرت اولا في العصر الاموي ، ثم الرسائل الادبية ، وهي التي كان يكتبهما البلفاء في الاخبار والسير والقصص ، او في اي شأن من شؤون الدولة ، او في النصح والتوجيه والارشاد ، كرسالة الصحابة لابن المقفع ، ورسائل الماحظ ومؤلفاته الكثيرة كالبلغاء والحيوان والبيان والتبيين .

وهذه الكتابة الادبية ادخلت باديء الامر على دواوين الدولة في اواخر العهد الاموي ، على يد عبد الحميد الكاتب ، ثم انتقلت الى

كتابي « دلائل الاعجاز ، واسرار البلاغة » .
الشعر :

ساعد تطور الحياة الاجتماعية على تطور الشعر العربي في العهد العباسي وأسهم في تطور هذا الفن ايضا اهتمام الخلفاء واحتفاؤهم بالشعراء ، واقامتهم المواسم السنوية لاقاء القصائد ومنح الجوائز ، وقادهم في هذا النهج الامراء والولاة .

وقد ادى احتكار الثقافتين العربية والفارسية الى اتساع آفاق الشعراء العرب ، واكتسابهم الكثير عن الادب الفارسي ، وكان ذلك اما عن طريق درس هذا الادب بصورة مباشرة ، واما عن طريق الاحتياك بالادباء الفرس ، او تكون بعض الشعراء في هذا العصر من اصل فارسي .

اما مواضيع الشعر ، فكانت صدى لحياة هذا المجتمع الجديد وتطوراته ، كالعصبية القبلية ، والعنصرية والحزبية ، وهنالك عوامل اخرى تركت انثرا في شعر هذا الدور أهمها :

١ - الحياة المترفة الماجنة التي كانت ذات اثر بعيد في الناحية الوصفية من الشعر ، وما يرافق هذه الحياة من مجالس شراب ، وغناء ، وجواري ، وقيان .

٢ - الشراء الفاحش الذي كان يغيرى الشعراء بمدح الخلفاء والولاة والامراء طمعا في عطاهم .

وقد ادى ذلك الى ظهور التكلف في الشعر ، وتحوله في كثير منه الى صنعة .

وأشهر شعراء هذا الدور ، بشار بن برد ، وأبو نواس ، وأبو العتاھية ، ومسلم بن الوليد .

الموضوع ، ولم تظهر أية محاولات في تاريخ أعمال الخلفاء الراشدين ، وبطولات القواد الذين وجهوهم لفتح البلاد ، ونشر الدعوة .

وفي العهد الاموي ، بدأ العرب يعنون بتدوين التاريخ على شكل فسيق النطاق ، بطيء الخطى ، ولم ينضج هذا العلم ويتوسّع ويثمر الا في العصر العباسي ، حيث ظهرت المؤلفات التاريخية بكثرة ، ولعل أهم الدافع لذلك هي :

١ - رغبة العرب في معرفة ما ضيّهم وتدوين احداثه .

٢ - تأثير شخصية الرسول واهتمام المسلمين بأخباره وأحاديثه ، لتكون مرجعهم في تنظيم حياتهم الدينية والمدنية .

٣ - الرغبة في تحقيق الانساب ، لأن الرغبة في حفظ هذه الانساب وتناقلها والماخراة بها قد انتقلت إلى المهدود الإسلامية ، فأضافت إلى مفاخر الأجداد الجاهليين ، مفاخر اسلامية جديدة سجلها السابقون في الجهاد ، والاستشهاد . وقد قوّيت هذه الرغبة بعدما فرض عمر بن الخطاب توزيع العطاء وتقسيمه على المسلمين بالنسبة لدرجة قرباهم من النبي أو لسبّهم في الإسلام ، أو لجهادهم تحت رايته .

٤ - رغبة بعض الخلفاء في الاطلاع على أخبار الأمم الفاغرة ، قصد الاقتباس منها ، واستخلاص ما يمكنهم تطبيقه ، والعمل على منواله .

٥ - الصراع السياسي بين الأحزاب والفرق المختلفة ، لا سيما بين العرب والجم، وبعد ان نشأت حركة الشعوبية ، وبدأت كل فئة تعتز وتباهی بما ترثها، كما كانت الفرق الإسلامية تحرص

على العصر العباسي ، ونمّت ونضّلت ونبغ فيها كثيرون ، أشهرهم : يحيى بن خالد البغدادي ، والصاحب بن عباد ، وابن العميد .

وكذلك أدخل في هذا الدور التسجيل في المراسلات ، ثم ادخلت المقامات في أواخر القرن الرابع على يد بدیع الزمان الهمданی ، ثم انعریری .

الفاطبة :

اما الخطابة ، فقد كان لها الصدارة في العهد العباسي لأنها كانت أحدى الدعائم التي ساعدت على تثبيت حكم العباسيين وسلطانهم . وقد ازدهرت في العصر العباسي الأول ولكنها عادت وتقوّفت بعد ذلك ، واشهر خطباء العهد الأول : السفاح والمنصور والرشيد وجعفر الصادق والنفس الزكية : « محمد بن ابراهيم » .

التاريخ والجغرافيا :

كان العرب الأوائل في الجاهلية يتناقلون الحوادث التاريخية شفاهما ، وكذلك الادعاءات الطبيعية التي ترك اثرها في الحياة العربية كاتهيار سد مارب ، او عن القبائل الغابرة كعاد وثمود وسواهما .

وقد كانوا يحيّكون حول هذه الحوادث الاساطير والخرافات ، فإذا هي مزيج من الحقيقة والخيال .

وكذلك كان العرب في جاهليتهم يتناقلون الاخبار عن حروبهم وانسابهم ، ويسهم في هذا النقل شعراً لهم . وعندما بزغ فجر الاسلام ظهرت المحاولات لتتأريخ السيرة والمغازي ، وظلت الجهود في عصر الخلفاء الراشدين منصبة على هذا

على حفظ ذكرها وأعمالها وتاريخها ، لا سيما
الشيعة .

٦ - الرغبة في فهم الادب العربي القديم .
٧ - الرغبة في كسب عطف ملك أو خليفة او
وزير أو أمير ، اذ كان بعض كتاب السيرة يسجلون
سيرة سلطان ما ، كما فعل الضبي في كتاب سيرة
السلطان محمود الغزنوبي .

٨ - النزعة النقلية في العلوم العربية التي
دفعت العلماء العرب الى الاهتمام بالاسناد ، الامر
الذي حملهم على البحث في سير الرجال وتقسيدهم
إلى طبقات .

٩ - نضع الحياة المقلية الادبية ، الذي ادى
إلى ازدهار العلوم العربية على اختلافها ، ومنها
التاريخ الذي اهتم به العرب اهتماما ملحوظا .

الطب :

كان فن الطب شائعا عند الامويين ، وقد
اشتهر فيه كثير ، ومعظمهم من الذكور ، وكثيرا
ما كان الخلفاء يعتمدون على اطبائهم في التخلص
من اعدائهم السياسيين .

اما في العصر العباسي ، فقد ازداد هذا العلم
وكثر الاطباء ، وزاد اكرام الخلفاء لهم ، والمنصور
اول من ادخل اطباء نيسابور الى بغداد . وكان
يبالغ في حفاوة طببيه الخاص جرجس بن
بختيشوع ، والرشيد كان يدعو لطبيبه جبرائيل
ابن بختيشوع في صلاته ، ويرى ان هذا الطبيب
اثرى اثراء فاحشا في عهد الرشيد ، حتى ان
ثروته كانت تقدر بنحو ثمان وثمانين مليون
درهم . وما مات سلمويه طبيب المعتصم ، بكاه
ال الخليفة وحضر جنازته .

وعلى الجملة ، فقد ظهرت مواهب الاطباء
عنيفة خصبة خلال العصر العباسي ، واثروا
بمؤلفتهم المكتبة العربية وظلت هذه المؤلفات
مصدرا ومرجعا تعتمد عليه الجامعات الاوروبية
في تدريس هذه المادة ، ونبغ فيهم امثال الرازى
الذى بحث في الحمييات ذات البثور ، كالحصبة
والجدري وأمراض الاطفال وعلم التشريح ، وعلى
ابن العباس الذى كتب في الطب النظري والطب
العلقى ، والرئيس ابن سينا الذى ذكر عدوى
السل الرئوى وكيفية انتقاله ، ووصف اعراض
حصى المثانة وحصى الكلية ، كما ذكر عن
تشخيص الامراض العصبية ما يلي : « ان
المبادئ التي منها نسير الى معرفة احوال
الدماغ هي من الافعال الحسية ،
والافعال الحسية اعني التذكر والتفكير والتصور
وقوة الوهم والحس ، والافعال الحركية ، وهي
افعال القوة المحركة للاعضاء بتوسيط العضل ،
ومن كبر الرأس وصغره ، ومن جودة شكله ، ومن
نقل الرأس وخفته ، ومن حال لون العين وعروتها ،
وسلامتها ومرضها وملمسها ، ومن حال النوم
واليقظة ، ومن حال القوى والافعال في الاعضاء
المشاركة للدماغ مثل الرحم والمعدة والمثانة » .
كما يوجد لابن سينا بحث مستفيض في البول .
وقد نقلت كتب هذا النطاسي البارع الى اكبر
لغات العالم ، وظلت مرجعا عاما للاطباء ، وأساسا
للباحثين الطبيبة في جامعات فرنسا وايطاليا طوال
ستة قرون ، ولم ينقطع اطباء جامعة مونبلييه
عن شرح نظرياته وتدرس كتبه الا منذ اقل من
فرن .

البراحة :

والكتب التي وضعت في هذا المتن كثيرة :
نذكر منها (الأدوية المفردة) للغافقي و (المحنى
في الأدوية المركبة) لابن البيطاء ، وكذلك (الجامع
المفردات الأدوية والأغذية) الذي هو أكثـر من
الفأـف وأربعـمائـة مخـرج بين شـيوـانـي وبنـياتـي .

الفلك والكمـاء :

لقد برع العرب في الفلك ، فاقاما المراصد في
دمشق وسـترـفـندـ والقـنـاعـةـ وشارـسـ وطـبـيـطـةـ
وـقـرـطـبـةـ . وـصـوـنـواـ إـلـىـ مـتـابـعـ عـلـيـةـ يـمـ بـخـوـلـ
الـبـيـاـنـ الـعـنـمـ فـيـ أـوـرـوـبـاـ /ـ بـعـدـ الـفـسـةـ . وـنـبـغـ
صـنـوـمـ فـيـ هـذـاـ لـهـمـ كـثـيرـ عـنـ أـسـنـ الـبـنـانـيـ
وـالـخـوـنـجـ وـابـنـ دـوـمـيـ بـنـ شـاـكـرـ وـسـيـروـنـيـ .

نظم النمر في هذا النصر الافتتحـةـ
والـبـانـيـ وـنـفـنـوـ عـنـهـماـ . هـنـىـ إـذـ اـشـتـدـ عـودـتـمـ
وـمـعـنـواـ مـقـلـوـدـ ، بـدـأـتـ شـخـديـمـيـمـ الـعـلـيـةـ تـظـهـرـ
وـتـنـبـهـ . وـلـمـ يـنـبـثـوـ كـمـ يـقـولـ سـوـسـتـانـ لـوـبـوـنـ «ـ انـ
هـنـكـوـاـ إـنـ الـتـحـرـيـةـ وـالـتـرـصـدـ حـيـرـ مـنـ أـفـسـلـ الـكـتـبـ .
ذـانـطـلـقـوـ مـنـ قـيـوـدـ التـلـيـذـةـ لـلـبـيـنـانـ . وـأـنـذـوـ
يـخـتـرـوـنـ سـأـلـاتـ الـعـلـمـ وـجـرـبـوـنـهاـ .

قال (دولنـبرـ) صـاحـبـ تـارـيـخـ عـلـمـ الـفـنـاءـ .
«ـ إـذـ عـدـتـ بـيـنـ الـأـخـرـيقـ رـاصـدـيـنـ أـوـ مـؤـذـنـةـ ثـمـ
نـظـرـتـ إـلـىـ الـعـرـبـ . بـكـنـكـ إـنـ تـرـىـ بـيـنـهـمـ عـدـاـ
كـثـيـرـاـ عـنـ الرـصـادـ »ـ .

وـأـنـاـ فـيـ الـكـيـجـيـاءـ : فـانـ خـالـدـ بـنـ يـزـيدـ الـأـوـلـ
أـمـنـوـقـ عـامـ ٨٥ـ هـ ، هـوـ زـوـلـ مـنـ أـدـخـلـ الـكـيـمـاءـ .
وـقـدـ كـانـ لـإـلـامـ جـفـرـ الصـادـقـ الـأـمـامـ فـيـ هـذـاـ الـعـلـمـ ،
وـقـدـ عـلـمـ لـتـلـيـذـهـ جـاـبـرـ بـنـ حـيـانـ . وـمـنـ أـشـيـرـ
الـكـيـمـيـائـيـنـ فـيـ الـعـصـرـ الـعـبـاسـيـ ، الـكـنـدـيـ وـالـفـارـابـيـ
وـالـزـهـرـاوـيـ وـابـنـ سـيـنـاـ .

ان إـلـاـ الـقـاسـمـ الـقـرـاطـيـ هوـ اـسـتـورـ جـرـاحـيـ
الـعـربـ : وـهـوـ الـذـيـ اـخـتـرـعـ كـثـيـرـاـ مـنـ الـأـلـاتـ الـجـرـاجـةـ
وـرـسـتـهـ فـيـ كـتـهـ . وـالـذـيـ قـالـ فـيـ الـعـالـمـ الـطـبـيـعـيـ
الـكـبـيـرـ (ـ هـلـارـ) : كـانـ كـتـبـ إـيـ اـنـقـاسـ الـعـصـرـ
الـعـامـ الـذـيـ سـتـفـيـ مـنـهـ جـمـيعـ مـنـ ظـلـيـرـ مـنـ الـجـرـاحـينـ

سـعـ الـقـرـنـ الـرـابـعـ عـشـرـ

إـمـاـ الـأـلـاتـ الـجـرـاجـيـهـ الـتـيـ كـانـتـ مـسـتـخـدـمـ فـيـ
الـعـصـرـ الـعـبـاسـيـ فـيـنـيـ :

أـولـاـ : الـمـصـعـيـ : وـيـسـتـعـدـ لـقـطـعـ الـلـحـمـ عـامـةـ .

ثـانـيـاـ : الـحـسـارـةـ : وـيـسـتـعـدـ لـلـجـذـبـ .

ثـانـيـاـ : الـمـشـرـطـ : وـيـسـتـعـدـ لـقـطـعـ الـلـحـمـ الـزـيـارتـ
فـيـ الـأـنـفـ .

رـابـعاـ : الـمـلـحـ : وـيـسـتـعـدـ لـحـكـ الـإـجـفـانـ .

هـامـساـ : الـمـسـعـطـ : وـيـسـتـعـدـ لـنـقـطـيـرـ الـأـدـهـانـ
فـيـ الـأـدـنـ .

سـادـيـاـ : الـمـشـرـطـ : وـيـسـتـعـدـ لـلـشـفـ الـأـوـرـاهـ .

سـابـعـاـ : الـمـثـقـبـ : وـيـسـتـعـدـ لـنـقـبـ الـحـصـاءـ
وـسـنـيـكـ الـبـيـوـلـ .

ثـامـناـ : الـخـبـسـ : وـيـسـتـعـدـ لـكـبـسـ الـلـسانـ
سـيـرـةـ رـأـيـةـ الـحـلـ .

الوقاية :

هـذـاـ وـقـدـ عـرـفـ فـيـ هـذـاـ الـعـصـرـ عـلـمـ الـوـقـاـيـةـ
فـانـشـيـتـ الـمـسـنـاتـ وـأـقـيـتـ الـمـرـسـانـاتـ ، وـبـرـعـ
الـكـثـيـرـ مـنـ اـطـبـائـهـ فـيـ الصـيـدـلـهـ وـتـحـضـيـرـ الـعـقـاقـيرـ
الـطـبـيـةـ مـنـ اـشـرـبـةـ وـكـحـولـ وـمـسـطـحلـاتـ . وـكـانـ اـنـ
سـيـنـاـ أـوـلـاـ مـنـ غـلـفـ الـخـبـوبـ . وـالـصـيـادـلـهـ مـنـذـ عـمـرـ
الـمـأـمـونـ يـخـضـعـونـ لـلـتـفـتـيـشـ الـمـسـتـمـرـ وـالـمـأـقـبـةـ
الـشـدـيـدـةـ .

الملاحة :

واقتصر العرب بالبحر فخاضوا عبابه ، وأذلوا بأساطيلهم متونه ، واستخدموها في الملاحة البوصلة ، فكانوا بذلك أول من استخدم هذا الاختراع الصيني في أسفارهم .

الجيولوجيا :

وبحثوا في الجيولوجيا وتحولات الكمة الأرضية وأعلن ابن سينا أن هذه التحولات إنما هي نتيجة بطئية تمت بتعاقب الدهور . وجاء علم الأرض الحديث يثبت صحة هذه النظرية .

علم النبات :

كما بحث علماء العرب النباتات واستخدموها الكثير منها في أغراض طبية ، وانشأوا لها الحدائق وزرعوا فيها اندرها وأجودها .

الفنون الجميلة :

من المعلوم أن فن كل أمة يتاثر بالذوق الخاص الذي يعبر تعبيراً صادقاً عن طبيعة هذه الأمة وعواظتها وعن المؤثرات والمعتقدات والآوهام والخرافات والتقاليد التي مرت في حياة تلك الأمة . كما يتاثر فنها أيضاً بما ورثته عن غيرها من الأمم السابقة .

والفن العربي قد تأثر بهذين العاملين : تأثر إلى حد بعيد بتعاليم الإسلام من حيث اباحتها لبعض الفنون وتحريمها للبعض الآخر ، وكانت له بالتالي صلة قوية بفنون من قبل العرب من الفرس والبيزنطيين ، حتى أن كثيراً من العلماء حينما لاحظوا تلك الصلة زعموا أنه ليس للعرب فن مبكر . والحقيقة ليست كذلك ، لأن آمة أمة من الأمم لا مندوحة لها من اقتباس بعض آثار الأمم التي تقدمتها إذا أرادت أن تبلغ ذروة الإبداع

ويقول غوستاف لوبيون في هذا الصدد : « إنك لا تجد على ما يوانانيا استند في مباحثاته إلى التجربة ، مع أنك تعد مئات من العرب الذين قاموا مباحثتهم الكيميائية على التجربة ، فجابر ابن حيان استاذ لـ (لفوازيه) أبي الكيمياء المدينة » .

الفيزياء :

عرف العرب في هذا العصر الفيزياء والليكانيك ، واستغلوا مناجم الكبريت والنحاس والزinc وال الحديد والذهب . واتقنو فن الدباغة وتسقيفة الفولاذ ، وثبت علمياً إنهم هم الذين اخترعوا بارود المدفع السهل الانفجار .

الرياضيات :

تعلم العرب في العصر العباسي العلوم الرياضية الآتية :

الحساب بقسميه: التحريري الذي تستعمل فيه الأدوات الكتابية ، والهواي أي المذهب . وقد استعمل العرب الصفر والكسور العشرية ، وبحثوا في استخراج المجهولات بطرق مختلفة ، كاستخراجها بالتناسب وبحساب الخطأين وبطريقة التحليل والتعاكس . وهم الذين اخترعوا الجبر . وأول من ألف في هذا العلم الخوارزمي . كما طبق العرب الجبر في علم الهندسة . وبذلك جمعوا بين الهندسة والجبر ، وحتى اعتبروا واضعي الهندسة التحليلية . والفوا كتاباً كثيرة في المساحات والمحجوم وتحليل المسائل الهندسية وتقسيم الزاوية إلى ثلاثة أقسام متساوية ، وأضافوا الشيء الكثير على المثلثات ، حتى أصبح علماء عربياً مستقلاء .

اما صنعت التماهيل وصناعة التصوير فلم يكتثر بها العرب قبل هذا العصر ، وتجاهلوها تجاهلا كليا في صدر الاسلام ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم حظر على المسلمين تصوير الالله وذوات الحياة، وحارب الاصنام والتماثيل، واعنفي محاربتها ، وشنع على عبادها ، وكسر ما كان منها في الكعبة ، كما كرها في التصوير والمصورين، الامر الذي حمل المسلمين الاولين على اشبع طبيعتهم الفنية بالالتجاء الى التفنن في الخط بدل التصوير وفي الذكر بدل الرقص ، وفي التجويد لآيات القرآن بدل الغناء ، وما كان الاسلام لم يحظر على المسلمين سوى تصوير الالله وذوات الحياة رأينا العرب قد اهتموا بتصوير الحيوان والنبات وصنعوا كثيرا من تماثيل الحيوانات الوهمية، التي صنعت في الواقع لغرض معين لا للفن نفسه ، مما يحملنا على القول بأن النحت والتصوير عند العرب لا يدل على نبوغهم ، نتيجة تأثيرهم كما أسلفنا بالاعتقاد الديني الذي يحرمه عليهم ، كما لم يتربدوا في وضع صور ذوات الحياة على كثي من الاواني العربية . مثال ذلك : آناء (سان لويس) الذي استخدم زمنا طويلا في تعميد الصبيان في فرنسا والموجود حاليا في متحف « اللوفر » في باريس . على ان العرب وان لم يبدعوا في فن النحت والتصوير ، فإنهم قد ابدعوا كثيرا في الصناعة المعدنية والصياغة وسائل الحرف الأخرى ، وبلغ اتقانهم لبعضها مبلغا يتعذر على ابناء هذا القرن ان يأتوا بآجود منه ان لم أقل بمثله . فقد كانت آيتها واسلحتهم مكفتة بالفضة ومموجة بالمينا المفرض ومرصعة بمختلف الاحجار

الفنى . وفي هذا يقول (باسكال) : انه يجب عدم سلسلة الادميين الذين ظهروا بتعاقب القرون انسانا واحدا حيا في كل زمان محصلا للمعارف على الدوام .
اجل لقد استفاد العرب والاغريق والرومان واليهود والفينيقيون وجميع الامم الغابرة من انتاج من سبقوهم ، ولو اقتصر فن كل امة على ما ابتكرته فقط ، دون الرجوع الى ما قد مضى ، لكان الفن ناقضا عند الجميع فلن كل امة اذا هو استمرار لما تقدم مضاف اليه بعض ما تزيده عليه ، وبنسبة ما تكون هذه الزيادة جلية واضحة في فن امة من الامم ، بنسبة ما يحكم على فنها بكونه مبتكرة او غير مبتكرة .

وان المتأمل بالرقي الفنى الذي بلغه العرب في العصر العباسي خاصة ، لا يسعه الا الحكم بأن للعرب فنا مبتكرة ورثته الحضارة من بعدهم ، وقد لاثتهم في اشياء كثيرة منه ، لا تزال آثارها جلية واضحة في كثير من ارجاء المعمورة .

١ - الفنون الصناعية :

وقد اتقن العرب من الفنون الجميلة ما يأتي : وهذه تشتمل على صناعة الخزف والزجاج والصياغة والفسيضاء ، وهي شائعة في كل مكان في دنيا العرب ، وتتجلى في أنفس الادوات واثمنها التي لا تزال حتى اليوم تنسجم مع الذوق العربي ، بل ومع غيره من الاذواق .

ليس أدل على ذلك من القصور الفخمة التي بناها الخلفاء والامراء في مدينة بغداد ، حيث كان اثاث هذه القصور المزدان بالرياش والفراش بالمعجمة .

الكتابة على هامش المصاحف ، واهتموا بتجليده وتحليلية الغلاف بالذهب ، وما الى ذلك من ابداع ، نتيجة تعلقهم الشديد بالقرآن وأياته ، واحترامهم له . كما تغتنوا في تزيين داخل الجوامع بالآيات القرانية والآحاديث النبوية ، وخاصة نقش المخاريب بالجص وان لم يكونوا قد بلغوا في هذه الناحية ما بلغه المسيحيون في تزيين كنائسهم ، فمن يتمنى له زيارة المسجد الأقصى في القدس او الاموي في دمشق ، وعمرو بن العاص في القاهرة ، او سوهاها من المساجد الإسلامية في المدن العاشرة ، والاطلاع على ما هوته هذه الجوامع من دقة في البناء وعظمة في الزخرف ، لا يتزدّر في الحكم على الفن العربي بأنه بلغ الذروة من هذه الناحية . ومثل ما يقال عن الجوامع والمخاريب ، يقال ايضا عن المآذن الفخمة والقباب الضخمة والاعمدة الشامخة ، مما يدل على نبوغ العرب في الفن العماري وذوقهم الرفيع وتفكيرهم السليم .

٢- تحطيط المدن :

كان العرب عند قيامهم ببناء مدينة ما يراعون الوضع الصحي والحربي والجمالي ، فيكثرون من المنتزهات والحدائق والبرك والقوارات ، ويحيطون المدينة بالخنادق والأسوار . وأهم المدن التي بنيت في العهد الاموي : القيروان في أفريقيا ، وقد بناها عقبة بن نافع عام ٥٠هـ . وكانت عاصمة المسلمين في المغرب ، ولا يزال محراب عقبة في مسجدها ، وما زلت هشاما حتى اليوم .

وواسط في العراق ، وقد بناها الحاجاج في عهد عبد الملك بن مروان على ضفتى دجلة ليقيم العرب فيها ، ومنهم الشاميون بنوع خاص .

الثمينة وكان ابداعهم في صنع القطع الجميلة من البلور الفني الموشح بالصور والحكم ما يلفت الانظار ، ويعود ذلك الى البريق البلوري الموجود في متحف «اللوفر» الى الان .

ومما انتشر عند العرب تعليم الادوات الاواني المختلفة ، مثل الخزف والقاشاني والنحاس والخشب ، بمواد ثمينة ، كالجاج والمصدف ، وكذلك تكفيت المصنوعات المعدنية ، يدل على ذلك قول السيد (لأفوا) : لصناعة التكفيت عند الشرقيين طرق كثيرة ، فالتكفيت يتم بادخال خيوط من الذهب او الفضة الى فرض محدثة في المعدن بالمنقاش ، واسعة القعر ، ضيقة الوجه ، وتكون تلك الخيوط بارزة او مسوأة على حسب رأي الصائغ ، وتارة تركب كما يفعل في دمشق زهرة دقيقة من الذهب او الفضة على الفولاذ او النحاس من بين خطين متوازيين ، فتطرق الاطراف طرقا خفيفا ، فينجم عن ذلك ما يشبه الاطار ، وتارة يمر الصانع ، كما يفعل في القاهرة ، منقاشه المهماري الشكل بسرعة على المعدن الذي يرغب في زخرفته ، فيركب خيط الفضة بالمدق على تلك الاجراء المعدنية وكذلك اشتهر العرب بادخال الفسيفساء - هذه المادة الثمينة - في القصور والمآذن والقباب حتى في التحف المصغرة كالخنجر والدواة .

وما دخل في الاسلام عدد كبير من الفرس والروم ، ومن كان لهم ذوق في الفنون ، وامتزج الفن العربي بفنهم ، ادى ذلك الى تطوير الفن الصناعي عندهم ، فقد حوروا الرسوم المحرمة الى رسوم مباحة من هندسية ونباتية ، ونبغوا في فن الزخرفة وادخلوه الى ابنيتهم ، وتفننوا في

- ٤ - السنساد : وهو اللحن الثقيل ذو الترجيع
الكثير النغمات والنبات .
- ٣ - الهزج : وهو الخفيف .

وعندما انتقلت الخلافة من الحجاز الى الشام اخذ الايميون على الشباب الطامع الى الخلافة الهبات والاموال والبطايا ليشفوهم عنها ، ففكف الشباب على اللهوا وانفقوا اموالهم على المغنيين والمغنيات . وتواحد الى مجالس الغناء في مكة والمدينة والكثير منهم ، فكان في الحجاز ابن سريح والغريض ومعبد وحنين وابن حمز وجميلة وهيفا وطويش . وحبابة وسلمة والزرقاء وابن مسجع . اما اهم آلات الطرب فهي : الدف ، المربع ، القصبة ، والمزمار ، العود ، والناي . بهذه انتشار الغناء الرفيع وازدهرت الموسيقى عند العرب وترقى فن العمارة بشكل مدهش لا تزال شواهد قائمة في بلاد المجد المفتوح : في فرتيبة وابشي哩ة والحرماء . وقد أثرت الفنون العربية لا سيما في العصر العباسي تأثيرا كبيرا في فنون الدول الاوروبية ، وعلى الاخص في فن عمارتها .

قال باتيسيه : « انه لا يجوز الشك في أن البنائين الفرنسيين أخذوا عن العرب في القرنين الحادي عشر والثاني عشر من الميلاد ، كثيرا من العناصر المعمارية المهمة والزخارف الفنية الجميلة . افلم نجد في كاتدرائية بويا التي هي من اهم البناءات النصرانية بابا مستورا بالكتابات العربية ؟ اولم تقم في اربونة وغيرها حصون على حسب الذوق العربي ؟ وقد ذكر سبيو لانورمان الذي لم يكن أقل حجة من باتيسيه : « ان تأثير

كما ابدع العرب في بناء المساجد ومحاريبها وقببها ومائذنها وعقودها ، برعوا في بناء القصور والدور والمدارس والمارستانات والقنطر والجسور والحمامات ، وما تزال المساجد الاسلامية صورة رائعة لتطور الفن العربي ، عهد ذلك ، والحضارة الاسلامية .

واهم مزايا الفن العربي في البناء :

- ١ - القرنصات : وهي تشبه خلايا النحل وتكون في شقوق المباني وواجهات العمارات .
- ب - القبب : ذاتت في العوائد الاسلامية وهي منبسطة الشكل او بصليتها تزين سطوحها بالقاشاني الاخضر ، ومن أجل ذلك سميت بالخضراء ، وأنشرها خضراء معاوية في دمشق ، وخضراء الحجاج في واسط .
- ج - شرفات الابنية : وتبني على شكل اسنان المنشار .
- د - الاقواس : ومنها المدبب ، والمستدير .

٣ - الموسيقى والغناء وآلات الطرب :

كان للعرب قبل الاسلام أنواع من الغناء ، كاغاني القوافل والاغانى الحربية والدينية والفرامية ومنها ما لا يزال موجودا في التلبية اثناء الحج ، وفي تجويد القرآن وترتيله . وكان الحداء اقدم أنواع الغناء عند العرب ، وقد شاع الغناء في الحجاز على ثلاثة الحان .

- ١ - النصب : وهو غناء القيان والركنان ويقال في المراطي .

وخلصة القول ان تأثير الحضارة العربية في الحضارة الغربية كان عظيماً وجلياً ، فالعرب هم الذين أبدعوا في جميع العلوم والفنون ابداعاً مختلفاً كثيراً عن الحضارات التي عرفتها البشرية عند الامم الفاتحة وهم الذين فتحوا لاوروبا أبواب المعرفة من علمية وأدبية وفلسفية وظلوا استاذة لها مدة ستة قرون وكانت حضارتهم خير نواة للحضارة الغربية الحديثة .

ولعل خير ما اختتم به هذا البحث كلمة «سبنسر» الآتية :

« لا يستطيع عالم واحد أن يتأمل القبة الزرقاء دون أن يلحظ أسماء عربها . ولا يستطيع عالم طبيعي أن يحلل ورقة من الشجر أو يفحص صفرة من الصفور دون أن يتذكر درساً عربياً . ولا يقدر أي قاضٍ أن يبتاليوم في اختلاف دون أن يستدعي مبدأ امته العرب . ولا يستطيع أي طبيب أن يتلمس دائرة أحد الامراض المعروفة منذ القدم دون أن يهمس بأراء طبيب عربي » .



العرب واضح في كثيর من الكنائس الفرنسية ، مثل ذلك كنائس ماغيلون وكانده أغاماش » . وقد تحدث « شار بلان » عما اقتبسه الاوروبيون عن العرب فقال : « أرى من غير مبالغة ، فيما لاحدي الامم من التأثير في أمة أخرى ، ان الصليبيين الذين شاهدوا ما اشتمل عليه فن العمارة العربي من الشبابيك وشرف المآذن والافاريز ، ادخلوا الى فرنسا المراقب والجوابق والابراج والاطناف ، التي استخدمت في العمارات المدنية والخربية ، في القرون الوسطى » . ولقد تجلى في اسبانيا على الخصوص تأثير العرب المعماري العظيم ، الذي غفل عنه العلماء الاوروبيون انفسهم ، وقرر « شافوييه » الذي شيد في القرن الحادى عشر من الميلاد كان على طراز قصر طليطلة العربي ، وقد أمر بانشائه « لازفونش السادس » بعد ان طرده اخوه والتجأ الى العرب في طليطلة ودرس قصرها وعاد الى مملكته ، واصبليية حافلة بذكريات العرب ، فلا تزال بيوتها تبني على الطراز العربي ، ولا بزال الرقصون والموسيقى فيها على الطريقة-

العربية .



ابن عساكر: أخذ وعطاء

د. بشار عواد معروف

جامعة بغداد

عالية وشهامة واقدام ورأي وهيبة شديدة ، ضبط امور الخلقة ورتبتها احسن ترتيب ، وأحيا رم الخلقة ونشر عظامها ، وشيد اركان الشريعة وطرز اكمالها ، وبإشر الحروب بنفسه ، وخرج عدة نوب الى الحلة والموصل وطريق خراسان ^(٢) . ومن اجل كل ذلك كان المسترشد بالله ينترب الى شعبه وينسب بدينه فسمع الحديث من أبي القاسم ابن بيان وعبد الوهاب بن هبة الله السبيبي وغيرهما ، بل قرأ عليه الحديث محمد ابن مهر بن مكى الاهوازي اجزاء الحسن بن مرارة بسماعه من ابن بيان ، وكان ابن الاهوازي يقرأ عليه والخليفة سائر بقرب الماذن لقتال دبليس بن مدقنة المتغلب على الحلة ^(٣) . وهذا ابنه الراشد خذوه في الحرب ، محاربه السلطان وخلمه ^(٤) . وولي المتنفس لامر الله سنة ٥٢٠ هـ حيث لزم الصمت مدة حتى اذا وجد الفرصة موائة بعد ذلك قال : « لا صبر على الفضم بعد اليوم » وطرد الشفاعة (وكيل السلطان) واستولى على املائه وأملاك المؤيدين للسلاجقة ، وبإشر الحروب بنفسه فقاد الجيوش وملك العراق من اقصى الكوتة الى حلوان ومن تركيت الى هبادان ، وعاونه في ذلك وزير العالم الجليل ابن هبيرة ^(٥) .

وكانت بغداد في مطلع القرن السادس من اعظم المراكز العلمية العربية الاسلامية ولا سيما في العلوم الدينية ، كالحديث والنحو وتواكبها كالتاريخ والادب

رحل الحافظ ابن عساكر الى بغداد رحلتين : اولاًها سنة ٥٢٠ هـ وهي الرحالة الرئيسة التي استمرت قرابة الحس سنين ، وثانيةها سنة ٥٣٣ هـ مند انتهاء رحلته الى شرق العالم الاسلامي ^(٦) .

وكانت الدولة العباسية خلال هذه الفترة قد اخذت تستيقن وتحاول اعادة مجدها ووسط سلطاتها الذي لم يبق السلاجقة منه ما يذكر ، وظهرت بوادر تلك البقظة بظهور شخصية عباسية مظيمة هي شخصية الخليفة المسترشد بالله ٥١٢ - ٥٢٩ هـ ^(٧) . وكان المسترشد يوم ولد الخليفة في مز توته : شباباً لم يتجاوز السابعة والعشرين من عمره ، محاول جاهداً الحمد من ثفوذه التقليبين على الخليفة كبن مزيد وغيرهم ، وبإشر الحروب بنفسه ، ثم اخذ يقطع الى شيء آخر من ذلك : هو ابعاد التلوز السلاجوقى من الخليفة العباسية ، ولم يكن ذلك بالأمر البسيط والسلاجقة في مز توته سلاطينهم الاتوياة مثل السلطان محمود وولده مسعود يسيطران على نهر الامور . وعلى الرغم من ان هذا الخليفة العظيم قتل سنة ٥٢٩ هـ نتيجة لمؤامرة بين الباطنية والسلاجقة فانه كان طلاقانياً فتح الباب على مصراعيه لمن جاء بعده للتوتوه بوجه التلوز السلاجوقى ، قال مؤرخ الاسلام شمس الدين الذهبي : « كان ذا همة

واللغة ، ولا أدل على كيانتها من ذلك العدد الفضم من متبنني الرواية الذين عاشوا فيها أو قصدوها من شئون بناء العالم الإسلامي والذي يظهر من خاتمة النيل الذي وضعه أبو سعد ابن السمعاني على تاريخ الخطيب ، فعلى الرغم من أن الفترة الزمانية التي تناولتها الكتاب لا تزيد على القرن الواحد ٤٦٢ - ٥٦٢ م أنه كان بحجم تاريخ الخطيب تقريباً (١) .

ويذات المدارس منتشر في هذه المدينة منذ منتصف القرن الخامس الهجري انتشاراً كبيراً ، متوجة بإنشاء المدرسة النظانية سنة ٥٩١ هـ والتي أصبحت منارة للعلم ومقدساً لطلبه (٢) .

ولم تكن بغداد منطقة جذب للعلماء بسبب مكانتها المطيبة حسب ، لكنها ، وهي دار العلم آنذاك ، كانت تقع على طريق الحجاج القادمين من شرق العالم الإسلامي الرازح آخر آنذاك بطاقة عظيمة من مشاهير العلماء ، لكن هؤلاء ينهزون هذه القرمة عند المرور ببغداد للسماع أو التحدث بها لم يغور كل ذلك على الطالب القادم إليها تعباً في لقاء هؤلاء الشيوخ (٣) .

وقد أسمى المحدثون المسلمين خلال تلك المصور في الحفاظ على الوحدة الثقافية بين أرجاء الوطن العربي والعالم الإسلامي برحلاتهم الكثيرة الطويلة وتنقلهم بين مدنه وآياته ، ونشر رأية اللغة العربية في أرجائه . وكان المسلمون يعتبرون العالم الإسلامي كلّه موطنًا وداراً لهم ، وينتّل توطيد الصلات بين أجزاءه بالرغم من اختلاف حكامه (٤) .

وكانت العلاقات الثقافية بين دمشق وبغداد قائمة على قدم وساق منذ أقدم العصور ، لكنها توغلت بشكل أكبر خلال هذه الفترة ، فقد رحل عالم بغداد ومؤرخها الخطيب البغدادي مثلًا إلى دمشق غير مرّة ومكث فيها مئنة طولية لم يمكنها في مدينة أخرى سوى بغداد ، وكان يعقد مجلسه في الجامع الأموي بدمشق يحدث بمحضاته ومحفلات غيره رغم سيطرة الناطقين عليها وعزم ارتياحهم من شانه العلمي (٥) .

وكتيراً ما كان الدماشقة يرحلون إلى بغداد ، بل ويستوطنها بعضهم ، فالحافظ أبو القاسم ابن السرقيendi ولد بدمشق سنة ٥٤٥ هـ وسُعّ بها ثم رحل

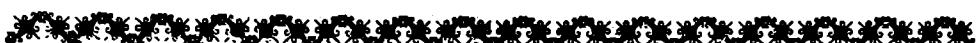
به وبأخيه أبوهما المقري ، أبو بكر أحمد في حدود سنة ٤٦٩ هـ وسكنوها ، وأصبح ابن السرقيendi بعد ذلك من أهالي علماء بغداد في مصره إلى حين وفاته سنة ٥٣٦ هـ (٦) . وتم أبو عبد الله الحسين بن الحسن المقسي الحنفي المقري ، من الشام إلى بغداد وهو في السابعة عشرة من عمره سنة ٧٠ هـ فاستوطنه وتلقه بها وولى إمامية مشهد أبي حنيفة بها (٧) .

وكانت علاقة حائلة الحافظ أبي القاسم ببغداد قوية جداً ، فقد رحل إليها جده لأمه القاضي أبو المفضل يعني ابن علي بن عبد العزيز القرشي الاموي (٨) - (٩) واسعها بها من ميد الله بن طاهر التميمي الفقيه وغيره ، وتفتقها بها على الفقيه أبي بكر الشاشي ، كما أنه مر بها عند ذهابه إلى الحج سنة ٥١٠ هـ (١٠) .

ورحل إليها خاله ، بل إن خاله زين القضاة إبا المكارم سلطان بن يعني (ت ٥٢٠ م) صلى التراويح بالتنظيمية ، ووعظ بها ، وخلع عليه الخلية هناك (١١) . ورحل أخيه الصائن عبد الله بن الحسن (٤٨٨ - ٥٦٢) إلى بغداد سنة ١١١ هـ (١٢) ، وحج سنة ٥١١ هـ ورجع إليها يعني فيها حتى سنة ٥١٤ هـ (١٣) .

وكانت رحلة الحافظ أبي القاسم مع العلم وطلبه قد بدأت منذ طولته ، حيث تلقن القرآن الكريم (١٤) ، وأحضر مجالس المساع ، واستجاز له أهله كبار العلماء ابن طولونه ، ثم أخذ هو يسمع بمنته . والظاهر أنه كان يتسوق إلى الرحلة إلى البلدان الأخرى ولا سيما بغداد ، لكن أهله كما يبدو لم يكتو من ذلك في أول الأمر ، فلما بلغ الخامسة والعشرين من عمره ساحت له أمه بالسفر إلى بغداد ، لكنها اشتربت عليه إلا برحيل إلى شرق العالم الإسلامي (١٥) . ولم يكن الحافظ ابنًا عاتقاً يخالك إرادة أنه لا سيما أن أداب طلب العلم تتضمن استئذان الآباء في الرحلة (١٦) ، ووجوب طاعتهمما وبرهما وترك الرحلة مع كراحتهما ذلك وسخطهما (١٧) .

وكان الحافظ - رحمه الله - في أشد الشوق إلى الرحلة إلى بغداد فقد حكى زين الأنباء ابن عساكر لعمر بن الحاچب أن إبا القاسم لما مزم على الرحلة اشتري جلا وتركه بالخان لما رحل الفقل تجزع وخراج نوجد الجمال قد مات ، فقال له الجماعة الذين خرجوا



لوداعه : ارجع لها هذا مال مبارك ، وفندوا عزمه ،
ذكر لهم أن مثل هذا لا يتنى عزمه ، وأنه لابد من الرحمة
حتى مشيا على قدميه ، ثم حمل خره واقتري من الركب
بعيرا (٢٢) .

ومما لاشك فيه انه وصل ببغداد قبل شهر رجب
من سنة ٥٢٠ هـ ، وهو الشهر الذي توفيت فيه شيخته
البغدادية ناططة بنت عبد القادر ابن السماسك ، وقد ذكر
الذهبى أنها أسلمت شيوخه ببغداد وفاة (٢٣) . وأذا
استثنى ذهابه إلى الحج سنة ٥٢١ هـ وسماه هناك (٢٤)
ورجوعه إلى دمشق للمرة (٢٥) فأنه بقي ببغداد حتى
سنة ٥٢٥ . ونحن نعلم أيضا أنه كان بدمشق في شوال
سنة ٥٢٥ وهو الشهير الذي توفى فيه شيخه أبو علي
الحسن بن سليمان (٢٦) النهروانى مدرس الناظمية (٢٧)
فقال في كتاب تبيان كتاب المترى : مجرد على بعد عودي
من بغداد كتاب الشريف أبي المغر المبارك بن أحمد بن
عبد العزيز الانصاري نذكر أنه توفي في يوم الاثنين
الخامس من شوال سنة خمس وعشرين وخمسينة (٢٨) .

اما الرحلة الثانية الى بغداد وكانت رحلة تصرة
من ضمن رحلاته العامة الى المشرق التي ابتدأها سنة
٥٢٩ فتوقف ببغداد سنة ٥٣٣ وسافر على شيوخها
 ايضا ، وحدث بها ، ثم عاد الى دمشق ليبدأ شطاطه
 المظيم في مطاء علمي فغير هايل لم يتقطع طيلة حياته .

ويبين ان ابو القاسم الدمشقى لم يرحل غير هاتين
الرحلتين الكبيرتين ، ودلالة ذلك انه حينما عاد الى
دمشق سنة ٥٣٣ كان يأمل ان تصل بعض نسخ
 ساعاته من رفيقه ابن الوزير ، وحينما تأخر
وصول النسخ ولم يصل احد من رفقاء كان يقول : « ملا
بد من الرحلة ثالثا » ثم وصلت اليه وغفر بها ولم
يرحل (٢٩) .

وهكذا كانت رحلته الاولى وهي اطول رحلاته
مخصصة لعاصمة القناة اذناك ببغداد ، اما الثانية
لمكانت غاليتها الرئيسة مشرق العالم الاسلامي ، لكن
بغداد لم تقن عن نفسه تعرج عليها بعد انتهاء رحلته
المشرقية .

وحيثما وصل ابو القاسم الى بغداد واظبه على
حضور الدرس بالمدرسة الناظمية (٣٠) ، وكان شيخه

مدرس الناظمية الحسن بن سليمان بن عبد الله ابن الفتى
النهروانى الاسبهانى ، نزيل بغداد . وقد ولى تدريس
النظامية في اول رحلة ابن عساكر الى بغداد وبقي
مدرسا بها الى حين موته في شوال سنة ٥٢٥ هـ . وكان
ابن عساكر من المعجبين به ، قال : « ولسي تدريس
المدرسة الناظمية ببغداد اذ كنت بها وكان من يملا
العين جمالا والذن بيانا ويرى على اثراته في النظر انه
كان المصحح لسانا (٣١) .

ودرس الخلاف ببغداد على الشيخ ابي سعد
اسسامي بن احمد بن عبد الملك النيسابوري (٣٢) -
(٣٣) ، وكان شيخا ذا راي وعقل وتدبر وفضل
واقر (٣٤) ، قال ابن عساكر : « كان اماما في الاموال
واللقاء حسن النظر متقدما في التذكرة .. لقيته ببغداد
سنة احدى وعشرين وخمسة وسبعين منه (٣٥) ».
الا ان نهاية ابي القاسم الدمشقى انصببت ببغداد ،
وبغيرها فيما بعد ، على سماع الحديث ، ماتطلق فيه
حتى طفى على كل تذكرة ، واستفرق كل حياته بعد
ذلك ، لسماع ما يخص كثرة من الكتب والاجزاء ،
ولقى ببغداد مئات عبادة من الشيوخ والشيوخات ، يدل
على ذلك مجمع شيوخه ، كما تدل عليه تاليفه . واسيب
بالشرفة في سماع الحديث وتراهه حتى كان يسمع من
اناس قد لا يرضي عنهم ، لقد سمع مثلا من ابي المعالى
خطيب بن جعفر بن احمد السراج (٣٦) المتوفى سنة ٥٢٤
وهو « عami لا يدرى شيئا اثنا سمعته ابوه بدمشق ..
وعاد به الى بغداد (٣٧) ، وسمع من ابي الاعز تراثين
ابن الاسعد بن مثكور التركى البغدادى الارجى (٣٨)
المتوفى سنة ٥٢٤ فـ سـ تـ سـ لـ هـ هـ فـ قـ تـ الـ هـ : « ما كان
يعرف شيئا (٣٩) ، وسمع عبد الله بن محمد البهقى
الخسروجardi (٤٠) المتوفى سنة ٥٢٣ ، وقال ابن
السعدي : سالت عنه ابا القاسم الدمشقى ، فقال :
ما كان يعرف شيئا (٤١) . وسمع من ابي السعود احمد
بن علي بن محمد ابن الجلي (٤٢) المتوفى سنة ٥٢٥
« ولم يكن يعرف شيئا من الحديث ، وكان يعظ وينذر
بجامع القمر (٤٣) » ، وروى عن عبد الله بن محمد بن
نجا ابن شائيلي المراتبي البهنس (٤٤) المتوفى سنة ٥٢٥
 ايضا « وكان لا يعرف شيئا (٤٥) » ، وقال عن شيخه ابي
عمرو ثمان بن احمد بن عبد الله بن دحروج البغدادى
النصرى (٤٦) المتوفى سنة ٥٢٧ : « ما كان يفهم

شيئاً » (٤٥) ، وقال من شيخه أبي منصور أحمد بن محمد بن أحمد ابن السلاط الوراق الناشئ المتوفى سنة ٥٢٨ وقد روى عنه في مجمع شيوخه (٤٦) : « وكان بشش الشیوخ قبل الصلاة » (٤٧) وهم جرا .

ان عدد الشيوخ الذين أخذ عنهم أبو القاسم ببغداد يفوق عددهم في أيام مدينة أخرى يدل على ذلك معجم شيوخ حيث نجد فيه مئات مدينة ، لكنه أكثر عن بعضهم نظراً لكتابتهم العلمية وما حصلوا عليه من اسناد عال في الرواية ، قال ربيه المحدث أبو الموهاب الحسن ابن هبة الله ابن صدرى الريعي البلدى الأصل المشتى الدار والوفاة المتوفى سنة ٥٨٦ (٤٨) :

« أما أنا فكنت إذا ذكرت في خلواني عن الحفاظ الذين لقيتهم فقال : أما يا ببغداد يا أبو علي العبدري » (٤٩) . وكان أبو عامر محمد بن سعدون بن مرجي القرشي العبدري المورقى نزيل بغداد المتوفى سنة ٥٤٤ أحد الحفاظ المذكورين والعلماء المبرزين ، ومن كبار القتماء الظاهرية : قال أبو القاسم : « كان فقيها على مذهب داود ، وكان أحفظ شيخ لقيته » (٥٠) .

وقد ادرك الحافظ ابن عساكر في بغداد سند العراق العظيم أبي القاسم هبة الله بن محمد ابن الحسين الشيشاني المذاقاني الأصل البغدادي (٤٣ - ٤٢) ، وكان من الشيوخ الفتاة الواسعى الرواية ، وقد تفرد برواية سند الإمام أحمد ، وأحاديث أبي بكر الشافعى واليشكريات (٥١) .

وسمع بها من أبي العز أحمد بن عبيد الله ابن كادش العكبرى البغدادى (٤٦ - ٥٢٦) وكان آخر الروا عن أقضى الفتنة أبي الحسن المأوردى (٥٢) . ومن أبي الحسين محمد بن محمد بن الحسين ابن الفراء البغدادى الحتبلى المتوفى سنة ٥٣٦ صاحب طبقات الحتبلة (٥٣) .

وأخذ الحافظ عن أبي الحسن علي بن مبيد الله بن الزاغوني (٥٥ - ٥٧) شيخ العتبة ببغداد . وكان أماماً نقيها ، متبحراً في الأصول والفرع ، مفتينا ، واعطاً ، مناظراً ، ثقة ، مشهوراً بالصلاح والديانته والورع والصيانته وكثرة التصانيف (٥٤) .

وأكثر عن أبي القاسم هبة الله بن احمد بن عمر

البغدادى الحريري المترى المعروف بابن الطبر (٤٥) - ٥٢١) خال الحافظ عبد الوهاب الانطاوى ، وهو من الشيوخ المعتبرين الثقات العارفين بالعربىة (٤٥) . واخذ عن أبي منصور عبد الرحمن بن محمد بن زريق الشيبانى القزار البغدادى الحريمى (٤٦) - ٥٣٥) وكان قد سمع التاريخ من الخطيب ورواه (٤٧) .

ومن كبار شيوخه البغداديين أيضاً القاضى أبو بكر محمد بن عبد الباقى بن محمد الأنصارى البغدادى الخلبى البزار المعروف بقاضى المارستان (٤٨) - ٥٣٥) قال الذهبى : « سند العراق بل سند الآفاق .. روى عنه خلق لا يحصون منهم من مات في حياته وبنهم من تاجر » (٤٩) .

وسمع الكثير على أبي القاسم اسماعيل بن ابن السمرقندى المولود بدمشق سنة ٥٤٤ والمتوفى ٥٣٦ ببغداد الذي كان واحداً من اعظم علماء بغداد (٥٠) بحيث كان الحافظ أبو العلاء العطار البهائى يقول : ما اعدل ببابى القاسم السمرقندى احداً من شيوخ العراق وخراسان ، وقال ابن عساكر في حقه : كان ثقة مكثراً مصاحب أصول ، وكان دللاً في الكتب .. وعاش الى ان خلت بغداد وصار محدثها كثرة واسناداً ، وقد اطلق فى جامع المتضور في أيام الجميع زيادة على ثلاثة مئة مجلس » (٥١) .

وسمع ابن عساكر ايضاً من الشيخ الحافظ الثقة المتنى الكبير السباع الواسع الرحطة ابن البركات عبد الوهاب بن المبارك الانطاوى (٤٦٢ - ٥٣٨) ، قال ابن السمعانى : جمع اللواند وخرج التخاريج . ولعله ما بقى من العالى والنماذل جزء الا قراه وحصل نسخته اما بخطه ، او بخط غيره . ونسخ الكتب الكبار مثل طبقات ابن سعد وتاريخ الخطيب . وذكره أبو موسى الدينى في معجمه ، مقال : حافظ عصره ببغداد (٥٢) .

ومنهم ايضاً ابو منصور محمد بن عبد الملك بن الحسن بن خiron البغدادى المترى الدباس (٤٣) - ٥٣٩) ، وهو من الشيوخ المعتبرين الثقات البارعين في القراءات . حيث بكتاب النسب للزبير بن بكار عن ابن

السلمة ، وسمع أكثر تاريخ الخطيب وكان يشخّصه
وبيعه (١٢) .

وروى الحافظ أبو القاسم عن عدد من الشيوخ
اللائي التقى بهن في بغداد وسمّع عليهن ، منها :

فاطمة بنت عبد القادر بن أحمد بن الحسين ابن
السمّاك الواصطة ، وتدعى المباركة المتوفاة سنة ٥٢٠ ،
قال الذهبي : « وهي أقدم شيخ توفى له في بغداد » (١٣) .

فاطمة بنت الحسين بن الحسن بن فضولي
الرازي . العالمة المعروفة بـ بنت حمزة ، قال الذهبي :
« واعظة مشهورة ببغداد مت McBride لها رباط ياوي اليه
النساء . روت عن ابن المسلمين ، وأبى بكر الخطيب .
روى عنها أبو القاسم ابن عساكر ، وقال : توفيت في
ربيع الأول (١٤) (سنة ٥٢١) .

فاطمة بنت أبي الحسن علي بن الحسين بن جدّاً
المكربلي البغدادية المتوفاة سنة ٥٢٦ (١٥) .

وكريمة بنت الحافظ أبي بكر محمد بن أحمّد بن
الخاضبة المتوفاة سنة ٥٢٧ . روت عن أبي الحسين
ابن التبور . قال ابن السمعاني : رأيت نسخة لتاريخ
بغداد كاملة بخطها (١٦) .

ومهناز بنت يانش الرومي ، أم بشارة البغدادية .
سمعت من أبي جعفر ابن المسلمين « ملة المناق » .
روى عنها أبو المهر الأنصاري وابن عساكر ، وتوفيت
سنة ٥٢٠ وقد نسبت على التسعين (١٧) .

اثر بغداد في تكوينه الفكري :

كان أبو القاسم طيلة مقامه ببغداد لا يكل عن
السماع والتحصيل ولا ينقطع عندهما وكان رفقته في
الطلب ، ومنهم ابن مصرى « ت ٥٨٦ » يدركون هذا
الحماس في الدراسة والتحصيل ، فكان ابن مصرى
يقول : « ماكنا نسمع الشیخ ابا القاسم ببغداد الا شعلة
ثار من توقده وذکائه وحسن ادراكه » (١٨) فجتمع من
العلم ما لم يجعله غيره « ورجع بعلم جم وسماعات
كثيرة » (١٩) ، ولا ادل على ضخامة زاده من بغداد تلك
الروايات الكثيرة التي نقلتها عنهن في كتبه ، ففي المجلدة
الأولى من تاريخ دمشق نجده يورد أكثر من مئة وعشرة

نصوص عن أبي القاسم ابن السمرقندى ، وأكثر من
خمسين نصاً عن ابن الحسين ، وقرابة الأربعين نصاً
عن ابن البناء ، والثلاثين نصاً عن محمد بن عبد الباتى
الأنصارى ، وهلم جرا (٢٠) .

وصل ابن عساكر إلى بغداد وهو في مطلع شبابه :
في الحادية والعشرين من عمره ويكتفى فيها تراجمة الخمس
سنوات لم ينقطع فيها عن التحصيل والدرس . وهذه
النترة ، في رأينا ، هي التي أثرت تأثيراً عظيماً في تكوينه
الفكري وطبعته بطابع أهل بغداد المحبي للحديث
وروایته ودراسته جبًا شفّاف عن كثير من العلوم
الآخرى . وفي بغداد كانت الشارب التي أخذ عنها أبو
القاسم متنوعة النوع كله ، ففي شيوخه اشاعرة
وسلبية منهم المرن وفهم المتعصب لعقائده ، وهو لم يترك
أحداً استطاع مجالسته والسماع عليه والأخذ عنه ،
نعلم الرغم من اشاعرية التي ورثها عن والدته ، ودفعاه
عن الاشاعرة والذب عنهم ما استطاع إلى ذلك سبيلاً
(كما يتضح من كتاب التبيين) ثاناه ما كان ليحجب عن
الأخذ من شيوخ كانوا يعادون الاشاعرة ، فقد أخذ
متلاً لا حمراً ، عن الثافى أبي الحسين محمد ابن
الثافى ابن يعلى محمد ابن الفراء الحنبلى البغدادى
المتوفى سنة ٥٢٦ هـ صاحب طبقات الحنابلة وقد قال
فيه السلفى الحافظ : « كان أبو الحسين متعصباً لذاته
وكان كثيراً ما يتكلم في الاشاعرة ويقول لهم
ويسمعتهم » (٢١) .

وبسبب اتصال الحافظ أبي القاسم بشيوخ من
مشارب مذهبية وعقاتية متنوعة وجبه واحترامه لهم ،
وتجدداته ينشأ على غاية من النزاهة من التعمّب الذي
عُرف به كثير من الاشاعرة وخصوصهم . ولم يكن تحقيق
ذلك النزاهة والرونة في تلك الاعصر من الامور الهينة
والبيئة الدمشقية والبغدادية آنذاك مشحونة بها .

وعلى الرغم من اشاعرية الحافظ ابن عساكر فقد
اتصل اتصالاً هائلاً بالحديث والحدثين يذكرنا باتصال
الحنابلة به ، فقد أثني عمره في سماع الحديث وروايته ،
والف معظم كتبه في هذا المجال الذي أخذ بجماع نفسه .
وتتملّق قيبة التاريخ عند الحافظ ابن عساكر
اتصالاً وثيقاً بالحديث . وهو أمر يعكس مفهومه وفلسفته

) - الف ابن عساكر تاریخه بعد الخطیب ولا ریب انه استفاد بعض طریقته في التنظیم وحستها بما يتلائم وتکونیه التکری وذوقه التاریخی المتصل بالحدیث والمحدثین .

من کل ذلك نستطيع القول ان شهرة تاریخ الخطیب ومکانته ودخوله في الكتب المرویة قد شجعت الحافظ ابن عساکر على القيام بمشروعه العظیم لتأریخ مدینة دمشق في الاقل ، ولا بد ان اهتمام من طریقته سواه اکان ذلك في اتباع بعضها لم في تجنب البعض الآخر او تحسینه . ولا يشك يباحث بأن غزارۃ مادہ ابن عساکر في تاریخ دمشق اعظم من تلك التي في تاریخ بغداد للخطیب ولا سبیا في الخطط وسعة التراجم .

العطاء :

حينما قدم ابن عساکر الى بغداد اعجب به البغداديون وقالوا : قدم علينا من دمشق ثلاثة ما رأينا مثلهم : الشیخ يوسف الدمشقی ، والصانع ابو الحسین هبة الله بن الحسن ، واخوه ابو القاسم (٢٣) . وقد بدأ عطاؤه ببغداد قبل دمشق ، ففي رحلته الاولى خرج الشیخ ابن غالب احمد بن الحسن بن احمد ابن البناء البغدادی الخلبی « ٤٤٥ - ٥٢٧ » مشیخة (٢٤) ذکر ابن البيشی أنها في نحو عشرة اجزاء تكلم على احاديثها وأحسن (٢٥) . وسمع منه ملید بغداد أبو بكر البارك ابن كامل بن أبي غالب الخفاف البغدادی الظفری (٤٩٠ - ٥٤٢) وهو أسن منه (٢٦) ، قال ابن الجوزی : « انتهت اليه معزنة الشایخ ومقدار ما سمعوا والاجازات لكترا دریته في ذلك (٢٧) ». وتوفي البارك بن كامل الخفاف قبل أبي محمد مکنی بن المسلم بن علان آخر الرواة من الحافظ ابن عساکر بیهنة وتسع سنین ، فقد كانت وفاته ابن ملأن في سنة ٥١٦ (٢٨) .

ونظرنا لمکانة المرموقة التي احتلها ابن عساکر ببغداد شأنه كان يسأل عن الرواۃ من حيث الجرح والتتعديل فترک ذکر اقواله نیم وتعتبر عندهم اقصى حدود الاعتبار (٢٩) .

لقد اثام الحافظ ابن عساکر بعد رجوعه الى دمشق علاقات وطيدة مع جملة من علماء بغداد ، ثبیق تبادل المعلومات العلمیة بينهم قائمها (٣٠) ، وكان يحرص

في الدراسة والعطاء ، فالتأریخ عنده ليس اکثر من معین لمعرفة صحیح الحديث من سقیمه في اغلب الاحیان ، لذلك وجدها يعني بالترجم عنایة فائقة ويؤثر المحدثین من المترجمین على من سواهم في كتبه ولا سيما في تاریخ الخطیب لمدینة دمشق .

وقد استعمل الحافظ مناجع البحث عند المحدثین في عرض الروایات التاریخیة ، فاستعمل الاسناد بشكل كبير في كتبه ولا سبیا تاريخ دمشق . وبعد استعمال الاسانید عند اهل الحديث من ادق طرق ذکر المصادر ، يقدر ما نجعی اليوم بالحوالی المرویة في البحوث الحديثة ، كانت الاسانید عند اسلامنا هي هذه الحوالی المرویة بل اکثر دقة والتزاما .

كما يتضاع اثر الحديث في صياغته للترجمة ونوعية المادة التي يوردها فيها : من اسم ، ونسبة ، ومولد ، ووناء ، وشیوخ ، وتلذیذ ، وتقویم واحکام ، وهو الاطار الذي وضمه المحدثون ، وهو أحدھم ، لمناصر الترجمة التي انتقلتھ منہم الى غيرھم من المعینین بالترجم (٢٢) .

ويذكر ابن خلکان ان ابن عساکر الف تاریخه لدمشق على نسق تاریخ بغداد الخطیب . ومع انتشار لا نزید ان نعد مقارنة بين الكتابین لنرى مصادق هذا القول ، كما لا نزید الدخول في البحث عن اول من الدلائل تراجیعیا لمدینة على نسق الخطیب من سبقه لكن علينا ملاحظة جملة امور من ابرزها :

١ - ان ابن عساکر سائر الى بغداد وهو في الحادیة والعشرين من عمره ولم يكن قد بدأ بجمع مادة تاریخ دمشق جمیعا منظما يهدی الى تأییف كتاب عن مدینته .

ان كتاب الخطیب كان كتابا مرموقا من المحدثین والمعینین بالروایة ، فعلى الرغم من صخامتھ كان يروی في المجالس ويسیمه الطلبة على الشیوخ ، وقد رأینا بعض ذلك عند کلامنا على شیوخ ابن عساکر البارزین من اهل بغداد واهتمامهم بهذا الكتاب .

٢ - ان البیکل العلام للکتابین متشابه فهو يبدا بمعتمدة خطیبة ويتناول بعد ذلك ترجم اهل المدینة ومن وردھا من اعلام الناس او حل بها .

على لقاء البغداديين القائمين على دمشق^(١) ليسمع عليهم ويذاكراهم أو يسمعون عليه ويذاكرونه .

وها نحن أولاء نرى كيد آمن أسلفنا المظام بالوحدة بين ارجاء الوطن العربي وطبقوها تطبيقاً عملياً، وعمقها لقاءاتهم المستمرة . وانتنا على يقين من أن مثل هذه الامور تقدم لنا مثلاً رائعاً في الإيمان بحقيقة اللقاء والتوحد ، لا سبيلاً ولاية تم بظروف حصبية يشعر إبناؤها بأنهم محاويح دائمة الى وحدة متينة تجمع شملهم بعد طول تفرق ، وظم شعثهم بعد التمزق الذي كابدوه طيلة صور التخلف والظلم ، فتزدد في قوتهم اليوم قوة متعددة .

ملحق

ترجمة الحافظ ابن عساكر

في كتاب المؤرخين البغداديين غير المنشورة

يتضمن هذا الملحق ثلاثة من الترجمات غير المنشورة التي وضعها مؤرخون ببغداديون للحافظ أبي القاسم ابن عساكر وهو :

١ - الحافظ معين الدين أبو بكر محمد بن عبد الغني البغدادي الخنجري المعروف بابن نقطلة المتوفى سنة ٦٢٩ هـ حيث ترجم له في كتابه «التقىد لمعرفة رواية السنن والسانيد » . وقد اعتبرت نسختي المنشورة من النسخة المخطوطة في الكتبة الإزهيرية تحت رقم ١٣٧ مصطلح الحديث .

٢ - الحافظ جمال الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد المعروف بابن الدبيبي المتوفى سنة ٦٣٧ هـ في تاريخه الذي ذيل به على ذيل ابن السمعاني على تاريخ الخطيب وهو المعروف بـ « ذيل تاريخ مدينة السلام ببغداد » . وتنبع ترجمة الحافظ ابن عساكر في المجلد المخطوط بمكتبة جامعة كبيرة في إنكلترا . وقد حققت هذا الكتاب وبينت وزارة الثقافة والفنون في العراق طبعة ببنقشاتها ظهرت منه الجلد الأول سنة ١٩٧٤ وترجمة ابن عساكر من هذا التاريخ لم تنشر حتى الان .

٣ - الحافظ محب الدين أبو عبد الله محمد بن محمود المعروف بابن النجار البغدادي ، شيخ دار الحديث بالدرسة المستنصرية المتوفى سنة ٦٤٣ هـ في تاريخه الذي ذيل به تاريخ الخطيب البغدادي والمعروف بـ « التاريخ المجدد لمدينة السلام وأخبار نضالها الاعلام ومن وردها من علماء الأئمّة » ، وهو تاريخ حافل يقع في ثلاثة مئة جزء حديثي ، لكن الزمان قد أتى على معظمها فلم يصل إلينا منه غير مجلدين : المجلد العاشر في دار الكتب الظاهرية بدمشق (رقم ٢٢ تاريخ) والحادي عشر في دار الكتب الوطنية بباريس (رقم ٢١٢١ عربي) ، وهما من أصل نسخة اثنينا تكون من خمسة عشر مجلداً ، وفي خزانة كتبى نسختان مصورتان لهذين المجلدين . والملحوظ ان تقع ترجمة الحافظ ابن عساكر في المجلد الذي بالظاهرية الذي يبدأ في انتهاء من اسمه « عبد الملك » وليس في الحظمان نسخة الظاهرية فيها خرم عند هذه الترجمة ما ذهب بمعظمها ولم يبق منها إلا جزءها في أول الورقة ٢١٣ . لكننا في الوقت نفسه وجئنا مختصر هذه الترجمة في انتهاء للحافظ شهاب الدين أحمد بن أيك المياطى الحسامي المتوفى سنة ٧٤٩ هـ .

من هذا التاريخ سماء « المستناد من ذيل تاريخ بغداد » حيث توجد النسخة الفريدة منه بخط المتنقي بدار الكتب المصرية تحمل الرقم ٢٩٦ وفي خزانة كتبى نسخة مصورة عنها . كما نقل قسماً من ترجمة ابن النجار للحافظ ابن عساكر ، مؤرخ الاسلام شمس الدين الذهبي في كتبه ولا سبيلاً في كتابه العظيم « تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام » وكتابيه الآخرين « سيرة اعلام النبلاء » و« تذكرة الحفاظ » . واقتطف تاج الدين السبكي قليلاً منها في « طبقات الشائعة الكبرى » نأخذنا من كل ذلك في اعادة الترجمة بعد المقارنة بين مختصر المياطى وما وصل إلينا منها في نسخة الظاهرية ، وما اقتطفه المؤرخون منها .

وقد ثبتت بتحقيق هذه الترجمات الثلاث وملقت عليها تعليقات مختصرة غایتها ضبط النص وتدعيمه

وتحققه ودفع ايمان قد يقع فيه القاريء ، وتوضيح
ابهام قد ينافي من ورود بعض الاسماء المخضرة .
اولاً :

قال ابن نعنة في التقييد : الورقة ١٧٧ - ١٧٨ .
علي بن الحسن بن هبة الله ، أبو القاسم بن
عساكر الحافظ المشتى .

سمع بدمشق من الشريف أبي القاسم علي (٨٢) بن
ابراهيم بن العباسي الحسيني المعروف بابن أبي الجن ،
وابن الوحش سنين (٨٣) بن المسلم بن قيراط ، وغيره (٨٤)
ابن علي الارمنازي . وببغداد من أبي الحسن علي (٨٥)
ابن عبد الواحد بن أحمد الدبيوري ، وأبي نصر أحمد (٨٦)
ابن عبد الله بن رضوان ، وأبي القاسم بن الحسينين (٨٧) ،
وأبي الحسين محمد (٨٨) بن محمد ابن الفراء ، وأبي
الاعز تراكتين (٨٩) بن الأسعد بن المذكور ، وأبي المز
أحمد (٩٠) بن عبد الله بن كادش . وأبي بكر محمد (٩١) بن
الحسين المزري ، في آخرين . وباصبهان من أبي البرج
سعید (٩٢) بن أبي الرجاد السريفي ، والحسين (٩٣) بن
عبد الملك الخلال ، وأبي القاسم اسماعيل (٩٤) بن محمد
ابن الفضل الحافظ وبنيسابور من أبي عبد الله محمد (٩٥)
ابن النفل الغزاوي ، وأبي محمد هبة الله بن سهل
السيدي (٩٦) ، وزاهد (٩٧) بن طاهر الشحامى ، وأخيه
وجيه (٩٨) . وبهراء ، ومرمو من جماعة .
وحدث باكثر مسموعاته .

وكان حافظ ثقة في الحديث .

ومنك كتاب منها : تاريخ دمشق، وكتاب الطراف ،
وغرائب مالك ، وشيوخ الكتب الستة (٩٩) ، وغير ذلك .
حدث منه أبو سعد السمعاني ، فقال : هو حافظ
متن ، جمع بين معرفة المتن والاسانيد ، ورحل في طلب
الحديث ، وجمع منه مالم يجمع غيره . ورد ببغداد سنة
عشرين وخمس مئة . مولده في العشر الآخر من المحرم
سنة ثمان وسبعين واربع مئة .

فلت : توفي الحافظ أبو القاسم بن عساكر في ليلة
الاثنين حادي عشر من رجب من سنة احدى وسبعين
وخمس مئة .

حشتي عبد الله بن أبي النضل ، قال : سمعت
الحافظ عبد القادر بن عبد الله الراهاوي يقول : قد رأيت
الحافظ أبا طاهر السلفي ، والحافظ أبا العلاء المذاقى ،
والحافظ أبو موسى باصبهان ، ما رأيت نعيم الحفظ ، او
قال : مثل ، أبي القاسم بن عساكر .

ثانياً :

قال جمال الدين ابن الدبيشي في الذيل (الورقة
١٣٦) (١٠٠) :

علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن
الحسين بن عساكر ، أبو القاسم بن أبي محمد الحافظ .
من أهل دمشق .

من اشتهر بفضله وعلمه ، وشاع ذكره وحفظه ،
وعزف افاته وصدقه .

سمع الكثير بيده ، وال伊拉克 ، والجبار .
وخراسان . وكتب الكثير ، وحصل مالم يصله غيره .
ورزقه الله حسن التوفيق فيما منتهى والله ، لمجمع
تاريixa للشام ويسطه واجاد في جمعه وحسن ، وغيره
من الكتب في علم الحديث وفنونه .

وقدم بغداد مرتين : اولاهما في سنة عشرين
وخمس مئة . وسمع فيها الكثير من أبي القاسم ابن
الحسين ، والبارع أبي عبد الله الدباس (١٠١) ، وأبي
العز بن كادش ، وأبي غالب ابن البتاء وخرج له
مشيخه (١٠٢) في نحو عشرة أجزاء وتكلم على احاديثها
واحسن ، ومن أبى بكر المزري ، وأبي القاسم
الشروطى (١٠٣) ، وأبى القاسم الحربرى (١٠٤) ، وأبى
منصور بن زريق (١٠٥) ، والقاضى أبى بكر الانصارى (١٠٦) ،
واسماعيل (١٠٧) ابن السرورقندى ، وعبد الوهاب (١٠٨)
الانطاپى ، وخلق يطول ذكرهم .

وسمع بنيسابور من زاهر الشحامى وأخيه وجيه ،
وأبى عبد الله الغزاوى ، وغيرهم .

وعاد الى بلده ، وحدث بالكتير ، وسمع الناس
منه سنين .

وبنى له نور الدين محمود بن زنكى أمير الشام دار

هو (١١٢) امام المحدثين في وقته ، ومن انتهت اليه
الرئاسة في الحفظ والاقتنان ، (والمعروفة النامة بعلوم)
الحادي والثانية والنبل وحسن التصنيف والتجويد) (١١٣)
ووہ ختم هذا الشان ..

روى (١١٤) عنه جماعة وهو في الحياة وحدثوا عنه
بالاجازة في حياته .

سمع بابا شدة أخيه الاكبر في سنة خمس وخمس
منة من ابى الحسن ابن الموارذيني (١١٥) ، وابى القاسم
النسب (١١٦) ، وابى الوحش سبيع بن قيراط المقرئ ،
وابى طاهر الثنائى (١١٧) . وسمع هو بنفسه من والده ،
وابى محمد ابن الاكتانى (١١٨) ، وابى الحسن بن
قيس (١١٩) ، وطاهر بن سهل الاسفاريانى (١٢٠)

ووحى في سنة احدى وعشرين . وسمع بمة ابا
محمد عبد الله (١٢١) بن محمد بن اسماعيل المcri ..
ورحل الى العراق في سنة عشرين . وسمع الكثير
ببغداد من ابى الحسين ، وابى الحسن الديبورى ، وابى
العز بن كادش ، وابى القاسم الحريري ، ومحمد بن عبد
الباقي الانصاري ، في آخرين . وسمع بالكونفة الشريف
ابا البركات هير (١٢٢) بن ابراهيم الزيدى .

وعاد الى بغداد فاتقاها يسمع الحديث والفقه
والخلاف بالمدرسة النظامية (١٢٣) ، ويكتب ويحصل
خمس سنين . ثم عاد الى دمشق .

ورحل الى خراسان على طريق اذربيجان ، ودخل
نيسابور في سنة تسع وعشرين ، وسمع ابا عبد الله
الغراوى ، وابا محمد السيدى ، وزاهرا الشحامى ،
واخاه وجيهما . و Romero من يوسف (١٢٤) بن ابوب
المهدانى . وسمع بيسطام ، دامغان ، والري ،
وزنجان ، وسمنان .

وعاد الى دمشق بيلي ، ويحدث ، وينصل .

وسمع منه جماعة من شيوخه .

وكان اماما ، حجة ، ثقة ، نبيلا .

حدث ببغداد ، وروى عنه من اهله ابو بكر بن
كامل ، وكان اسن منه (١٢٥) .

قال سعد الخير (١٢٦) : ما رأينا في سن الحافظ ابى

الحديث بدمشق ووقت عليها وقتاً نصرف غلته الى
الشتتين عليه بالحديث فيها .

وكان مونتا في اعماله وتصنيفه .

حدثنا عنه ابو جعفر احمد بن علي القرطبي بمكة .
وغيره .

وذكره تاج الاسلام ابو سعد ابن السمعاني في
كتابه الذي كتبناه هذا مذيل عليه موسمنه بالفضل والحظظ
والاقتنان ، وروى عنه فيه الكثير . وذكرناه نحن لان
وماته تأخرت عن وفاة ابن السمعاني على ما شرطناه .

حدثنا ابو جعفر احمد بن علي بن عتيق المفرسي
لحفظه بالمسجد الحرام في حجتنا الاولى سنة تسع وسبعين
وخمس منة ، قال : اخبرنا الحافظ ابو القاسم علي بن
الحسن بن عساكر قراءة عليه بدمشق ، قال : اخبرنا
ابو الحسن مكي بن ابي طلال البروجردي برقائقى عليه
بني (١٢٦) ، قال : اخبرنا ابو الحسن علي بن احمد بن
محمد الصيدلانى بنىسابور ، قال اخبرنا ابو طاهر محمد
ابن محمد بن محشى الزيادى ، قال : حدثنا احمد بن
محمد بن يحيى بن بلال ، قال : حدثنا يحيى بن الربيع
المكي ، حدثنا سليمان بن عبيدة ، عن ابوبن موسى ،
عن نبيه بن وهب ، من ابائنا بن علان ، من علان مبلغ
بها النبي ﷺ قال : لا تنكح المحرم ولا تخطب .

ابن اانا ابو الحسان عمر (١٢٧) بن ملي الفرشى
الدمشقي ، قال : سالت الحافظ ابا القاسم ابن عساكر
من مولده فقال : في محرم سنة تسع وستين وأربع
منة . وتوفي في حادي عشر رجب سنة احدى وسبعين
وخمس منة .

وقال غيره : في ليلة الاثنين ، وصلى عليه يوم
الاثنين ، ودفن عند ابيه واهله .

ثالثاً :

وتال ابن النجار البغدادي (١٢٨) :

علي بن الحسن بن هبة الله بن الحسين ، ابو
القاسم بن ابى محمد بن ابى الحسن الشافعى ، عزف
بابن عساكر .
من اهل دمشق .

عن تأخره في الرحلة الأولى عن الجيء إلى أصبهان
تقال لم تأذن لي أمي^(٤).

(وقال السمعاني : أبو القاسم كثيـر العلم غـير
الغـافل حـافظ ، ثـقة ، مـتقـن ، دـينـ، خـيرـ، حـسنـ الـسـمـتـ ،
جـمعـ بـيـنـ مـعـرـفـةـ الـمـوـنـوـاـلـاسـانـيـ .ـ صـحـيـحـ الـقـرـاءـةـ ،ـ مـتـبـثـتـ
مـحـاطـ .ـ رـحلـ وـتـبـعـ وـبـالـلـفـلـ إـلـىـ الـطـلـبـ إـلـىـ أـنـ جـمـعـ مـاـ لـ
جـمـعـ غـيرـ ،ـ وـأـرـبـىـ عـلـىـ أـنـرـانـهـ .ـ وـيـخـلـ نـيـسـابـورـ قـبـلـ
بـشـهـرـ أـوـ نـوـهـ فـيـ سـنـةـ شـعـعـ وـعـشـرـينـ فـسـعـ بـقـرـاطـيـ
وـسـعـتـ بـقـرـاعـتـهـ مـدـةـ مـقـابـلـاـ بـهـاـ ،ـ إـلـىـ أـنـ اـنـقـ خـروـجـهـ
إـلـىـ هـرـةـ وـخـروـجـهـ إـلـىـ أـصـبـاهـانـ .ـ وـاجـتـمـعـ بـهـ بـيـنـفـادـ
بـعـدـ رـجـوعـهـ فـيـ سـنـةـ ثـلـاثـ وـثـلـاثـينـ ،ـ وـسـعـتـ مـنـ كـابـ
ـالـمـالـاسـلـ »ـ بـحـثـقـ وـمـعـجمـ شـيوـخـهـ .ـ وـكـانـ تـدـ شـرـعـ
ـفـيـ التـارـيـخـ الـكـبـيرـ الـمـدـيـنـةـ بـحـثـقـ وـصـنـفـ الـتـصـانـيـفـ وـخـرـجـ
ـالـخـارـجـ^(٥) .ـ وـيـدـ اـنـصـرـافـ إـلـىـ خـرـاسـانـ كـانـتـ
ـكـبـهـ تـعـلـمـ إـلـىـ وـأـنـدـ الـيـهـ جـوـابـهاـ .ـ

كتبـ إـلـىـ أـبـوـ مـحـمـدـ الـقـاسـمـ بـنـ عـلـيـ بـنـ الـحـسـنـ بـنـ
ـعـيـةـ الـهـلـ الشـائـعـيـ ؛ـ قـالـ :ـ وـلـ أـبـيـ فـيـ الـمـحـرمـ سـنـةـ تـسـعـ
ـوـسـعـيـنـ وـأـرـبـعـ مـنـةـ .ـ

سـعـتـ يـوسـفـ بـنـ خـلـيلـ بـنـ عـبـدـ الـهـ الشـافـعـيـ
ـبـحـلـ يـقـولـ :ـ سـعـتـ إـبـاـ مـحـمـدـ الـقـاسـمـ بـنـ عـلـيـ بـنـ
ـعـيـةـ الـهـلـ الشـائـعـيـ يـقـولـ :ـ تـوـفـيـ وـالـدـ لـلـةـ الـاثـنـيـنـ ثـانـيـ
ـعـشـرـ رـجـبـ سـنـةـ اـحـدـيـ وـسـبـعـيـنـ وـخـمـسـ مـنـةـ ،ـ وـدـنـ
ـبـقـابـرـ بـابـ الصـفـيرـ .ـ

الـقـاسـمـ مـثـلـهـ ،ـ وـلـهـ مـنـ الـمـسـنـاتـ :ـ الـتـارـيـخـ .ـ الـأـشـرافـ .ـ
ـعـلـىـ مـعـرـفـةـ الـأـطـرـافـ .ـ الـمـجـمـ ،ـ لـاـ سـيـماـ شـيوـخـهـ .ـ
ـالـمـوـاقـعـاتـ عـنـ شـيوـخـ الـأـئـمـةـ الـتـقـاتـ ،ـ اـثـنـانـ وـسـبـعـونـ جـزـءـاـ .ـ
ـقـلتـ :ـ وـاـلـىـ اـرـبـعـ مـئـةـ مـجـلـسـاـ فـيـ جـامـعـ دـمـشـقـ ،ـ
ـوـكـانـ يـخـتـمـ بـأـبـيـاتـ مـنـ شـعـرـهـ .ـ وـلـقـدـ سـمـعـتـ شـيخـناـ
ـعـبـدـ الـوـهـابـ^(٦) بـنـ عـلـيـ الـأـمـيـنـ يـقـولـ^(٧) كـتـ بـوـماـ
ـعـنـ الـحـافـظـ إـبـيـ الـقـاسـمـ بـنـ عـسـاـكـرـ وـابـيـ سـعـدـ بـنـ اـبـيـ
ـالـسـمـعـانـيـ لـمـشـيـ فـيـ طـلـبـ الـحـدـيـثـ وـلـقـاءـ الـشـيوـخـ ،ـ مـلـقـيـنـاـ
ـشـيـخـاـ لـاـسـتـوـقـلـهـ إـبـيـ الـسـمـعـانـيـ لـيـقـراـ عـلـيـهـ شـيـنـاـ ،ـ وـطـاـبـ
ـعـلـىـ الـجـزـءـ الـذـيـ هوـ سـيـاعـهـ فـيـ خـرـيـطـهـ^(٨) فـلـمـ يـجـدـ
ـوـضـاـقـ ،ـ قـالـ^(٩) لـهـ اـبـنـ عـسـاـكـرـ :ـ مـاـ الـجـزـءـ الـذـيـ هوـ
ـسـيـاعـهـ ؟ـ قـالـ :ـ كـتـابـ «ـ الـبـعـثـ وـالـتـشـورـ »ـ لـابـنـ اـبـيـ
ـدـاـوـدـ ،ـ سـيـعـهـ مـنـ اـبـيـ الـنـصـرـ اـبـنـ الـفـرـسـ^(١٠) ،ـ قـالـ
ـلـهـ :ـ لـاـ تـحـزـنـ .ـ وـقـرـاـ عـلـيـهـ مـنـ حـفـظـهـ ،ـ اوـ بـعـضـهـ .ـ الشـكـ
ـمـنـ شـيـخـنـاـ .ـ

وـقـرـاتـ^(١١) بـخـطـ الـحـافظـ مـعـرـفـ بـنـ الـفـاخـرـ فـيـ
ـمـعـجـهـ :ـ اـخـبـرـتـ إـبـوـ القـاسـمـ عـلـيـ بـنـ الـحـسـنـ الـمـشـقـيـ
ـالـحـافظـ مـنـ لـنـظـةـ بـيـنـ اـمـلـاهـ ،ـ وـكـانـ اـخـفـظـ مـنـ رـايـتـ مـنـ
ـطـلـبـ الـحـيـثـ وـالـشـبـانـ .ـ وـكـانـ شـيـخـنـاـ اـسـمـاعـيلـ^(١٢) اـبـنـ
ـعـبـدـ الـهـ الشـافـعـيـ وـالـشـافـعـيـ .ـ وـكـانـ شـيـخـنـاـ اـسـمـاعـيلـ^(١٣)
ـوـغـيرـهـ .ـ قـدـمـ اـصـبـاهـانـ ،ـ وـسـعـ ،ـ وـنـزـلـ فـيـ دـارـيـ ،ـ وـماـ
ـرـايـتـ شـلـباـ اـورـعـ وـلـاـ اـنـقـ وـلـاـ اـخـفـظـ مـنـهـ .ـ وـكـانـ مـعـ ذـلـكـ
ـمـنـيـهـ سـيـنـاـ — جـزـاءـ الـهـ خـرـاـ وـكـثـرـ فـيـ الـاسـلـامـ مـثـلـهـ .ـ
ـاـنـدـاـنـيـ فـيـ الرـاحـلـةـ الـاـولـىـ وـالـثـانـيـةـ بـيـنـ دـاـكـرـاـ .ـ وـسـالـتـهـ

(٤) ابن الجوزي : المقنظم ١٠/٥٥ فـيـ بـعـدـ ،ـ وـابـنـ الـكـازـرـوـنـيـ .ـ

٤٤٦

(٥) ابن الجوزي : المقنظم ٦٠/١٠ فـيـ بـعـدـ ،ـ والـبـنـدـادـيـ :ـ
ـتـارـيـخـ الـلـمـسـلـجـوـنـ^(٦) ،ـ وـابـنـ الـتـيـغـيـ (ـهـوـادـ)^(٧) فـيـ بـعـدـ ،ـ وـانتـرـ
ـالـظـاهـرـ :ـ الشـمـرـ الـعـربـيـ فـيـ الـعـرـاقـ^(٨) .ـ

(٦) انـظرـ كـلـيـنـاـ :ـ تـارـيـخـ بـنـدـادـ الـتـرـاجـيـةـ (ـبـنـدـادـ)^(٩) ،ـ
ـوـقـمـيـنـاـ الـتـارـيـخـ اـبـنـ الـبـيـنـيـ^(١٠) .ـ وـرـاجـعـ السـلـخـاوـيـ فـيـ الـاعـلـانـ ،ـ

ـصـ ٦٦٢ .ـ

(٧) انـظرـ الـتـفـاصـلـ فـيـ كـتـبـ الـرـهـمـ الـسـكـورـ نـاجـيـ مـرـوـنـ :ـ
ـمـنـهـ الـنـظـامـاتـ (ـبـنـدـادـ)^(١١) .ـ

الـهـوـامـشـ وـالـمـصـاـدـرـ :

(١) اـبـنـ نـقـطةـ :ـ الـقـيـدـ ،ـ الـوـرـقـةـ ١٧٧ (ـنـسـلـةـ الـأـزـهـرـ) ،ـ وـابـنـ
ـالـبـيـنـيـ :ـ لـبـلـ تـارـيـخـ مـدـيـنـةـ الـسـلـامـ ،ـ الـوـرـقـةـ ١٣٦ (ـكـبـيـرـ) وـالـدـاهـيـ :ـ

ـتـارـيـخـ الـاسـلـامـ ،ـ الـوـرـقـةـ ٤٠ (ـأـهـدـ الـنـالـلـتـ)^(١٢) (ـ١٢٩١٧ـ) وـلـيـهـ .ـ

(٢) اـبـنـ الـهـوـريـ :ـ الـقـاسـمـ ١٩٧/٩ فـيـ بـعـدـ اـبـنـ الـتـيـغـيـ :ـ الـكـاـلـلـ^(١٣)
ـهـوـادـ ١٢١ فـيـ بـعـدـ ،ـ وـابـنـ الـكـازـرـوـنـيـ :ـ مـفـصـلـ الـتـارـيـخـ ٢١٩
ـفـيـ بـعـدـ .ـ

(٣) تـارـيـخـ الـاسـلـامـ ،ـ الـوـرـقـةـ ١٩٠ (ـالـعـدـ الـنـالـلـتـ)^(١٤) .ـ

(٤) اـبـنـ الـبـيـنـيـ :ـ لـبـلـ مـ (ـبـنـدـادـ)^(١٥) (ـبـنـدـادـ) وـابـنـ الـجـوزـيـ :ـ المقـنظمـ^(١٦)
ـ٢٤٤/٨ وـالـدـاهـيـ :ـ الـمـنـصـرـ الـعـاجـ .ـ

- (٢٥) ابن هلكان : وفيات ٢٠٩/٢ .
- (٢٦) في تبيين كتب المتفق عليه ٢١٨) : « سليمان » محرف .
- (٢٧) ابن الجوزي المقتضى ٢٢/١٠ ، والمسكى : طبقات ٦٢/٧ وابن البار في التكميل ٢٥٦/١ ، والذهبى في تاريخ الاسلام ، الورقة ١٦٨ (ايا صوفيا ٢٠١) .
- (٢٨) العينى ١٧ / الورقة ٢٤ - ٢٥ .
- (٢٩) الذهبى : تاريخ الاسلام ، الورقة ٢٤ (احمد الثالث ٤٢) ، ياقوت : ارشاد ١٤٠/١٠ ، والمسكى ١٤٣/٧ والذهبى ١٤٧/١٧ .
- (٣٠) تبيين كتب المتفق عليه ٢٩ - وانظر الذهبى : تاريخ الاسلام ، الورقة ١١٨ (ايا صوفيا ٢٠١) .
- (٣١) ياقوت : ارشاد ١٤٠/٥ ، والذهبى : تاريخ الاسلام ، الورقة ٢٠ (احمد الثالث ١٤٣/١٧) .
- (٣٢) هذا قول السمعانى كما نقله المسكى ٥/٥ .
- (٣٣) ابن عساكر : تبيين ٢٢٥ - ٢٢٦ .
- (٣٤) ابن عساكر : مجم الشیوخ ، الورقة ٢٧ .
- (٣٥) الذهبى : تاريخ الاسلام ، الورقة ١٥٦ (ايا صوفيا ٢٠١) .
- (٣٦) ابن عساكر : مجم الشیوخ ، الورقة ١٦٦ .
- (٣٧) الذهبى : تاريخ الاسلام ، الورقة ١٥٩ (ايا صوفيا ٢٠١) .
- (٣٨) مجم الشیوخ : الورقة ٩٧ .
- (٣٩) الذهبى : تاريخ الاسلام ، الورقة ١٥٢ من النسخة السابعة .
- (٤٠) مجم الشیوخ ، الورقة ١١ .
- (٤١) الذهبى : تاريخ الاسلام ، الورقة ١٦٧ من نسخة ايا صوفيا ٢٠١ .
- (٤٢) مجم الشیوخ ، الورقة ٩١ .
- (٤٣) الذهبى ، تاريخ الاسلام ، الورقة ١٧٠ من النسخة اهلاء .
- (٤٤) مجم الشیوخ ، الورقة ١٤٥ .
- (٤٥) الذهبى : تاريخ الاسلام ، الورقة ١٧٩ من النسخة اهلاء .
- (٤٦) مجم الشیوخ ، الورقة ١٣ .
- (٤٧) سعى ابن عساكر على جبلة من علماء المشرق ببغداد حينها تعموا اليها منذ العهد انظر ملا : مجمع تسيوطه : الورقة ١١٢ ، ١١٤ ، ١١٥ .. الخ . وراجع تاريخ الاسلام للذهبى ، الورقة ١٥٢ ، ١٧٩ (ايا صوفيا) .
- (٤٨) انظر بخطنا : الرى دراسة الحديث في تطور الفكر العربي (بغداد ١٩٧٩) .
- (٤٩) انظر تفصيل رحلات الخطيب الى دمشق في كتاب المرحوم يوسف المش : الخطيب البغدادى ٢٨ - ٢٩ ، والمعرى : موارد الخطيب ٤٢ - ٤٤ وراجع تاريخ الخطيب ٤٣/٤ ، ٤٤/١٢ ، والذهبى ١١٤٨ وهيها .
- (٥٠) الذهبى : تاريخ الاسلام ، الورقة ٢٤١ - ٢٤٢ (ايا صوفيا ٢٠١) ، المسكى : طبقات الشافية ٦/٧ ، وابن كثير : البداية ٢١٨/١٢ .
- (٥١) الذهبى : تاريخ الاسلام ، الورقة ٢٧١ - ٢٧٢ (ايا صوفيا ٢٠١) .
- (٥٢) انظر سبط ابن الجوزي ١٧٦/٨ ، والذهبى في تاريخ الاسلام ، الورقة ٤٤٢ ، (ايا صوفيا ٢٠١) ، والعيلى : مقد العجمان ١٦ / الورقة ١٤٧ .
- (٥٣) الذهبى : تاريخ الاسلام الورقة ١٩٤ - ١٩٥ (ايا صوفيا ٢٠١) ، والعيلى : مقد العجمان ١٦ / الورقة ١٤٧ .
- (٥٤) وتحسنت في وفيات ابن هلكان الى : ٥٢ .
- (٥٥) ابن هلكان : وفيات ٢١١/٢ (ط . احسان عباس) ، والذهبى في تاريخ الاسلام ، الورقة ٩٢ (احمد الثالث ١٢/٩١٧) ، وابن كثير ٢٩٦/١٢ ، والاسنوى في طبقات الشافية ٤٥/٢ - ٤٦/٢ .
- (٥٦) الذهبى : تاريخ الاسلام ، الورقة ٢٦٩ (ايا صوفيا ٢٠١) .
- (٥٧) نفسه ، الورقة ٤ (احمد الثالث ١٤/٩١٧) .
- (٥٨) الخطيب البغدادى : الجليل لاخلاق السراوي وأدب السابع ، الورقة ١٧٠ (نسخة مكتبة البندية بالاسكندرية رقم ٣٧١١) .
- (٥٩) نفسه ، الورقة ١٧١ - ١٧٥ .
- (٦٠) الذهبى : تاريخ الاسلام ، الورقة ٤ (احمد الثالث ١٤/٩١٧) .
- (٦١) الذهبى : تاريخ الاسلام ، الورقة ١٣٩ (ايا صوفيا ٢٠١) .
- (٦٢) الذهبى : تاريخ الاسلام ، الورقة ١٧٢ (ايا صوفيا ٢٠١) .

(٧) المذهب : تاريخ الاسلام ، الورقة ١٨٢ من مجلد ایا صوفیا المکور .

(٨) الذہبی : تاريخ الاسلام ، الورقة ٢٥٧ (ایا صوفیا ٢٠١ .)

(٩) ابن عساکر : مجم الشیوخ ، الورقة ١٩٦ ، الذہبی : تاريخ الاسلام ، الورقة ٣٦٨ (ایا صوفیا ٢٠١ .) وانظر : القلم ١١٥/١ . وابن الائمه ١١/٤٢ ، والتقویۃ الزاهیرہ ٢٧٦/٦ والمعنی : الورقة ١٢٢ من مصوّر دار الكتب بالقاهرة .

(١٠) الذہبی : تاريخ الاسلام ، الورقة ١٣٩ (ایا صوفیا ٢٠١ .)

(١١) نفسه ، الورقة ١٤٨ .

(١٢) نفسه ، الورقة ١٧٦ .

(١٣) نفسه ، الورقة ١٨٠ .

(١٤) نفسه ، الورقة ٢٠٠ .

(١٥) ياقوت ، ارشاد ٥/٥١ و مثل ذلك نقل الذہبی هذا القول من ابن العلاء البصائری (في تاريخ الاسلام) ، الورقة ٤١ (احمد الثالث ١٢٩١) وانظر السبکی في طبقات الکبری ٢٨١/٧ .

(١٦) الذہبی : تاريخ الاسلام ، الورقة ٠ . (احمد الثالث ١٢٩١)

(١٧) انظر الموسی الذي منه محقق الكتاب الاستاذ الفضل الدكتور صالح الدين المتبدی في آخر المجلدة الأولى لشیوخه .

(١٨) الذہبی : تاريخ الاسلام ، الورقة ١٧٦ (ایا صوفیا ٢٠١ .)

(١٩) قارئ عنصر الترجیحة عند ابن عساکر بما كتبناه من عنصر الترجیحة عند المذکور (ت ١٦٦) في كتابنا : المذکور وكتابة التعلیة ٢٢ . وانظر الفصل السادس من الباب الثاني من كتابنا : الذہبی ومنهجه في كتابه تاريخ الاسلام من ٤٥٩ فما بعد حيث حصلنا القول في عنصر الترجیحة عند الذہبی .

(٢٠) ياقوت : ارشاد ٤/٤٤٠ ، والسبکی ٢١٧/٧ .

(٢١) الذہبی : تاريخ الاسلام ، الورقة ٠ . (احمد الثالث ١٢٩١)

(٢٢) المذکور ، الورقة ١٣٦ من نسخة كبيرج . وذكر الذہبی في السیر ان مشیة ابن البناء هذه من الشیفیک المرویة ٧١/٧ .

(٢٣) الذہبی : تاريخ الاسلام ، الورقة ٤٠٣ (ایا صوفیا ٢٠١ .)

(٢٤) المذکوم ١٣٧/١٠ .

(٢٥) السیر ٢١٢/٥ .

(٢٦) المذکور : المذکور الورقة ٢٠ (باریس ٥٩٤) ، والمذکور : المذکور ٦١/١ (بحقیقتنا) ، والذہبی : سی اعلام النبلاء ١٣/١ الورقة ٦١ وليها .

(٢٧) الذہبی : تاريخ الاسلام ، الورقة ١) (احمد الثالث ١٢٩١) ، والسبکی في الطبخت ٢٢١/٧ .

(٢٨) الذہبی : تاريخ الاسلام ، الورقة ١٥٩ - ١٦٠ .

(٢٩) ابن عساکر : مجم الشیوخ ، الورقة ٢٧ ، ایس العوزی : القلم ٢٤/١ ، وابن الائمه ٤٥/٦ ، وابن تکی ١٠٢/١٢ ، والذہبی : تاريخ الاسلام ، الورقة ١٧٢ (ایا صوفیا ٢٠١) ، والمعنی ١٧/١ الورقة ٤٥ .

(٣٠) ابن عساکر : مجم الشیوخ ، الورقة ٩ ، والذہبی : تاريخ الاسلام ، الورقة ١٧٤ (ایا صوفیا ٢٠١ .) وانظر ٢٨/١٠ ، وابن الائمه ٢٦/١ ، والمعنی ١٧/١ الورقة ٤٠ .

(٣١) ابن عساکر : مجم الشیوخ ، الورقة ٢٩ ، وابن الائمه ٢٦/١ ، وانظر ٩٦/١ ، وبسط ابن الجوزی ١٤٤/١ ، وابن رب البر ١٧٧ والذہبی في تاريخ الاسلام ، الورقة ١٧٦ (ایا صوفیا ٢٠١ .) والغير ٦٩/٤ .

(٣٢) ابن عساکر : مجم الشیوخ ، الورقة ٤٤ ، والذہبی : تاريخ الاسلام ، الورقة ١٧٩ من مجلد ایا صوفیا ، والذکر ٤٢/١ ، وابن الائمه ١١/١ ، والمعنی ١٧/١ الورقة ٥٤ .

(٣٣) ابن عساکر : مجم الشیوخ ، الورقة ٤٢ ، والذہبی : تاريخ الاسلام ، الورقة ٤٩ من مجلد ایا صوفیا ، ٢٠١ ، والذکر ٧١/١ ، وابن الائمه ٢٢/١١ ، والمعنی ١٧/١ الورقة ٩٥ ، وابن تکی ٦٢/١٢ ، والشترات ٤/٢٢ .

(٣٤) ابن عساکر : مجم الشیوخ ، الورقة ١١ ، والذہبی : تاريخ الاسلام ، الورقة ٢٦٦ (ایا صوفیا ٢٠١ .)

(٣٥) ابن عساکر : مجم الشیوخ ، الورقة ١٩٢ ، الذہبی : تاريخ الاسلام ، الورقة ٢٣٩ (ایا صوفیا ٢٠١) ، والذکر ٦٢/١ ، وابن الائمه ٣٣/١١ .

(٣٦) ابن عساکر : مجم الشیوخ ، الورقة ٤٧ ، والذکر ٩٨/١ ، وبسط ابن الجوزی ١٨١/٨ ، وابن تکی ٢١٨/١٢ .

(٣٧) الذہبی : تاريخ الاسلام ، الورقة ٤٢٢ (ایا صوفیا ٢٠١ .)

(٣٨) ابن عساکر : مجم الشیوخ ، الورقة ١٢٢ ، والذکر ١٠٨/١ ، وابن الائمه ٤٠/١١ ، والذہبی : المکر ١٠٤/١ ، وابن

- (٧٩) انظر ملا الذهبي : تاريخ الاسلام ، الورقة ١٧٤ ، ١٨٢ .. الخ (ابا صوفيا ٢٠١) .

(٨٠) انظر ملا التبيين ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ .

(٨١) انظر ملا تاريخ الاسلام للذهبي ، الورقة ١٧٦ (ابا صوفيا ٢٠١) .

(٨٢) توفي سنة ٥٠٨ (الذهبي : تاريخ الاسلام ، الورقة ٨٢ من مجلد ابا صوفيا ٢٠١) واصعد نسبة الى جعفر الصادق ، والغير ١٧/١ .

(٨٣) توفي سنة ٥٠٨ (الذهبي : العبر / ١٦) .

(٨٤) توفي سنة ٥٠٩ (الذهبى : الصبر / ١٨) .

(٨٥) توفي سنة ٥٢١ (الذهبي : تاريخ الاسلام ، الورقة ١٠٣ من مجلد المذكور اعلاه) .

(٨٦) انظر : ابن عساكر : مجمع الشيوخ ، الورقة ٨ . وذكر الذهبى انه توفي سنة ٥٢٤ (تاريخ الاسلام ، الورقة ١٥٥ من المجلد السابق) .

(٨٧) هبة الله بن محمد ابن الحسين الشيباني المتوفى سنة ٥٢٥ وهو مشهور .

(٨٨) صاحبطباطبيات الخطبلة المتوفى سنة ٥٢٦ (تاريخ الاسلام ، الورقة ١٧٦ ابا صوفيا ٢٠١) .

(٨٩) توفي سنة ٥٢٤ (تاريخ الاسلام ، الورقة ١٥٩) .

(٩٠) ابن عساكر : مجمع الشيوخ ، الورقة ٩ ولذكر الذهبى انه توفي سنة ٥٢٦ (تاريخ الاسلام ، الورقة ١٧٧) .

(٩١) توفي سنة ٥٢٧ (تاريخ الاسلام ، الورقة ١٨٠) .

(٩٢) توفي سنة ٥٢٢ (الهاجي : الوقيبات « بتحقيقنا » رقم ١٥ وعلقينا هناك) .

(٩٣) لذكر عبد الرحيم العاجي انه توفي سنة ٥٢٢ (الوقيبات رقم ١٠٨) وراجع : ابن نفطة في التقى ، الورقة ٨٢ ، واكمال الاكمال الورقة ١٤ من نسخة الظاهرة .

(٩٤) ويعرف بالظاهرى ، وهو صاحب كتاب « سير السلف الصالحين » الشهور توفي سنة ٥٢٥ كما لذكر العاجي في الوقيبات رقم ١٢ ، وابن نفطة في التقى ، الورقة ٦٢ .

(٩٥) توفي سنة ٥٢٣ كما في انساب السمعانى وليل ابن الائمه وغيرها ولابنه رجل العادة ابن عساكر الى الفرق .

(٩٦) في الصل « التسلرى » ، وهو وهم من الفاسخ ، والصواب ما يكتبه انتظار الذهبى في الصبر ١٣٢/٢ وتاريخ الاسلام ، الورقة ٢٢٨ من المجلد المذكور سالفا ، وابن الصادق في الشلات .

- (١١٠) كان من رجال الحافظ ابن حشان ، وقد توفي سنة ٥٧٥هـ وهو معروف جداً .
- (١١١) اختلفت في هذه الترجمة ، خلا القسم الذي منها على ما جاء في انتقاء أهيد بن أبيه المياطي الحساني من تاريخ ابن النجاشي ، والذي سماه : « المستند من ذيل تاريخ بغداد » الورقة ٥٥ وأشارت بعد ذلك إلى الزوايا التي جاءت في الكتب الأخرى .
- (١١٢) هذه اللقطة زيارة من السبكي ٤١٨/٧ .
- (١١٣) ما بين المعاصرتين أسلمة من طبقات السبكي ٤١٨/٧ وقد أوردها الذهبي في تاريخ الإسلام ، الورقة ٤٢ لكنه هكذا منها قوله : « يعلم الحديث » كما هكذا من كلية « القتل » إلى نهاية المصادة .
- (١١٤) من هنا وإلى نهاية السطر أسلمة من تاريخ الإسلام ، الورقة ٤٢ إلى نهاية السلسلة .
- (١١٥) أبو الحسن ملين بن الحسن السلمي المنوفى سنة ٥١٤هـ كما في تاريخ الإسلام ، العبر للذهبى ٤٤/٤ .
- (١١٦) أبو القاسم علي بن إبراهيم بن العباس الحسيني المنوفى سنة ٥٠٨هـ وقد ذكر التعريف به .
- (١١٧) أبو طاهر محمد بن الحسين بن محمد البشتي المنوفى سنة ٥١٤هـ (العبر ٤٢/٤) .
- (١١٨) هبة الله بن أحمد الانصاري المعروف بابن الأكفانى صاحب كتاب « الوفيات » المنوفى سنة ٥٤٤هـ (العبر ٤٦/٦) .
- (١١٩) علي بن أحمد بن منصور الفاسى . « قبس » يضم القرآن وليس بالمعنى كما جاء في العبر من وهو المحق ، وقد وجدتها مقدمة بالقسم بخط العاذن الذهبى (تاريخ الإسلام ، الورقة ١٩٦) أبا صونينا رقم ٢٠١ .
- (١٢٠) توفي سنة ٥٢١هـ وكما في العبر ٤٥/٨ وغيره ، وقال الذهبى في تاريخ الإسلام : « روى عنه الحافظ أبو القاسم و قال : كان يحيى سيراً مع جهله بالحديث و عدم لقته ، حكى اسم أخيه من كتاب الشهاب للقاسمي ولقب بذاته اسمه » الورقة ٤٠٦ من نسخة آيا صونينا رقم ٢٠١ .
- (١٢١) المعروف بابن الفزان - بالذيفان . وقد سمع منه أبو القاسم حبيباً واحداً تلقينا لعم شحيد حصل لابن الفزان هذا قال الفقي الفاسى : « وقد روينا من طريقه في أربعينه البدانية » العدد الثاني ٤٢/٥ . وتوفي سنة ٥٢٤هـ (تاريخ الإسلام ، الورقة ٤٠٧ من نسخة آيا صونينا ٢٠١) .
- (١٢٢) توفي سنة ٥٣٦هـ (تاريخ الإسلام ، الورقة ٣٩٦ - ٣٩٧) من النسخة السابقة .
- (١٢٣) قد وليس قول ابن النجاشي هذا فيظن القاريء أنه اسم

من تاريخ الكبير

مطاع الطرابيشي

ان تاريخ دمشق الكبير ديوان حديثي من الفه الى يائه ، جمعه محدث ، وأخرجه للناس محدث ، ورواه على مر الأزمان المحدثون . حتى الذين نسخوا التاريخ ، أو اختبوا منه ، إنما كانوا من جلة المحدثين وأئمتهم : كالبرزالي والمقدسي وأبي شامة والذهبي والعيني وابن حجر والسيوطى . فكيف ينصرف النظر عن تخریج أحادیثه ؟

قد يكون هناك بعض عذر لأولئك الذين وضعوا نهج التحقيق انهم رأوا - وهذه عبارتهم - « ان الغاية من تحقيق الكتاب تقديم نص صحيح » ، فوجب لذلك في رأيهم « أن يوجز في التعليق كيلا يُنقل النص بتعليقات طوال » .

قلت : ولكن الحواشى في بعض المطبوع من مجلدات التاريخ قد أثقلت فعلا بتلك التعليقات الطوال ، في تراجم الرجال وتصحيفات بعض الاصول . أفيكون ذلك أجل من تخریج الأحادیث ؟ وقد يقول قائل عن « التاريخ » : نه معدن

الأحادیث الضعيفة ، يحط بذلك ، في زعمه ، من

لا يتم الحديث عن ابن عساكر من غير الحديث عن تاريخه الكبير ، بل نكاد نقول : لا يكاد يذكر ابن عساكر الا من خلال تاريخه الكبير ، وليس في هذا القول اي مجازفة ، فالعلماء في تاريخ هذه الامة كثيرون والحمد لله ، فيما الذي ميز ابا القاسم في عمارتهم ، وقد مكنته في صفوهم ؟ ليس التاريخ الكبير ؟ بل لقد أفاد هذا التاريخ طيب الذكر كل من تعلق منه بسبب قريب .

وإذا كانت قصة هذا التاريخ العظيم قصة تطول ، ولا يمكن لروايتها ان تأخذ حظها من الراحة الا بين دفتري كتاب ، لذلك نستاذن في هذه الفجالة ، أن نقبس من البحث ما لعله يمتع ويفيد ، فننصرف القول الى الحديث عن : « اوهام حول التاريخ » .

الوهם الأول والأكبر : في هذه القاعدة التي ما زالت متبرعة في تحقيق التاريخ الكبير ، وهي : أن ينصرف النظر عن تخریج الأحادیث (١) .

(١) مقدمة المجلدة الاولى : ٨ ، مقدمة مجلد (عاصم - مابذ)



قدر ذخيرته الحديثية ، ويزهد بالتالي في الاشتغال بتخريج تلك الاحاديث .

وقد يحتاج بيان خطل هذا القول الى شيء من البساط والاتساع ليس هذا اوانه ، ولكن حسبنا ان نقول : ان هذا الكتاب العظيم قد فم بين دفتيره مكتبة حديثية ضخمة ، جمعت نفائس من هذا العلم قل "لها نظير ، وبذلك فان تخرير احاديته يفتح - باذن الله - آفاقاً رحمة في ميدان علم الحديث ، ويلقى أضواء مصرة على كثير من كتب الملاخصات التي جمعها المتأخرون ، تلك الملاخصات التي أوردت المتنون وسكتت عن الاسانيد ، فنم على الباحثين أمر كثير من تلك المتنون ، وما مثال « الدر المنشور » للسيوطى عنا ببعيد .

ثانياً - وهم التجزئة والمراحل الثلاث :

كان للقدماء في هذا المجال بعض اوهام ، سحبت ظلالها على الباحثين المحدثين ، فاثمرت فروضاً غير صحيحة ، ينفيها واقع الحال في هذا الكتاب . وهذه القصة من اولها :

- قال العمامي الاصبهاني في خريدة القصر (١) : « فلما وصلت الى الشام ، وأقيمت بدمشق ، ترددت اليه (يعني : الى الحافظ ابن عساكر) ورأيته قد صنف تاريخ دمشق ، وذكر انه في سبعمائة كراسة ، كل كراسة عشرون ورقة . »

قلت : وهذا هو الوهم الاول . ولعله سهو . قلب « السبعين وخمسمائة » الى « سبعمائة » في ذاكرة العمامي .

- ثم جاء الذهبى فقال في « سير اعلام

(١) تتم شرارة الشام : ٢٧٦/١ .

(٢) سير البلاط : ١٢٧٩/١٢ .

(٣) مطلع السنة : ٢١٦/١ .

(٤) المدحية : ٢٢ .



للتاريخ تجزئتان فحسب : تجزئة المصنف، في خمسة وسبعين جزءاً ، كل جزء في عشرين ورقة .

ثم تجزئة ابنه القاسم في النسخة المستجدة، خمسة وسبعين جزءاً ، كل جزء في خمس عشر ورقة .
والفرق بين التجزئتين فرق تجليد فحسب ، أما عدد أوراق التاريخ فمتقارب : (خمسة وسبعين) في (عشرين) تساوي أحد عشر الفا ، وأربعين ورقة . (خمسة وسبعين) في (خمسة عشر) تساوي اثنى عشر ألف ورقة .

ان هذا الذي قلناه ، هو ما نطق به الأصول المخطوطة للتاريخ ، لم تختلف عنه قط في كل مواضع التجزئة التي اطلعت عليها من التاريخ . وهذا الإمام البرزالي ، الناسخ الأوّل

للتاريخ يقول في خاتمة بعض الأجزاء (١) : « آخر الجزء السابع والخمسين بعد المائتين من الأصل . وهو آخر المجلدة الرابعة والثلاثين من تجليد النسخة المستجدة » فأوضح بصرير العبرة أن الفارق بين الأصل والنسخة المستجدة إنما كان أمر تجليد (٢) .

وكيف يصح هذا المذكور في الخريدة من أمر السبعمائة كراسة ؟ بل كيف يصح فرض المراحل الثلاث بناء على ذلك ؟ وقد دخل العmad الاصبهاني دمشق في شعبان من عام (خمسة واثنتين وستين) ، وفي آخر جمادى الاولى من العام نفسه (٣) أي قبل وصول العmad بشهرين - كان التاريخ قد

مجلدة . ثم ازدادت أجزاء التاريخ ، واذا بابنه القاسم يقول : « والنسخة الجديدة ثمانمائة جزء » . وقد بيته القاسم بخطه في ثمانين مجلدة . ثم اعادها مع بعض زيادة في دائرة معارف البستاني (٤) ، اذ جعل جزء النسخة الثمانينية عشرين ورقة ، وعزا التجزئة الأخيرة الى أبي القاسم نفسه .

ورحلت فكرة المراحل الثلاث هذه ، فاستفادتها المستشرق الاستاذ « إيسحيف » في مقدمة كتابه : « وصف مدينة دمشق » (٥) ثم كررها في ترجمته لابن عساكر في الموسوعة الإسلامية الجديدة (٦) . أما الاستاذ محمد كرد علي ، رحمة الله ، فقد حسّب أن التجزئة الثمانينية من عمل المصنف ، فقال في تصديره للمجلدة الأولى من التاريخ (٧) : « حافظ الجميع على تجزئة المصنف ، وسيكون التاريخ في ثمانين مجلدة ، كل مجلدة في عشرة أجزاء من الأصل » .

وعلى المثال نفسه نسخ الاستاذ الدكتور شكري فيصل في مقدمته مجلد (عاصم - عايد) (٨) ، إذ اعتمد التحرير الوارد في نص الخريدة ، فأعاد ذكر السبعمائة كراسة ، وجعل التجزئات ثلاثا ، واعتبر جزء النسخة الثمانينية عشرين ورقة .

هذا ما كان من أمر الاوهام سابقاً ولاحقاً ، ولا بد في معالجتها من بيان أمر التجزئة في الكتاب على حقيقته فنقول :

(١) طبعة بيروت ١٩٦٠ م : مج ٢٧٦/٢ .

(٢) ط ١٩٥١ م : ص ٦٦ .

(٣) الطبعة الفرنسية ١٩٧٥ م : مج ٢٧٦/٢ .

(٤) المتن : ج .

(٥) المتن : ج ٢٣ .

(٦) المتن : ج ٢٤ .



جاوز ثلاثة ، أعني قد بلغ آخر مجلد (غاصم - نايد) قراءة وسماعاً على الملا في جامعبني أمية ؟ وهذا المجلد مطبوع ، ليس فيه ولا في أصوله أية اشارة الى السبعمائة المزعومة ؟

وهذا هو المجلد الثالث والخمسون بآخر الكتاب ، وفيه حرف اليماء [من يحيى - الى يزيد] ينتهي عند هذين الرقمين : «الجزء الثلاثون بعد الخمسمائة من تجزئة الأصل - والسابع والأربعون بعد السبعمائة من تجزئة الفرع » . واذ فقد بقى (أربعون جزءا) فحسب من تجزئة الأصل ، يقابلها (ثلاثة وخمسون) من تجزئة الفرع ، ليبلغ الكتاب غايته . وهذا هو القول الفصل في التجليد الكامل للأصل والمفرع من تاريخ دمشق الكبير .

ولو أردنا تطبيق تجزئة الشهرين مجلدا على المطبوع من تاريخ دمشق لوجب ان نسمى المجلدة الأولى وبعض الثانية فحسب: المجلدين الأوليين . وأن نسمى المجلدة العاشرة: المجلد الثالث عشر . يؤيد هذا ما ذكره الاستاذ محمد احمد دهمان في حاشية الصفحة (مائتين واثنتين وتلذين) من المجلدة المذكورة ، قال : انه وجد في هامش نسخة الأصل هذه العبارة :

«آخر الحادي والعشرين بعد المائة » .

قلت : ومعنى هذا انه (آخر الجزء الاول من المجلد الثالث عشر) بجزئية القاسم للنسخة المستجدة . والظاهر أن النسخة الجديدة بجزئتها الجديدة ، إنما صنعت بعد وفاة المصنف ، اذ نجد أول ذكر لها في سمع للجزء الرابع من المجلدة

(١) المجلدة الأولى : ٦٦٠ .

(٢) سر اعلم النبلاء : مج ١٤ / ١٢ .

الاولى^(١) يرجع تاريخه الى سنة احدى وسبعين وخمسمائة ، وقد سميت النسخة المستجدة فيه بـ « الفرع المنقول عن هذا الأصل » .

وبعد ، فقد بقيت لنا كلمة صغيرة بشأن التسويد والتبييض ، وخط الأب وخط الابن : ان المصنف أبا القاسم لم يبيّن التاريخ البنته ، فهو كما قال عنه حفيده^(٢) : « حين فرغ من تسويفه ، عجز عن نقله وتجديده ، وضبط ما فيه من المشكل وتحديده ، فان نظره قد كل ، وبصره قد قل » ، فلم يزل والدي يكتب وينقله من الأوراق الصغار والظهور ويجهّب ٠٠٠ ٠٠٠ ٠

سماع التاريخ

واذا كان فيما قلناه انفاً بلاغ في دفع تلك الأوهام ، فان فيما سنقوله في الفقرة التالية طرحاً حقيقاً جديداً لم يكن شفيراً النقاب عنها من قبل .

الصورة التالية التي سأعرضها كانت على تتبع مجالس السماع في مخطوط التاريخ ومطبوعه ، ولقد خرجمت بنتيجة محددة : كان سماعان على المصنف ، ثم سماعان على الابن من بعده ، ثم عدة سماعات بعدهما . لكن السماعات الأربع الأولى كانت كافية لتحقكي لنا قصة التاريخ الكبير في ولادته وفخر طفولته في واقع الحياة .

١ - بدأ سمع التاريخ على المصنف في شهرى ربیع من سنة (تسع وخمسين وخمسمائة) سماعاً خاصاً ، ضم المصنف وابنه بمنزله ، واحياناً ستة اشخاص من خاصة اهله ، في المثارة



المجلدات الأربعية الأخيرة ، ولا يمكن أن يجاوز سماعها في هذا النظام أواخر العام المذكور .

وكذلك تم سماع التاريخ على مصنفه حسب الخطة المرسومة، من مطلع عام ستين وخمسين، إلى أواخر عام خمسة وستين وخمسين . ولقد كانت مجالس السماع العامة هذه حافلة ، ضمت سبعين ، وأحياناً خمسة وثمانين ، من فقراء القوم وعلمائهم وأعيانهم .

٢ - ثم كان السماع على القاسم ابن المصنف، بعد وفاة أبيه بثلاثة أسابيع فحسب : توفي أبو القاسم رحمة الله يوم الأحد بين العشرين في الحادي عشر من رجب سنة (احدى وسبعين وخمسين) ، وببدأ السماع على ابنه القاسم وخمسين ، وفي دار السنة مدرسة الأب - في يوم الأحد الثاني من شعبان سنة (احدى وسبعين وخمسين) ، واستمر حتى بلغ غاية المجلد الثالث والخمسين من التاريخ في العشر الأخير من ربى الأول سنة (اثنين وثمانين وخمسين) ، في الجامعة الكبير .

وإذا ما قدرنا أن الفراغ من سماع التاريخ على الابن قد وقع في أواخر ذلك العام ، أي اثنين وثمانين ، فيكون ذلك السماع قد استغرق أحد عشر عاماً وبضعة أشهر .

٤ - ثم أعيد السماع ثانية على الابن : بدأ في عشر ذي الحجة سنة (سبع وثمانين وخمسين) ، ويبلغ غاية المجلد الثالث والخمسين في أول يوم من عام (ستة وتسعين وخمسين) . واستغرق سماع التاريخ في هذه المرة ثمان سنوات وبضعة أشهر ، كانت خاتمة المطاف في عمل

الشرقية بجامع دمشق ، متكلف أبي القاسم .
ويلاحظ أن سماع القاسم على أبيه بقي ملتزماً حتى آخر الكتاب ، وكان يتقدم السماع العام ببضعة أشهر ، تبلغ ثمانية في بعض الأحيان على أن هذا الفرق الكبير بين السماعين قد انخفض في أواخر الكتاب ؛ فصار شهراً أو بعض شهر .

٣ - ثم كان السماع العام للملأ في جامع دمشق الكبير ، وفق خطة مرسومة بأحكام : أنها ثلاثة مجالس في الأسبوع ؛ في أيام : الاثنين والخميس الجمعة . يقرأ في يومي الاثنين والخميس جزء ؛ وفي يوم الجمعة جزء [ويحسن هنا التنبه إلى أن الجزء عشرون ورقة] ، وبذلك يقرأ في السنة الواحدة عشر مجلدات بال تمام والكمال . وبتنفيذ هذه الخطة تتم قراءة التاريخ - أي السبعة والخمسون مجلداً - في ست سنوات ؛ وكذلك كان باذن الله وتوفيقه .

افتتح السماع العام في جامعبني أمية في مطلع عام (ستين وخمسين) ، وبالتحديد في الأسبوع الأول من المحرم ، ليختتم في نهاية العام ومطلع العام الجديد ، عام واحد وستين ، سماع المجلدة العاشرة .

ثم توالت السماعات تترى ؛ في ظل هذا النظام الدقيق .

وفي عام (خمسين وخمسة وستين) كان سماع السبعة الاواخر من التاريخ ، فقد تم سماع المجلد الثالث والخمسين في يوم (الجمعة) : الخامس من ربى الآخر) في ذلك العام . وتبقى



فقال : ان الحافظ أبي القاسم حلف أنه لا يكلم ابنه حتى يكتب التاريخ ، فكتبه ٠
و كذلك كان القاسم مثلاً طيباً في البر والعلم
معاً ، ابر قسم أبيه فغداً في شغل شاغل من أمر
التبييض ، صرفه في بعض الأحيان عن حضور
مجالس السماع حتى ضاق صدره ، ولقد أتني
عليه أبوه بحق « فلواه ما تم التاريخ » ٠

ثم تأتي المرحلة الثالثة - مرحلة الأكمال
والتجديد - بعد سنة خمس وستين وخمسين :
و قبل الخوض في هذه المرحلة يجب أن نبادر إلى
ابعاد شبهة ربما علقت بالاذهان ، من أن نموا أو
تنقيحاً أو تجديداً حدث في التاريخ خلال هذه
الفترة ، فال الحق أنه لم يحدث شيء من ذلك
بالمعني الكامل ، وإنما هي ملحقات مستدركة في
هوامش الأصل تارة ، ومسجلة في جذادات مقدمة
بين الصحف تارة أخرى ، تحمل أسطراً بخط
مرتفعش ، انه خط أبي القاسم وقد شارف
السبعين . ثم النسخة المستجدة التي صنعتها
القاسم ، وهذه التي أملت على " ذكر التجديد ،
ل الجناس اللغظي فحسب " ، فليس هنالك من جديد .
ولنتأمل صورة (الملحق) التالي - إنها
ترجمة في أربعة أسطر ، لكنها تسجل بدقة تاريخ
(اللاحق) الذي تم بعد سماع التاريخ :
« (١) محمد بن بركة بن خلف بن كرما ، أبو
بكر الصاحب . سمع ببغداد أبا طالب بن يوسف .
[وأخرين] ثم قدم دمشق وحدث بها ببعض
مسموعاته ، وكان مواطباً على السماع هنّي ،

القاسم في هذا الكتاب ، فقد توفي بعد أربع سنوات
رحمه الله ٠
هذه هي الصورة ، فما النتائج المستفادة
منها ؟

ان صورة السماع هذه قد ألغت تماماً فكرة
المراحل الثلاث السابقة ، لتحول محلها مراحل ثلاثة
جديدة : مرحلة الجمع والتسويد ، مرحلة التبييض
والتسميع ، مرحلة الأكمال والتجديد .

وإذا كانت مرحلة الجمع والتسويد أمراً
مفروغاً منه ، فإن فترة ست السنوات : ما بين
مطلع خمسينات وستين - ونهاية خمسينات وخمسة
وستين قد ميزت المراحل الجديدة بشكل جلي .
 فمن الواضح أن تبييض التاريخ قد تم أثناء
فترة السماع هذه ، ولنتأمل مجالس السماع
الخاصة التي كانت تتم بين المصنف وابنه في
المنزل ، سابقة مجالس السماع العام ببضعة
أشهر ، ألم تك أيadianا بالفراغ من التبييض
تمهيداً للسمع العام ؟

وما لنا نذهب بعيداً ؟ وهذه شهادة من حفيد
المصنف الذي جاَسْ أباه وجده في السماع الخاص
والعام ، قال (١) : « فلم يزل والدي يكتب وينقله
من الأوراق الصغار والظهور وبهذب ، إلى أن
نجز منه نحو مائة وخمسين جزعاً . وكان بينهما
نثرة ، فكان لا يحضر السماع تلك المدة .

فحكي لي والدي قال : ضاق صدرى ، فأتيت
والد لي ليلة النصف في المنارة الشرقية ، وزال ما في
قلبه . وسمعت أبا جعفر القرطبي [يقول :
سمعت جدك كثيرا يقول - عند غيبة والدك
عنه - : « جزاء الله عنى خيرا » ، فلواه ما تم
التاريخ .

(١) سير أعلام النبلاء : مجل ١٢ / ٩٤ .

(١) نسخة ب : مجل ١٨ / ٦٦ .



ان صنيع القاسم في التاريخ الكبير مثل أعلى عجيب في التكامل العلمي المتوازن والالتزام الادبي الأمين . صحيح أنه صنع النسخة الجديدة بجزئية جديدة ، لكنه ما غير ولا بدل ، بل لقد التزم في مجالس السماع عليه التجزئة الاولى للكتاب ، ليقع التنسيق بين السماع عليه والسماع السابق على أبيه .

كل ما صنع في النسخة الجديدة : أن الجزء الذي كان في عشرين ورقة ، نزعه في خمس عشرة ورقة ، وأن ملحقات أبيه التي كانت في الهوامش أو منتورة في الجذادات ، أحلاها حاقد مواضعها من المتون .

اما ملحقاته هو فقد كانت - في معظمها - « وصلا » بيته وبين مصادر التاريخ الكبير ، تؤذن بسماعه تلك الاصول تارة ، وتبين طرقه اليها تارة أخرى .

ولذلك لاحظ في الساعات المتأخرة للتاريخ أمرا طريفا ، وصحيحا في الوقت نفسه ، وهو اعتبار السماع على القاسم بمنزلة السماع على والده المصنف .

وبعد ، لكم كان بودي الحديث عن طرائف وحقائق من تاريخ ابن عساكر ، طالما كنت ادخرتها لامثال هذه المناسبات ، ولكن الوقت ضيق حرج ، وعسى أن ييسر الله لهذا البحث اكتتمالا في كتاب ، انه خير مسؤول ، والحمد لله رب العالمين .

وسمع أكثر هذا التاريخ ، وكان مولده بقم الصلح [قلت : هي قرية قربة من واسط في العراق] ، ومات ليلة الخميس ، ودفن يوم الخميس ، الحادي عشر من المحرم سنة ست وستين وخمسين ، ودفن بمقبرة جبل قاسيون .

وكذلك نستنتج أن ملحقات الاب كانت بين عامي ستة وستين وواحد وسبعين ٠٠ ويقع هنا اشكال طريف بشأن السلطان المجاهد صلاح الدين الايوبي ، فكان أبا القاسم رحمة الله ألغى ترجمته في التاريخ اغفالا ، وانتقد أبو شامة لذلك فقال : « لم يذكر له الحافظ أبو القاسم ترجمة مع أنه ملك دمشق في سنة سبعين » ، ويبدو أن أبا القاسم كان أكثر اعجابا بنور الدين ، ولقد عاتب صلاح الدين مرة بحدة ، ووصف مجلسه بأنه « (٢) بعض مجالس السوق لا يستمع فيه الى فائل ولا يرد جواب متكلم » ، والغريب أن العتاب نفسه او قريبا منه ، قد صدر عن الحافظ السلفي في الاسكندرية بحق السلطان نفسه (٣) . على أن صلة القاسم بصلاح الدين كانت أوثق فيما يبدو ، فقد صنع القاسم كتابا في الجهاد ، سمعه منه السلطان صلاح الدين في سنة ست وسبعين . قال القاسم (٤) : « فدعوت في أوله وأخره بفتح بيت المقدس فاستجاب الله ذلك وله الحمد ، وفتح بيت المقدس في السادس والعشرين من رجب ، سنة ثلاثة وثمانين وخمسين واثنا حاضر فتحه » .

وقد يبرز هنا سؤال وجيه : لماذا لم يلتحق القاسم ترجمة لصلاح الدين ؟ والجواب على ذلك يدخلنا في صميم عمل القاسم وطبيعة الحاقة في التاريخ .

(١) الروضتين : ١٠/١ .

(٢) بذبة سوات السطلي : من ١٢

(٣) سير اعلام النبلاء : مج ١٢/١٢



ظل العرب فترة طويلة لا يهتمون اهتماماً كلياً وجدياً بتراثهم العلمي ، بل تركوا أمر المعرفة إلى المستشرقين من مختلف أطراف المعمورة ... فراح هؤلاء يجمعون المخطوطات في جامعاتهم وعواصم بلدانهم . وبدأ البعض منهم يكتب ويحقق وينشر .. ولكن وبكل أسف إذا ما تفحصنا الناتج الذي سدر عنهم وجئنا قسماً منهم مفروضاً يدرس السمة في الدسم .

وكان ترتيب دراساتهم عموماً هي : توزيع نتاج الحضارة العربية على الفرس والهنود والاتراك .. او حتى على اليهود . ويزعمون أن دور العرب كان التقليل فقط . أما فيما يخص تاريخ الطب العربي فالامر ينطبق على ما ذكرناه فيؤكد ذلك ليون بيبيه، وجاريون، وبراؤن وغيرهم ، ما عدا قلة نادرة أمثال الفرنسي لوسيان كلير.

وبدأ العرب يهتمون بهذا التراث شيئاً فشيئاً وأذا بالأمر على غير ما قبل . ورغم هذا الاهتمام فلا تزال الجهود قليلة وبمعنارة وتحتاج إلى المزيد من العناية والبذل والعطاء على الصعيدين الفردي والدولي ومن أجل هذا أسس محمد التراث العلمي العربي بجامعة حلب، ومركز إحياء التراث العلمي العربي بجامعة بغداد، ومركز إبحاث التراث الإسلامي في مكة ، ومحمد المخطوطات العربية في القاهرة .

وأسطع بعض العرب أن يرهنوا على اكتشاف الدورة الديوبية لا يعود إلى العالم الانكليزي هارفي كما يدعى علماء الغرب، بل إلى عالم عربي هو ابن النفيس . وابن النفيس هو علي بن أبي الحزم علاء الدين بن النفيس القرشي (نسبة إلى قرية دمشق) (١) الدمشقي ، ولد حوالي عام ٥٦٠ـ / ١٢١٠م ، وكان يحكم دمشق آنذاك السلطان العادل سيف الدين أخوهصلاح الدين الأيوبي . وكان في دمشق في ذلك الحين عالم كبير جليل يدعى مذهب الدين عبد الرحيم على الملقب بالدخوار . أخنى كل حياته في خدمة الطب والعلم وجعل بيته الكبير مدرسة ملية

(١) توجد منطقة في حي الميدان بدمشق تعرف حالياً باسم : حي القرشى أو حارة القرشى وهي واقعة بعيداً عن أسوار المدينة القصبة . وربما كانت مسقط رأس ابن النفيس .

ابن النفيسي

واكتشاف
الدّورَة
الْدِمُوِيَّة

د. سليمان قطاطية

كلية الطب - ج. حلب

سبت بالدخولية تخرج منها علماء كبار أمثال موفق الدين بن أبي أصيحة وعلاء الدين بن التفيس .

وكان الدخوار يعني بأمراض العيون في البيمارستان (المستشفى) النوري في دمشق ثم عينه السلطان سيف الدين رئيساً لأطباء دمشق . نشا ابن التفيس في جو علمي صحيح مبني على الخبرة والأصالحة في التفكير والمناقشة الحرة المستمرة .

ونظراً لما كانت القاهرة تتمتع به ، في ذلك الحين ، من شهرة لما فيها من كبار العلماء الأطباء أمثال : علي بن رضوان وابن جمّع ، وابراهيم ابن عيسى ، والحسن برزيرك ، وابن ميمون ، وموسى بن عازار ، وابن أبي حليقة ، وضياء الدين البيطار .

وكل منهم علم من اعلام الطب والفلسفة والصيدلة .

فشد ابن التفيس رحاله اليها وانخرط في سلك أطباء السلطان ولم يلبث ان اشتهر فاصبح رئيساً للأطباء .

وكان شديد الذكاء : عالي الهمة ، ذكي الانساج ويقال انه عندما كانت تتملكه فكرة التاليف كان ينقض على القلم والورق ولا يزال يكتب حتى ينهي ما يريد ، وكان يكتب دون انقطاع ، كالسيل الجارف ، ويهضّر له مساعدوه اكdas الورق ويبiron له عدة أقلام حتى لا يتوقف عن الكتابة لبرتها . ويرى أنه دخل الحمام ذات مرة ولكنه سرعان ما خرج وطلب ورقاً وقلماً وكتب ، ولما أنهى ما كان يريد ان يكتبه عاد إلى الحمام فاغتسل .

ولقد ألف من الكتب الشيء الكثير ومن

أهمها : كتاب « الشامل في الطب » ويقال ان الأصل يقع في ثلاثة سفر ، بيض منها ثمانين ، وكتاب شرح فصول بقراط ، وشرح تشريح غالينوس ، والموجز و « شرح تشريح القانون » أي شرح ما جاء في كتاب القانون للشيخ الرئيس ابن سينا حول علم التشريح . وهو كتاب هام جداً نظراً لأنّه وضع فيه آراء جديدة ومكتشفات هامة وانتقد كل ما جاء قبله .

وله كتب أخرى عن الفلسفة والمنطق وأصول الحديث . لأنّ العرب كانوا لا يطلقون اسم الطبيب إلا على من تعلم الطب وأتقن الفلسفة ، أما اذا اقتصر علمه على الطب سمي : متقطباً لطبيباً . وتوفي ابن التفيس في القاهرة وقد جاوز الثمانين وذلك اثر مرض أفقدته ستة أيام وكان ذلك عام ١٤٨٧ / ٥ .

وكتاب شرح التشريح غير مطبوع حتى الان ، وتوجد منه نسخ مخطوطة : في المكتبة الظاهرية بدمشق ، والمكتبة الوطنية في باريس ، ومكتبة قصر الاسكوريوال في اسبانيا ، والمكتبة البوالية في اكسفورد بإنكلترا ، ومكتبة جامعة برلين .

وظل هذا الكتاب رacula على رفوف المكتبات . وذات يوم كان طبيب مصرى شاب يدعى محي الدين التطاوى يطالع مخطوطات مكتبة برلين فعثر صدفة على المخطوط رقم ٢٤٤٣ وعنوانه « شرح تشريح القانون » فخطرت له فكرة دراسة المخطوط وتتبعه رسالة عنه ينال عليها شهادة الدكتوراة في الطب من جامعة فرايبورغ في ألمانيا حيث كان يدرس . وانكب على الدراسة بحماسة شديدة اذ تبين له ان ابن التفيس قد تحدث بوضوح عن الدورة الدموية . بل اكثر من ذلك بالامكان

١٥٤٧ . ويبدو أن ثمة ترجمات أخرى لابن النفيس .

والعلوم ان عصر النهضة بدأ في إيطاليا وكان مدرستها تأثير عظيم . والمعروف أيضاً ان الكتب الطبية العربية قد ترجمة إلى اللاتينية وانتشرت بسرعة فائقة .

وكان أول من تكلم عن الدورة الدموية كما جاءت في كتاب ابن النفيس ، لكن دون ذكر له ، هو سيرفيتوس أو ميشيل سيرفيه .

وكان سيرفيتوس قد ولد في فيلانورفا في مقاطعة أراغون في إسبانيا ولا بد أنه ، كاسباني ، قد اطلع على أعمال مؤلفات ابن النفيس ، فذكرها وكررها دون ذكر المصدر كما جرت العادة في أيامه .

ذلك فعل طبيب إيطالي يدعى كولومبو إذ نشر المعلومات نفسها .

فإذا ما قارنا النصوص الثلاثة ، كما يقول ماير هوف ، وجدناها مشابهة بل فيها تطابقاً مدهشاً ، لا يدع للشك مكان في أن الإيطالي والاسباني نقلوا كلام العربي .

كان القدماء يعتقدون بأراء جالينوس في التشريح ويكثرونها في مؤلفاتهم . وفيما يخص القلب ودوران الدم ، فقد كانوا يقولون بأن القلب عضو لحمي صلب ، مخروط الشكل ، وقادته في وسط الصدر ورأسه يميل إلى الجانب الأيسر ، وله ثلاثة أنواع من الألياف ، وثلاثة بطون : أوسط ، وأيمن وأيسر . وله أربع منافذ : اثنان

القول بأنه هو مكتشف الدورة الدموية ، فصاغ اطروحته بعنوان : « الدورة الرئوية تبعاً للقرشي » . ولكن استاذته رفضوا تصديقه ، وأمام الماحه الشديد ، ونظراً لجهلهم باللغة العربية أرسلوا صوراً عن المخطوطة إلى المستشرق الألماني ماكس مايرهوف (١٨٧٤ - ١٩٤٥) وكان يقيم في القاهرة ، ويعاطي أمراض العيون .

فترسل مايرهوف الموضوع وأرسل يؤيد أقوال التطاوي . وبلئن المؤرخ جورج سارتون فأدرج الموضوع في آخر جزء من مؤلفه المسمى عن تاريخ العلوم . ونشر مايرهوف الكثير من المقالات حول هذا الموضوع .

أما الدكتور محى الدين التطاوي (١٨٩٦ - ١٩٤٥) فعندما عاد إلى بلاده عين طبيباً في الصعيد (٢) ولم تقدر مواهبه وكفاءاته وأعماله ، وحدث إن هبت جائحة تيفوس على المنطقة التي كان فيها فأصيب وتوفي أثر أصابته ٠ ٠ ٠

وبعد علماء الغرب يعترفون بتردد بفضل ابن النفيس ، إذ لا زال سؤال مطروح : كيف انتقل اكتشاف ابن النفيس إلى الغرب وعلمهائه ٠ ٠ ٠ وتصدى للجواب على هذا السؤال لفيض من الباحثين من بينهم الدكتور عبد الكريم شحادة (من حلب) فكرس اطروحة لنيل الدكتوراه من باريس لهذا الموضوع عام ١٩٥٣ . (*) وهو اليوم استاذ الأمراض الجلدية في كلية الطب بحلب .

وهكذا وجد على أن ابن النفيس كان معروفاً لدى الأوروبيين إذ قد ترجم كتابه هذا إلى اللاتينية خلال القرن السادس عشر في دمشق ومن قبل البابغوس ونشر الكتاب في البندقية عام

(*) نايل « مجلةتراث العرب » ان نشر في العدد القائم هذه الأطروحة الهمة ، خاصة وأن الطروحة الدكتور النطاوي قد شارك في مكتبة الجبنة اللاتينية المكونة ١١ - التحرير .

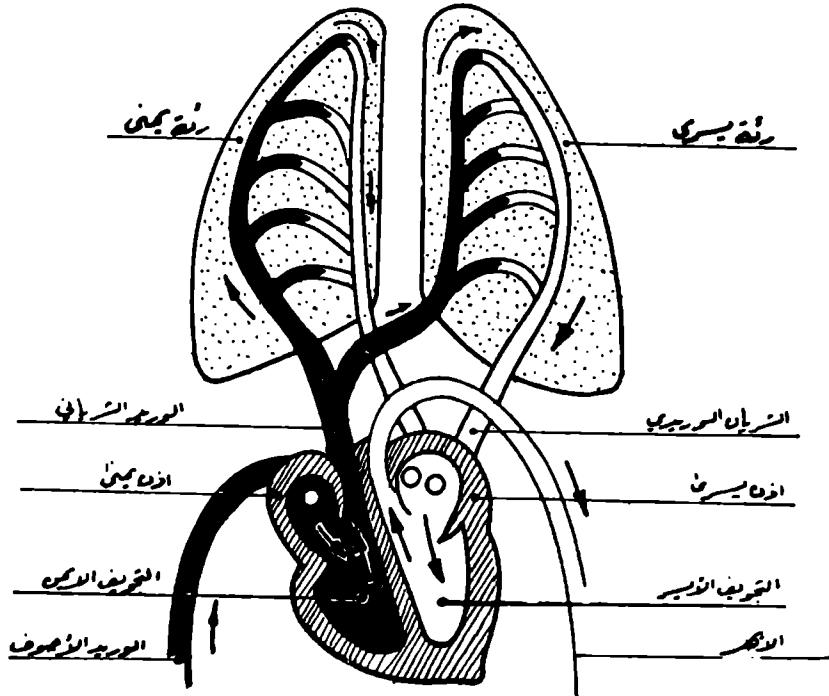
ويجتمع في الأيمن ، ويستعد في الوسط ، ويصير روها PNEUMA في الأيسر ، وتنقل الفتحات بين البطنان أثناء الانقباض .

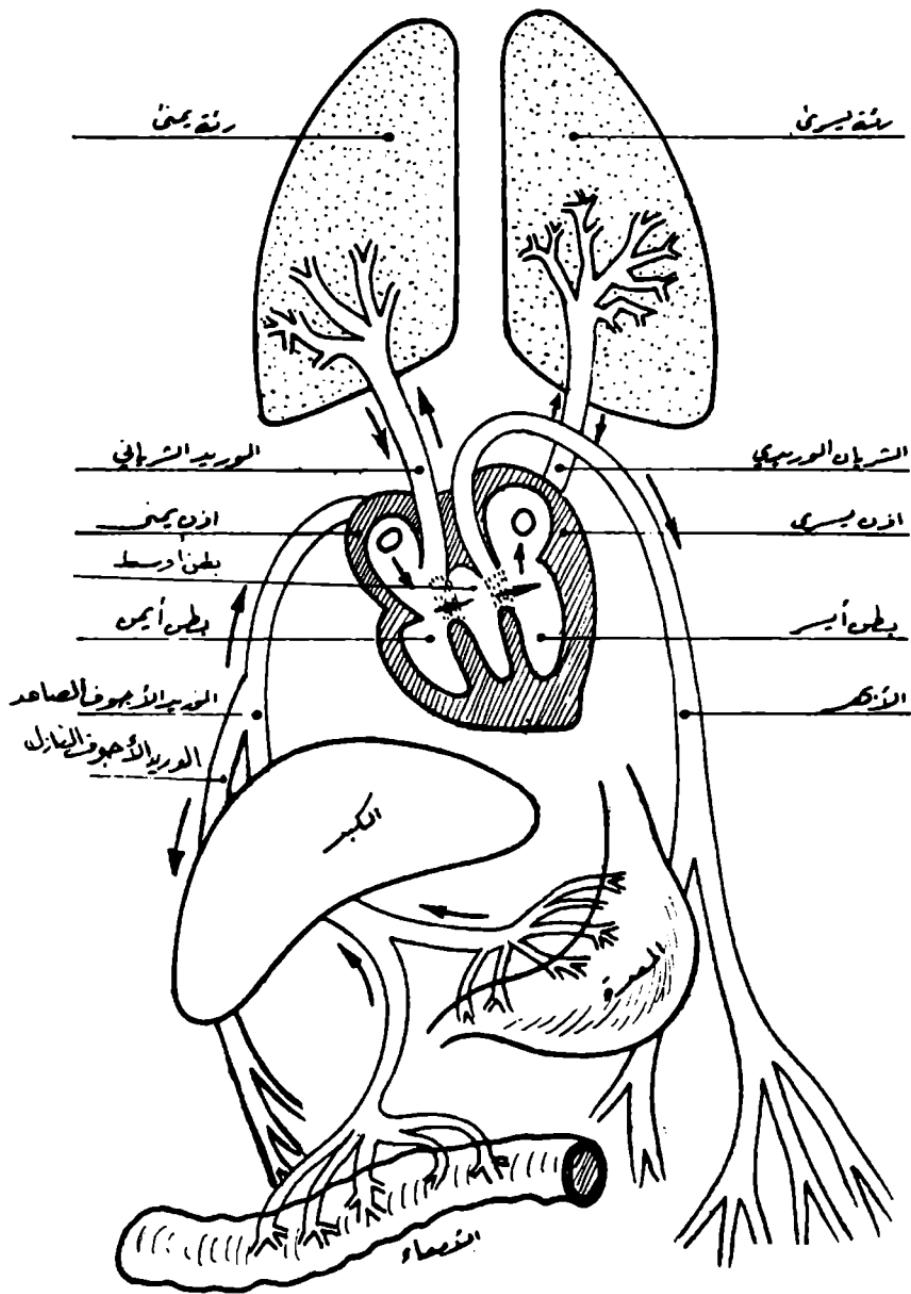
والقلب يجذب الهواء البارد من الرئتين ، ويدفع البخار الدخاني . ويتحرك في النفس الطبيعي عشر مرات : خمسة انبساط ، وخمسة انقباض . وحركة الدم كحركة مد البحر والجزر (أي لا دوران) . والدم نوعان : مرّوح ، ودخاني أو مدخن أو متدخن .

لكن ابن النفيس نقض هذا الكلام فقال في كتابه « شرح التشريح » اذا لطف الدم فلا بد من

الى اليمين : أحدهما ينفذ فيه الدم من الكبد والآخر عن طريق الوريد الأعوف ، والثاني هو الذي يتصل به الوريد الشرياني (ما نسميه حالياً : الشريان الرئوي) . واثنان الى اليسار : أحدهما منفذ الأبهر ، والثاني : منفذ الشريان الوريدي (ما نسميه حالياً : الوريد الرئوي) . وللقلب اذنان . ويحيط بالقلب غشاء صلب . ويعلوه شحم كثير ، وتتصل به رباطات كثيرة .

ويعطي القلب لسائر اعضاء البدن : الحياة ، والحرارة ، وسائل القوى . وهو دائم الحركة . وينتقل الدم من البطنان الثلاثة بالتدريج : ينصب





جريان الدم حسب مفهوم جالينوس

حسلام وهو علاء الدين بن النفيس الدمشقي، وهذه
حقيقة اعترف بها علماء العالم أجمع .
- ان السبب في الاكتشاف هو اهتمام علماء
عرب بالموضوع ، وكل ما فيه وكتبه المستشرقون
كان سلبياً في معظم الحالات . لذا : كان من أولى
واجبات علماء العرب الاهتمام بالتراث و دراسته ،
وأولى واجبات الدول العربية تخصيص الأموال
وتكريس الجهد في سبيل ذلك وتأسيس المعاهد ،
وتشجيع البحث (وهو ما يجري حالياً) من أهم
الأسباب الداعية الى امثال ذلك الاكتشاف .

ملاحظة :

قامت المؤسسة العامة للسينما في دمشق بالتعاون مع معهد التراث العلمي العربي بحلب ، بإنتاج فيلم وثائقي عن ابن النفيس أخرجه الأستاذ صلاح دهني . وعرض لأول مرة بمناسبة انعقاد الندوة العالمية الثانية لتاريخ العلوم عند العرب » في جامعة حلب في نيسان ١٩٧٩ . شارك في إعداد مادته العلمية الأستاذة : د . عبد الكريم شحادة ، د . نشأت حمارنة ، د . سليمان قطاطية .

المصادر العربية:

- غليونجي د . بول ابن النفيس - سلسلة اهلان العرب .
 - شمومط د . محمد نزار : ابحاث اسبوع العلم الثامن - الكتاب الاول (الطب) دمشق - ١٩٧٠ .
 - ابن ابي اصييعه : عيون الانباء في طبقات الاطباء - دار الحياة - بيروت ١٩٦٥ .
 - عيسى د . احمد : مجمع الاطباء - القاهرة - ١٩٤٤ .

المصادر الأجنبية:

Chéhadé Dr. A.K. : Ibn An-Nafis, Et La
Découverte De La Circulation Pulmonaire
Institut Français De DAMAS — 1952.

نفوذ الى التجويف الأيسر حيث يتولد الروح ولكن ليس بينهما منفذ ، فان جرم القلب هناك مصممت ليس فيه منفذ ظاهر ، كما ظنه جماعة، ولا منفذ غير ظاهر يصلح نفوذ هذا الدم، كما ظنه جالينوس . فان مسام القلب هناك متحصنة، وجرم غليظ فلا بد ان يكون هذا الدم اذا لطف نفذ في الوريد الشرياني الى الرئة ليتبث في جرمهما ، ويختلط الهواء ، ويصفى الطف ما فيه ، وينفذ الى الشريان الوريدي ليوصله الى التجويف الأيسر من تجويفي القلب ، وقد خالط الهواء وصلح لأن يتولد منه الروح « ويقول ايضا » فان القلب له بطانة فقط أحدهما مملوء من الدم وهو الأيمين ، والآخر مملوء من الروح وهو الأيسر ، ولا منفذ بين هذين المنفذين البتة » . وهكذا فقد برهن ابن النفيس على ان القلب يحتوي على بطينتين فقط غير متصلين ببعضهما البعض .

وان الدم يذهب من البطين اليمين الى الرئة
«فيتروح» ثم يعود الى البطين الأيسر .
اما كيف توصل الى ذلك ، فلا بد انه قام
بتشريح الحيوان ، والانسان . اذ نجده يقول
«والتشريح يكذب ما قالوه » وهذا يعني ،
بالطبع ، التشريح العملي على الجثة . ولا بد انه
كان يقوم بذلك سرا خيفة رجال الدين ومعارضتهم .
ثم جاء ولیام هارفی (۱۵۷۸ - ۱۶۰۷) فاکمل
الصورة ووضعها في شكلها العلمي الحالي .
فنسبت اليه ، كما نسبت قبلًا الى سیرفیتوس .
والمأقعان المكتشف هو العرب ابن النفیس .

خلاصة القول :

- ان مكتشف الدورة الدموية الرئوية هو عربي



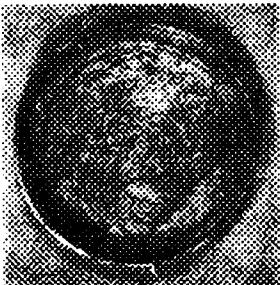
طبع

الشدة

العالمية

للدّراسات

الأوغاريتية



إعداد: علي القمي

افتتاحية الٰذوة

الدكتور عفيف بهمني

من بلاد الرافدين الى الساحل السوري ، كما يفسر انتقال الحضارة معها ، مما يحدد شخصية متميزة لحضارة واسعة ومتمرة . وليست الحضارات اللاحقة الآرامية ثم العربية الاسلامية الا استكمالا لتلك الأصول القديمة التي ابتدأت مع بداية التاريخ .

لقد وصلت اوغاريت الى قمة ازدهارها بعد منتصف الالف الثاني قبل الميلاد ويدل على ذلك ما اكتشف من مبانى هامة كالقصر الملكي والاحياء الرسمية والعرفية ، وما عثر عليه من تماثيل هامة مثل تماثيل بعل والرأس العاجي وألوف الرقم *Tablettes* التي حملت أخبار الحضارة الاوغارية فعرفتنا على سياسة اوغاريت وعلاقاتها بسكنان وادي النيل والثعيبين والحوربين . كما عرفتنا على التوانين السائدة والأداب والمقائد التي تعتبر أصلا للآداب التوراتية .

ولعل أهم حدث هو اكتشاف رقم فيه ثلاثة رمزاً أبان لنا أن اوغاريت كانت قد ابتكرت أقدم الأبجدية في العالم . وطور سكان جبيل هذه الأبجدية فكانت أساساً للأبجدية الآرامية والبطانية والمرية ثم انتقلت الى الاغريقية الأولى ثم اللاتينية . ولعل النقد الاغريقي الذي يحمل صورة قدموس وهو يعلم أهل بلية الأبجدية أكبر دليل على انتقال الأبجدية الكنعانية الى العالم . ومن بين الرقم المكتشفة في اوغاريت رقم يحيى أقدم قطعة موسيقية ترجع الى القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، أي قبل ألف عام من ظهور علم الموسيقى على يد فيثاغورس . ولقد أثبتت العالمة كيلمر Klimer أن موسيقى رأس الشمرة التي تعود على السلم السبعاني الذي اتوبي هي أساس الموسيقى الغربية .

مليون عام على الأقل مرت على وجود الإنسان في شالي الساحل السوري ، لقد اكتشفت آثار هذا الإنسان واضحة على شفاف نهر الكبر الشمالي . ولستا ندرى كيف تطور هذا الوجود الانساني حتى بداية العصر الحجري الحديث *Néolithique* ، الا اننا أصبحنا نعرف المزيد من المعلومات عن الفترة القائلة في الالف السابع ق.م وعن ظهور شعوب عربية سامية استطاعت أن تكون بداية الحضارة ، فتبني من العجر يوماً مستقرة وتستفيد من الطلاء الكلسي لاكتفاء الجدران ، وتصنع الفخار الذي تتطور صناعته بسرعة .

وفي الالف الرابع توضح شيئاً فشيئاً الشعوب التي استوطنت الساحل السوري وبخاصة رأس الشمرة ، وذلك من خلال صناعة الفخار التي تماطل فخار تل حلف وحسونة وتأخذ المنطقة اسم اوغاريت وتصبح مركزاً لكتناعي الشمال .

لقد ساعد اكتشاف أرشيف اييلا في تحديد هوية الشعوب الكنعانية وأصلها . فلقد تبين أن اللغة التي استعملت في ايلا ما هي الا الوسيط بين لغة اكاد وكتناع ، ويفسر هذا انتقال الشعوب السامية



وتل سوكاس ، ثم رأس البيط ورأس ابن هاني وأفاما وتدمر وبصرى وشها والرصافة وقصور العير .. وعشرات غيرها هي مراكز حضارية متتابعة اكتشفت خلال هذا القرن وزودتنا بروائع الآثار والأخبار .
ولكتنا اليوم وبعد خمسين سنة من بداية الحفريات في اوغاريت لابد أن نحيي هذه الجهود التي عملت بصبر واحلاص . ولا بد أن نذكر بالذكرى جميع الأثريين الذين تعاقبوا في رأس الشمرة باختين عن حضارتها وتاريخها ولا بد أن نحيي زملاء لنا خدموا العمل الأثري في اوغاريت وغيرها وتركوا أثر جهودهم ورعايتهم لاعمال الكشف واضحة فيما قدموا من دراسات وترجمات نشرت في حوليتنا الأثرية .

خلال خمسين عاماً متصلة كانت مجموعة من العلماء الفرنسيين على رأسهم البروفسور كلود شيفر فورير ، تعمل في موقع رأس النسرة لمتابعة التنقيب والكشف عن حضارة هذه المنطقة وايقاظ تاريخها بل تاريخ جزء هام من العالم القديم . ولقد قدمت لنا الدراسات التي نشرت في سلسلة اوغاريتيكا Ugaritica معلومات هامة وأساسية لكتابه تاريخ سوريا بل تاريخ الإنسانية في الألف الثاني .
ولكن ، ليست اوغاريت هي الموقع الوحيد الذي كشف المراحل الناقصة من التاريخ القديم ، بل ان تل حلف وماري وتل خويرة Khouéra وايلا وعمرت

سلطت ضوءاً جديداً على اوغاريت ومستقبل الدراسات الاوغاريتية الى أن المديرية العامة للآثار والمتاحف سوف تقوم باصدار عدد خاص من مجلة العوليات الأثرية العربية السورية يتضمن كافة الابحاث التي أقيمت في هذه الندوة العالمية ... فان ما تقدمه في هذا الملف الخاص لن يتمدئ عرضها سريراً لباحثها وتترك الامامضة لمجلة العوليات الأثرية وعددها الخاص عن الندوة ..

مقدمة ولحة تاريخية عن اوغاريت :

لم يكن اسم اوغاريت معلوماً قبل عام ١٩٢٩ إلا بواسطة بعض الكتابات القديمة النادرة إلى أن جاء الثاني من نisan من ذلك العام ، يوم بدأتبعثة الفرنسية برئاسة السيد كلود شيفر العمل في التل المسمى (رأس الشمرا) حيث اكتشفت اوغاريت في موقعها الذي يبعد حوالي عشرة كيلو مترات إلى الجهة

في الفترة الواقعة بين ١٠ - ١٣ تشرين الأول ١٩٧٩ عقدت في مدينة اللاذقية تحت رعاية السيد الرئيس حافظ الاسد رئيس الجمهورية العربية السورية الندوة العالمية للدراسات الاوغاريتية بناسبة مرور خمسين عاماً على بدء العمل الأثري في اوغاريت .. ولقد شارك في هذه الظاهرة

العلمية الهامة ما ناف على تسعين عالماً أثرياً من القطر العربي السوري والاقطار العربية وفرنسا وإيطاليا وإنكلترا والولايات المتحدة الأمريكية واليابان وأسبانيا والمانيا الاتحادية وبلجيكا ...

ونشير قبل استعراض المحاضرات الهامة التي

خلف
الستدة
العلميّة
للدراسات
الأوغاريتية

MEMORIAL DIARY ERNST RANKE

۱۳۰



JABAL AL-AQRA'

ذلك المهد كانت تتطلب ١٥٠ — ٢٠٠ إشارة لتدوين الكلام الا أن اللغة الاوغارية كانت لا تضمن أكثر من ثلاثة اشارات ٠٠٠ فهي اذن أبجدية بالمعنى المعنوي اليوم لهذه الكلمة . وما زاد من أهمية هذه الأبجدية اكتشاف لوحة صغيرة نقشت عليها آخر اللغة الاوغارية بالترتيب التي كانت تلفظ به عادة وهو نفس ترتيب (ابجد هوز حطي ٠٠٠) وهذا الترتيب هو على وجه التقرير نفس ترتيب الأبجدية اليونانية التي هي أساس جميع أبجديات العالم الحديث ٠٠٠ وهذا ما ثبت بصورة حازمة الأصل السوري للابجدية اليونانية ٠٠٠ وبعد حل رموز هذه اللغة أمكن معرفة مضمون اللوحات المديدة المكتشفة في اوغاريت وتفصلت : الملحم والقصائد الميتولوجية وكابات تتعلق بالمحاسبة وكابات مدرسية للتعليم ولوائح باسماء الاعلام وكابات تتعلق بمارسة الطقوس الدينية ونصوص قضائية ومستندات تجارية ولوائح باسماء المدن والقرى في مملكة اوغاريت ، ونصوص رسمية ومحفوظات دبلوماسية وأخرى تتعلق بالتنظيم العسكري وغير ذلك من اللوحات الهاامة ٠٠٠

ابحاث الندوة :

قسمت ابحاث الندوة حسب مواضعها الى أربع مجموعات ٠٠٠ الاولى منها خصصت للغة والنصوص الاوغارية والثانية خصصت لآثار اوغاريت والثالثة للديانة والاساطير الاوغارية ، والرابعة خصصت لتاريخ اوغاريت ٠٠٠

ونستعرض فيما يلي أهم الابحاث والمحاضرات التي أقيمت في هذه الندوة العالمية حسب مواضعها ٠٠٠

(١) اللغة والنصوص :

افتتحت الندوة بالدراسة التي أعدها الدكتور علي أبو عساف (سورية) حول شرح معاني بعض المفردات

الشمالية من مدينة اللاذقية على الساحل السوري واكتشفت فيها أقدم أبجدية معروفة في العالم وتعود الى القرن الرابع عشر قبل الميلاد (في زمن اكتشافها) . ويعود تاريخ اوغاريت الى المهد الحجري الجديد أي الالف الخامس ق.م وقد وصلت الى عددها الذهبي في القرنين الخامس عشر والرابع عشر قبل الميلاد الى آن غزتها (شعوب البحر) في القرن الثالث عشر وبه القرن الثاني عشر قبل الميلاد وقد جاءت هذه الشعوب من البلقان والسوائل الشمالية والبحر الاسود واستولى الفرازة على اوغاريت وهدموها وتابعوا سيرهم نحو الجنوب بعد أن أتوا عليهم المدام ٠٠٠

وموقع اوغاريت حاليا نجده فوق تل يدعى (رأس شمرا) يعلو حوالي ١٧ مترا عن سطح البحر ، يحيط به من الشمال والجنوب مجرى نهر الفيض الذي يصب في البحر المتوسط في موقع هام جدا بالنسبة لمدينة اوغاريت (مينا البيضا) الذي كان يتألف من حوضين : الكبير والصغر وهو المنفذ البحري لهذه المدينة الطبيعية التي اشتهرت بتجارتها ٠٠٠ فكانت الرابك تصل اليها من البحر تحمل معها البضائع كالذهب والمعطر والبخور برسم التصدير الى سوريا الشمالية وببلاد ما بين النهرين وتعود منها محملة بالاخشاب والنحاس والأواني البرونزية والأسلحة ، كما ازدهرت تجارة الجياد بين اوغاريت من جهة ومصر من جهة أخرى ٠

أبجدية اوغاريت وكتابتها :

اكتشفت أبجدية اوغاريت عام ١٩٤٩ ٠٠٠ فأثارت اهتمام العلماء الآتين في العالم أجمع ٠٠٠ بسبب كون اللغات الأخرى كالمسارية والميروغليفية والحوورية وغيرها من اللغات التي كانت تستعمل في





الجدية رأس شمرا

OUGARIT	LATIN	ARABE	OUGARIT	LATIN	ARABE	OUGARIT	LATIN	ARABE
DD-	A	ا	YY	Y	ي	E	P(F)	ف
BB	B	ب	KK	K	ك	YY	S =	ص
?	G	ج	TTT	T	ت	XX	Q	ق
?	H	ح	TTT	L	ل	BBB	R	ر
BBB	D	د	YY	M	م	YY	G =	ث
EE	H	ه	YY	S	س	YY	Q =	خ
BBB	W	و	DDD	N	ن	OO	T	ت
?	Z	ز	XX	?	ـ	YY	I	ـ
YY	h =	ـ	YY	S	ـ	YY	U	ـ
BB	t =	ـ	o	?	ـ	EE	(S)	(و)

دراساتنا لتراثنا اللغوي القديم ، ونحن نصنف صنعاً فيما إذا زدنا من اهتمامنا بدراسة لتراثنا الشرقي القديمة وربطناها باللغة العربية حفاظاً على تراثنا إلى جانب أن مثل هذا الامر يقود إلى إجلاء الموضوع عن مفردات كنعانية ، آرامية ، اوغارية ٠٠٠ ليس لها ترجمة مرضية حتى الآن ٠٠٠ وللوصول إلى هذه الثانة قام الدكتور أبو عاصف « كما نوه » بما يلي :

- ١ - جمع المفردات الأوغارية ذات المعنى الشاعر مرقة وفق تسجيل العالمين ايستير وغوردن ٠
- ٢ - المودة إلى النصوص التي وردت فيها تلك المفردات فشاهد أن من هذه النصوص ما هو شبه تمام ويمكن فهم معناه وما هو مشوه لا يمكن فهم منه أو حتى فحواه ٠٠ وكان امام أمرئين اثنين : اولهما انه بالامكان في حال كون النص تماماً أو شبه تمام فهم محتوى النص وبالتالي تقدير معنى الكلمة لم تترجم ، وثانيهما وجد أنه ليس من المستحيل وجود قرائن عربية لمفردات أوغارية وردت في نصوص مشوهة ٠

وكانت هنالك صعوبات منها :

- ١ - من العسير ان نجد جملة متطابقة استعملت فيها نفس الكلمة في الأوغارية والعربية ، بل نجد تقاربها في المعنى ٠
- ٢ - رغم اسهاب قواميس اللغة العربية في ايصال معانى الكلمات فإن شواهدنا من الجيل قليلة ٠
- ٣ - ان الرجوع الى العامية صعب بسبب عدم توفر تدوين لها وتمنذر التنقل في الريف ب匪ة البحث والدراسة ٠

وقام الدكتور أبو عاصف في نهاية بحثه بعرض موجز لأهم النتائج التي توصل إليها وعرض كلمات مختارة أوغارية مع مقارتها بالعربية ٠٠٠

الأوغارية ومقارتها بالعربية ٠٠ وقد أشار الدكتور أبو عاصف في دراسته إلى أن معظم العلماء المتهرين بدراسات اللغات الشرقية قد قللوا في استشهادهم بمفردات اللغة العربية وقواعدها حين يدرسون نصاً اوغاريياً أو آرامياً واكتفوا في غالب الأحيان ب弋اد مرادفات عربية لكلمات واضحة المعنى وتجنبوا نهاية مقارنة أية كلمة ذات معنى غامض كما هو الحال بالنسبة للأوغارية مع الكلمات العربية ومورد ذلك في رأيه هو صعوبة الامساك بمفردات اللغة العربية وقواعدها المخزونة في قواميس كبيرة ، وأشار إلى انه لو لا اللغات الحية لما وصلنا إلى النتائج التي بين أيدينا الآن ومن هنا يجب أن ننتهز أكثر فأكثر على اللغة العربية في إزالة الموضوع عن معانى كلمات كبيرة ويجب الاكتار من المقارنة بينها وبين مasicتها من لهجات حتى نصل إلى غايتنا . وإن اللغة العربية التي تتحدث بها ليست إلا المرحلة النهائية التي تطورت إليها لغات بلادنا القديمة التي وصلت إلينا مكتوبة بالخط المساري أو بالعرف الأبجدية ، وهي ورثة تلك الهجات بكل مافي هذه الكلمة من معنى ، اذ حفظت مفرداتها وصقلت معاناتها وهذلت الفاظها على قواعد علمية وصاغت قواعدها على نحو شامل . لقد مكناها هذا في كافة أرجاء الوطن العربي من الكتابة بلغة موحدة والتحدث في غالب الأحيان بلغة فصحى واحدة ، ونحن في الوطن العربي كغيرنا من الأمم لا تتكلم فقط بلغة عربية فصحى موحدة بل لدينا لهجات تسمى عامية تمود في أصولها « حسب رأي الدكتور أبو عاصف » إلى تلك اللهجات القديمة من أكادية وكنعانية وآرامية وبيتية ٠٠٠ والمرية الفصحى والعامية شعرها وشرها وقواعدتها ومفرداتها تطورت عن تلك الهجات أو اللغات ولا يستطيع أحد أن ينكر بأنها المرجع الأهم في



عبارة استخرجت من نص « اقتت » الاوغاريتى عرض ترجماتها السابقة ثم قدم الترجمة التي اعتقادها الأصح مستندا بالدرجة الأولى الى اللغة العربية مع اللجوء في بعض الاحيان الى لغات سامية أخرى .

● يبر بورد روى الاستاذ في المركز الوطنى للبحث العلمي في باريس (فرنسا) قدم بحثا حول « نصوص أبجدية لم تنشر عن رأس الشمرا ونصوص أبجدية جديدة في رأس ابن هاني » . حيث أشار الاستاذ بورد روى في بحثه الى نص أبجدي واحد قد بقى حتى اليوم غير منشور اكتشف صدفة على سطح تل رأس الشمرة في عام ١٩٧٤ وقدم تسيرا جديدا له ويرى فيه ما يدل على ظالم في الوزن وفيه « الفرس » يعادل ثلث الشائل .

اما النصوص الابجدية المكتشفة في رأس ابن هاني عام ١٩٧٧ وعام ١٩٧٨ فهي تماثيل في مواضيعها مااكتشف في الماكسة اوغاريت ، ومن هذه النصوص المجزأة في الغالب :

— قوائم اسماء ، وأسماء اماكن ، واعطيات وذور .
— رسائل تذكر الملك أو الملكة . . . واحادتها تعتبر من المراسلات الدولية .
— نصوص طقسيّة بعضها يذكر الملك أو الملكة .
— نصوص ميثولوجية ، اثنان منها من طبيعة ، طيبة ، سحرية .

● الاستاذ جون هيلي من جامعة ويلز (بريطانيا) قدم بحثا حول « الاوغاريتية دراسة اللغات السامية » تطرق فيه الى مواضيع هامة بالنسبة للدراسات الاوغاريتية اللغوية منها :

١ — وقع اكتشاف اللغة الاوغاريتية على دراسة مقارنة للغات السامية من (عام ١٩٢٩ حتى عام ١٩٧٩) .
٢ — تصنيف اللغة الاوغاريتية بين اللغات السامية .



● الاستاذ لوي عجان (سوريا) قدم بحثا بعنوان « ايضاح بعض التغيرات الفامضة من نص اقتت على ضوء اللغة العربية » حيث قام الاستاذ عجان بمقارنة بعض التغيرات التي وردت في نص « اقتت » الاوغاريتى ببعض التغيرات العربية ، وأشار الى أنه خرج بتائج لعلها حلت بعض المقد و منها مثلا تفسير كلمة وردت في مطلع النص الاوغاريتى حيث تجد « دائل » لم يرق ابنا يطعم ويستقي الالهة (اوزر) ، اوzer اي لم يلهم او اوزر يشقى بن قدش » .

وأشار الاستاذ عجان الى أن ترجمة كلمة (اوزر) تللت غامقة وان اقترب بضمها الى المعنى الصحيح حين اعتبروها نوعا من التقدمة للالهة ، ولكن عند المودة الى اللغة العربية وجدنا ان الاعذار والمذار والمذير كلها تعني الطعام الذي يقدم بمناسبة الغتان . و دائل المعروف من الولد يقدم ذلك الطعام للالهة لعثمانها على منحه الولد وكأنه يقول « هذا هو الطعام فأين الولد » . واستعرض الاستاذ عجان في بحثه حوالي عشرين

بالفيثاغوري ذي ابعاد الجنس متالية (أو أبعاد بالجنس وأبعاد بالإرتبطة متاوية) . • بعد بثلاثة شديد التأثر لا يمكن استعماله عند تمدد الأصوات والمحتمل انه لهذا السبب تعدد الأصوات غير مستعمل بالشرق .

(٢) آثار اوغاريت :

افتتحت الجلسة الخصصة للباحث المقدمة حول آثار اوغاريت بالبحث المقدم من الدكتور عدنان النبي (سوريا) حول « القصر الملكي الاوغارتي في ابن هاني » تحدث فيه عن الظروف التي أدت الى الكشف عن موقع ابن هاني وعن مواسم التنقيب الخمسة التي قامت بها بعثة التنقيب المشتركة (عربية - فرنسية)

٣ - أهمية اللغة العربية في دراسة اللغة الاوغاريتية تقرير خاص باستخدام اللغة العربية الدارجة في درية .

● الدكتور دينيس باردي من جامعة شيكاغو الولايات المتحدة (قدم بحثاً بعنوان « كتاب بنيات ير محاذ الى معلمها » وهو من ضمن بحث واسع عن كتابة الرسائل الاوغاريتية قام به المؤلف بالاشتراك مع جاري توتل) (ديفيد وورتمان) من جامعة (ييل) وهذه الرسالة هي من الخادمين (بنهم) و (يرمود) موجهة الى سيدتها الذي لم يذكر اسمه ، وتتضمن « الرسالة تسمة وعشرين سطراً موزعة في ثلاثة مقاطع بخطوط أنفية ، يتضمن المقطع الاول عبارات العنوان والتحية ، في حين ان المقطعين الآخرين يشكلان صلب الرسالة ، وهدفت هذه الدراسة الى فحص عبارات هذه الرسالة بالمقارنة مع الشكل الرسائلي العام الدارج في اوغاريت باللغة الاوغاريتية والاקדامية ومحاولة تفسير بعض التغاير الموجودة في صلب الرسالة .

● الاستاذ راول فيتالي (سوريا) قدم بحثاً حول « اللوحة الموسيقية الاوغاريتية وبعض الملاحظات حول ترجمتها وتفسير معناها » وتفصين البحث :

(١) - وصفاً لللوحة : وهي تشهد باللغة الحورية مؤلف من ٤ أبيات تبدأ كتابتها على وجه اللوحة وتكتمل على الوجه الآخر .

(٢) - معلومات عن اللوحة الموسيقية الاكادية : لوحة تعطي اسماء اوتار القيثارة ، ولوحة أخرى تعطي اسماء الابعاد الموسيقية وموقعها على الاوتار ولوحة تعطي معلومات على توافق اصوات القيثارة . والنتيجة التي توصل اليها الباحث في بحثه هي : أن السلم الموسيقي المستعمل هو السلم المسن

الاوغراري وشيد هذا القصر بطريقة السطوح التدرجية التي عرفت في ايمار (مسكه) على المرات ، وكل من السطوح مشكل من الرمل والتربة الفخارية الحمراء ... ولكن هذا القصر لم يشر فيه على لقى كثيرة ويبدو انه قد أفرغ من اثاره ومحتواته من أجل الاصلاح او خوفا من اجتياح شعوب البحر التي كانت تهدد القسم الشرقي من البحر المتوسط حوالي نهاية القرن الثالث عشر قبل الميلاد .

اما القصر الشمالي فهو كالقصر الجنوبي كان مخططها واتجاهها وشيد على خط الساحل ولكنه في

والتي اوضحت في اللن وما حوله خمس سويات أثرية هامة .. وأشار الى أن السوية الخامسة هي أقدم السويات المعروفة حتى الان وتعود الى عصر البرونز الحديث الثاني ، والثالث (القرن الرابع عشر والقرن الثالث عشر قبل الميلاد) وقد انجلت عن قصرين جنوبي وشمالي وبينهما منشآت مختلفة الطبيعة عرف منها بعضا المنازل .

والقصر الجنوبي تبلغ مساحته حوالي ٥٠٠٠ م^٢ وهو موجه بزواياه الى الجهات الأربع يصوته من الجهة الشرقية سور للدفاع والدعم يشبه السور الغربي





(رأس أمير أو أميرة من اوغلاريت)

من ألف و خمسة و عام ٥٠٠ يمكن القول ان القبور التي تعود الى عصر البرونز الحديث بالرغم من أنها أقل أهمية من قبور اوغاريت ، فقد تم العثور فيها على أدوات زينة وأدوات الزينة والتي تتسمى الى أصول متعددة : قبرصية ، اليونانية ، مصرية وكذلك محلية .

ولقد جاء هذا الاكتشاف ليؤكد وجود مركز تجاري هام في صيدا بين عامي ١٤٠٠ - ١٣٠٠ قم وانه لعب دوراً كبيراً في جنوب البلاد الفينيقية ومن الممكن مقارنته بدور اوغاريت .

اما المقبرة التي ترقى الى نهاية العصر الحديدي فقد عثر فيها على قبور تذكرنا بالقبور التي عثر عليها

وضع اسلم . وهذا القصر أغنى من الجنوبي باللقي وفيه فخار وبعض اجزاء أواني الآبار والماض . ونوصص هذا القصر ذات قيمة فائقة لأنها أكبر مجموعة بين النصوص الاوغاريتية ولاعها من ناحية ثانية ذات محتوى هام اذ تضم مراسلات داخلية وخارجية كما تضم نصوصاً اقتصادية ودينية وميثولوجية وطيبة وسحرية .

● جاك لاغارس من المركز الوطني للبحث العلمي في باريس (فرنسا) قدم بحثاً حول « منشآت الدعم والدفاع في رأس الشمرة رأس ابن هاني » قال فيه « انه في سهل تدعيم الانقضاض التي كانت تقوم عليها ارض القصر الجنوبي في رأس ابن هاني ، قام معماريو عصر البرونز الحديث بابعاد ركام بارتفاع ثلاثة او أربعة امتار يحميه من الخارج جدار استنادي من الحجر بشكل سور شديد الميلان . وهذا الاسلوب على أهليته الدفاعية هو عراني قبل كل شيء اذ بدونه لم يكن بالامكان تعلية القصر عن الصخور الطبيعية التي بني عليها .

وان اكتشاف السور المائل في ابن هاني قد حدا بنا الى اعادة النظر في السور المائل برأس الشمرة والتحصينات المتصلة به . وقد لاحظنا ان سور رأس الشمرة المائل يحمي هو نفسه أيضاً ، ركاماً من تربة بيضاء مرصوصة واضحة وهنا نجد أن السور المائل له وظيفة تدعيم الطرف الغربي من التل .

● الاستاذ روجيه صيدح (لبنان) قدم بحثاً بعنوان « اوغاريت وصيرون : بعض أوجه التشابه » تحدث فيه عن أعمال الحفر والتنقيب التي اجريت منذ بضع سنوات في ضواحي مدينة صيدا والتي كشفت النقاب عن مقبرة قديمة العهد استعملت خلال ما يقرب



الاستاذ شيفر في ربيع عام ١٩٣٢ والتي تعود الى المسر
للعديد ايضاً

ومنه يمكن القول ان الآثار الجنائزى وما أضيف
إليه من الكتابات انا تحت تحديد تاريخها بدقة بمقارنة
بتاريخ القبور المعاصرة التي وجدت في اوغاريت ٠

● الاستاذ نسب صليبي (سورية) قدم بحثا حول
«المداف اوغاريتى الذى اكتشف صدفة عام ١٩٧٠»
وهو من القبور المروفة جيداً في اوغاريت ويندركتها
بالقبور المسيحية الكبيرة ٠ وقد أدت عمليات الكشف
التي قامت في هذا المداف الكبير إلى اكتشاف الكثير
من القطع والفضائح التي قامت المديرية العامة للأثار
والمتاحف بتزويتها ٠ كذا اكتشف بالإضافة إلى ذلك
في المداف جرة من حجر الاباتر من مصدر مصرى ٠

● الاستاذ سي ايши ماسودا من جامعة طوكيو
(اليابان) ٠ قدم بحثا حول «فار تل الريميله في
حوض الفرات وعلاقته مع حضارة المسر البرونزي في
الساحل الشرقي للبحر المتوسط» ٠ استعرض فيه
الباحث اعمال التنقيب الاري الذي قامت بهبعثة
الأثرية اليابانية خلال خمسة مواسم تنقيبة منذ عام
١٩٧٤ تل الرميله وتل المزرفة الواقعين في حوض
الفرات الى جانب تحريرات واسبار في عدد من الواقع
المعيطة بما مثل : مدافن المسر البرونزي بما فيها
مقابر الدولن ومدافن من العصر الروماني والبيزنطي
٠ كما بين في بحثه أوجه التشابه بين الفخار المكتشف
في تل الرميله وفخار مواقع المسر البرونزي الوسيط
والمتأخر على ساحل البحر المتوسط في سوريا بما فيها
(اوغاريت) ٠

(٢) الدولة والاساطير :

من ضمن الابحاث المقدمة والتي تتعلق بديانة

وأساطير اوغاريت قدم الاستاذ باولو كسيلا من جامعة
رومما (ايطاليا) بحثا بعنوان «الرب ، رشف ، في
اوغاريت » قال فيه « شخص للرب السوري (رشف)
حتى الآن عدد هام من الصفات والدراسات ورغم
ذلك يمكن التأكيد بأن شخصية هذا الرب مازالت
غامضة حيث المطبات بجملها بخصوصه تدلنا على
سلسلة من الصفات المقددة كثيراً أو المترافق لتوافق
الحقيقة التاريخية ، ويعود كل هذا إلى عادة اعتبار
المطبات (المصرية الاوغاريتية والفينيقية ٠٠) كل
تعود إلى عصور مختلفة جداً ٠٠٠ وباعطائنا الأفضلية
للوثائق السورية من الألف الثاني قبل الميلاد فاتنا
فترض هنا اقتراها من - رشف - الذي يأخذ بين
الاعتبار الغنر التاريخي ويهدف أيضاً إلى إقامة
شخصية الرب في البيئة والمعمر الذين تدل عليهم
المصادر ٠٠٠

إن نصوص رأس الشمرا ونصوص رأس ابن
هاني تقدم لنا عدة معلومات عن حضوره في العبادة
وعن دوره في مجتمع آلهة اوغاريت ، وعن شعبته على
الصعيد الشعبي ، وأذن تحليل صفاتة (م ح ب ن)
و (ح ج ب) و (س ب ي) و (م ل ك) و (ي د رب)
مع الصفة موضع الجدال (د ش ف ج ن) الموحدة مع
(ر ا ش ف ج و ن) من (نصوص تل مرديخ - ايلا)
تعرض لنا لائحة غنية ومفيرة وتدوي إلى تاليج بعضها
جديداً ٠

● الاستاذ بشير زهدي (سوريا) قدم بحثا
بعنوان « اوغاريت والفكر » قال فيه « ان نصوص
اوغاريت المكتشفة من قبل البعثة الأثرية الفرنسية في
رأس الشمرا ، قد افاقت معرفتنا عن التاريخ الثقافي
للشعب الكنعاني العربي الأصل »

وقد هدفت دراسة الاستاذ زهدي الى عرض



بالبحث والتحليل الاختام الاسطوانية السورية –
الرافدية من حيث الاسلوب والصور ، وأوضحت في
هذا البحث الطراق المتبعة ، ونوعية المطبوعة ونط
النتائج مع اشارة خاصة الى اوغاريت .

● الاستاذ وحيد خياطه (سورية) قدم بحثاً
حول «الديانة الكنعانية على ضوء النصوص المكتشفة
في اوغاريت » . وقد أشار الاستاذ خياطة في بحثه الى
أنه قبل اكتشاف اوغاريت لم تكن نعرف شيئاً مهماً
عن الحضارة الكنعانية ولم تكن النصوص التي عثر
عليها في اوغاريت مكتوبة باللغة الاوغاريتية ، فالى
جانب اللغة المحلية هناك السومرية والبابلية والغورية

اسهام شعب اوغاريت في تنويع الفكر وتطوره ومحاولة
دراسة بعض خصائص الفكرة الميتولوجية والدينية
والسياسية والحقوقية ، والاقتصادية والأدبية
والفلسفية والأخلاقية والجمالية ... ان الفكر لدى
المثقف الاوغارتي تبدو وراء البحث عن مبادئ قادره
على تفسير قوانين الكون ... ان النصوص الاوغاريتية
تعكس نشاطاً ثقافياً كبيراً للتفكير الانساني يتميز بعمق
التجربة وعمق التأمل .

● مارلين كيلي بوتشيلاتي الاستاذة في جامعة
لوس انجلوس (الولايات المتحدة الامريكية) قدمت
بحثاً بعنوان « ختم السلاة الاوغارتي » تناولت فيه



(ختم اسطواني)



أدى الى تطور المؤسسات السياسية فضلاً عن ممارسة السلطة داخل الجماعات البشرية وتحديد السيادة بصورة متبادلة بين الدول . وبالنسبة لاكثر المجموعات البشرية كانت السلطة تتجلى بشكل دولية ذات أراضٍ . والبداوة ، من بين الجماعات البشرية الاخرى وصلوا أيضاً الى مفهوم خاص للعلاقة بين الارض والسلطة السياسية .

ويجب أن نميز بين نظرين اساسيين من البداوة ، البداوة على طريقة الدارة المغلقة ، والبداوة على طريقة الدارة المفتوحة . الحالة الاولى تقوم على وجود عشائر ترعى الماشية وتحظى رحالها ظامياً في أماكن محددة في فصول السنة ، أما في الحالة الثانية ليس للبداوة ، ما يهدى الى خط سيرهم فتحرّكاهم ليس لها ابداً منهج محدد ، ولا يعودون الى مجتمعاتهم السابقة الا صدفة ، فهم يتقلّلون في دارة مفتوحة تماماً ، وهذا النمط من البداوة ينال مبدئياً لما نراه لدى الفجر في وقتنا الحاضر .

وهولاء الفجر كظاهرة اجتماعية نوعية ميزوا في اللغة بدقة بدلالة أنه اطلق عليهم اسم واحد في مناطق لغوية مختلفة : ومن ذلك « حبّرو » في اللغة الاكادية ، و « غفر » في اللغة الاوغارية ، و « عبريم » بالعبرية ، وهم كالنغير تماماً ، كانت لهم هوية محددة ، ولكن ليس لهم وحدة لغوية أو اجتماعية أو سياسية . كانت هويتهم سلية ، لأنهم كانوا أصلاً من الشردين وبقوا وبالتالي اناس بلا وطن . كانوا يعيشون على هؤامش المجتمع المدني والمستقر (بما في ذلك مجتمع البداوة الذين يعيشون على طريقة الدارة المغلقة فهولاء كانوا مرتبطين بالحدود الارضية ان لم يكونوا مرتبطين بالحياة المدنية) . ان تحديد هوية « الفجر » هو نتيجة

الحيانية والخطية البيروغليفية والبيروغليفية المصرية والقبرصية القديمة . وقد جاءت اللقى والنصوص الاوغارية تزودنا ببعض الافكار الواضحة نسبياً عن الديانة الكنعانية السورية القديمة . وعرفتنا نصوص اوغاريت على الديانة الرسمية للدولة . وان الديانة الكنعانية لم تأثر بجو عدم الاستقرار السياسي الداخلي الذي كانت تعاني منه سوريا عبر تاريخها الطويل كما هو الحال في حضارتها التي تأثرت تأثيراً كبيراً بالحضارات المجاورة فرى أن الدين يشكل وحدة متماسكة واستمراراً ثابتاً فريداً قلماً يشدّ عن التعارف عليه .

لقد أعطانا الانسان الاوغراري أدباً انسانياً شمولياً يستمد من الساحل السوري الى مصب الرافين الى وادي النيل وهضبة الاناضول الى البحر الابيجي دون ان ينقص من خصائصه المحلية المميزة . واذاً كنا لم نثر في نصوص اوغاريت على أساسياته رافقه المنشآت الا ان الاكتشافات المدهشة الاخيرة في تل مرديخ سوف تساعدنا كثيراً في فهم الكثير عن الديانة الكنعانية التي لم تبدأ قطعاً في نصوص رأس شمرة من النصف الثاني من الألف الثاني ق.م وانما تمت جذورها حتماً الى فترات اقدم .

(()) تاریخ اوغاریت :

من ضمن الابحاث التي قدمت في الندوة ضمن هذا الاطار البحث المقدم من جيورجيو بوتشيلاتسي الاستاذ في جامعة لوس انجلوس (الولايات المتحدة الامريكية) . حول « الفجر والبداوة : مسألة الخبر و من خلال التطور السياسي لسوريا القديمة » . وما تناوله في هذا البحث .
« ان تطور المدن في الشرق الادنى القديم قد



وعي حاد في الحضارة التي نتملاها أوغاريت أروع تمثيل » ٠

● الأستاذ فريد جحا (سوريا) قدم بحثاً حول « مكانتة أوغاريت بين المدن » تناول فيه بالبحث مكانة أوغاريت كمدينة كناعية وعربية وتحدث عن ازدهارها وحضارتها وسبل انتشارها ، وتأثرها فيما حولها من مدن ٠٠ وتحدث مطولاً عما كتب حولها من مؤلفات ومقالات وعن كتاب « أوغاريتيكا » السنوي الخاص بها وعن مواسم التنقيب فيها ٠٠ ثم عدد ما فيها من مرافق وشوارع وصفات هذه الشوارع وتلكم المرافق ٠٠ وعرض الى ما تجلى من ذوق أهالى أوغاريت في اللقى التي عثر عليها ، وموضع الاهتمام بالحياة بعد الموت ، ذلك الاهتمام الذي تجلى في الثانية بالمدافن ، وفي كثرة الكهنة وفي وجود كاهن أكبر يدير مدرسة عالية يتمرن فيها الطالب على القراءة والكتابة وعلى الترجمة خاصة ٠ كما تحدث عن مكتبات مدينة أوغاريت الكثيرة وما حوت من تراث وما قدمت لها من معلومات لم تجد منها نحن فقط بل أفادت منها الإنسانية كذلك ٠ إنها مكتبات أن دلت على شيء ، فعلى أن سكان أوغاريت قد كانوا إلى جانب ما تشعوا به من ذوق في علماء ورواد حضارة صفت الجنوان المادية والفكرية منها في آن واحد ٠

● الاستاذ آلان ميلارد من جامعة ليفربول بانكليترا . كان بعثه بعنوان « قادش وأوغاريت » تحدث فيه عما لهاتين المدينتين من أهمية كبيرة في عصر البرونز الحديث وعن الدور الهام الذي لعبتهما من الناحية الاقتصادية والسياسية ٠٠ كذلك تحدث عن العلاقة بين المدينتين في ميدان الكتابات ، ذلك أن قطعة صغيرة من جرة فخارية كبيرة عثر عليها في قادش تحمل إشارات مسمارية ابجديّة ، والمعروفة العشرة

تشكل نهاية لنبط من أنماط الاهداء ٠٠ غير أن وجودها في قادش يشير إلى انتشار الأبجدية المسارية، وهي ليست بالطبع ابجدية أوغاريت المعروفة وإنما هي نبط آخر أكثر اختصاراً ٠

● الدكتور شوقي شمعت (سوريا) قدم بحثاً حول « العلاقة بين مملكة يمحاض (حلب) وأوغاريت في مطلع الآلف الثانية قبل الميلاد » ٠ تحدث فيه عن المصدر الرئيسي لهذه العلاقة وهو أحد الرقم المكتشف في مدينة ماري على الفرات (تل حريري) ، هذا الرقم عبارة عن رسالة موجهة من ملك يمحاض (حلب) إلى زمر يليم ملك ماري يتوسط فيها لرجل أوغاريت، بناء على طلب الأخير بأن يشاهد القصر الملكي في ماري الذي كان زمر يليم قد رسمه أو أكمل بناؤه وكان ذلك القصر ذاته الصيت في عصره في المنطقة الواقعة ما بين نهر الفرات والبحر المتوسط ٠٠ هذه الرسالة تدلت على ما يلي :

١ - ان مملكة ماري كانت موجودة باسمها في مطلع الآلف الثانية ٠

٢ - ان العلاقة بين أوغاريت ويمحاض كانت علاقة تبعية أو صداقة وأن لعلاقة مباشرة بين ماري وأوغاريت والا لكتب أي ملك أوغاريت الى ملك ماري مباشرة دون الحاجة الى وسيط ٠٠٠

٣ - سيطرة يمحاض في عصرها على جزء كبير من البلاد ٠

« خلاصة القول يمكن الافتراض أن أوغاريت كانت في عصر قووة يمحاض (القرن الثامن عشر) الذي لم تبلغاها دولة معاصرة لها حتى في بلاد ما بين النهرينتابعة لها ، ومن الممكن ان يظل هذا الافتراض قائماً حتى يتثنى للتنقيبين الآترين الشهور على مدينة حلب



(١) العمارة السكنية :

أشار الى أن من بين النتائج التي اسفرت عنها الغربيات في الاقطار المغربية وفي بعض جزر غربي البحر المتوسط معمليات تتعلق بالسكن ٠٠ فعلى اختلاف هذه البيوت من حيث حجمها وعناصرها ومن حيث منزلة أصحابها الاجتماعية والاقتصادية نراها تتخذ في مخططها الاساسي التالي : يفتح البيت على الطريق تفصله عنه مصطبة تقىء شر بعض الملوثات كمياه الخانق وغيرها من أوساخ الشوارع ومن الباب يتوجل الداخل في سقيفة أو معبر طوبل منعطف حتى لا يستطيع المارة ذوي القصور اختلاس النظر داخل البيت ومن المعبر يصل الى فناء يحيط به الفرف ولهذا الفناء وظائف عديدة منها توسيع الفرف نوراً وهواءً نقىًّا وفي الفناء تقوم ربة البيت بإنجاز الكثير من أشغالها المنزلية ، ثم نجد في الفناء البئر أو الصرير لخزن مياه المطر وتتجدد فيه مدرجات يدفع الى الطابق العلوي أو الى عملية ولعلهم كانوا يستخدمونه للصعود الى السطوح لترميمها أو لعرض بعض المواد المنزلية من مونة وغيرها لأشعة الشمس ٠٠٠ » . « تلك هي أهم العناصر في البيت اليونيقي^(١) كما وضعتها الغربيات وتوجد نفس هذه العناصر منذ أقدم المصور في بيت وادي الرافدين الى مدة ساحل البحر المتوسط ومنها مدينة اوغاريت » .

(٢) مدينة الاموات :

ما يتصل بهذا الموضوع اشار الدكتور منظر الى « أنه كان في معتقد الكينيانيين عامه والاوغارتيين

القديمة التي كانت عاصمة لملكة يمحاض تحت المدينة الحديثة وعلى وثائقها المكتوبة » .

● الدكتور محمد منظر الاستاذ في قسم التاريخ بالجامعة التونسية ومدير قسم الدراسات الكنعانية في المعهد القومي للآثار (تونس) قدم بحثاً بعنوان « من اوغاريت الى قرطاج » تناول فيه بعض أوجه القرابة بين العناصر الحضارية التي اينت في اوغاريت خلال الألف الثانية قبل الميلاد والعناصر الحضارية التي برزت في البلاد المغربية تحت تأثير الفينيقيين أحفاد الكينيانيين والاوغارتيين عرقاً وحضارة . . . اشار في بحثه الى عنصرين أولهما يتعلق بالعمارة السكنية والثاني يتعلق بشؤون الآخرة . . .



١ - الحضارة اليونيقية : اسم يطلق على الحضارة التي امتنجت فيها العناصر الفينيقية والكنعانية مع العناصر الحضارية الافريقية المغربية .



١ - القرى ومنها يؤخذ فائض غذائي ضئيل
(١٠ بالمائة من المحصول) ٠

٢ - مزارع القصر ومنها يؤخذ فائض غذائي مرتفع (٥٠ بالمائة من المحصول) ٠

٣ - القصر مع اختصاصيه غير المتبعين للمذاهء ٠

● الدكتور هشام الصفدي (جامعة دمشق) قدم بحثاً لم يكن مدرجاً في قائمة أبحاث الندوة بعنوان « انتسابات منقب في رأس الشمرة ومدينة البيضا » . تحدث فيه عن انتساباته كمنقب عن الآثار وكمشارك فيبعثات الوطنية الأثرية في رأس الشمرة ومدينة البيضا منذ عام ١٩٥٦ ، وطالب من خلال بحثه بزيادة الاهتمام بالدراسات الأثرية والاستفادة من الطلاب الجامعيين العرب السوريين وزيادة التعاون بين المديرية العامة للآثار والمتاحف والبعثات الأثرية الأجنبية وجامعات القطر العربي السوري ٠

● الاستاذ جبرائيل سعادة (عاشق أوغاريت المتم) قدم بحثاً عن « مدن وقرى الملكة الاوغرافية » وقد ألقى البحث بالنيابة عنه الدكتورة ليلى بدر بسبب حادث بسيط ألم بالاستاذ سعادة منه من القيام بذلك ٠٠٠ وقد تضمنت الدراسة ثلاثة أقسام :

القسم الاول :

تناول فيه بالبحث النصوص المكتشفة في رأس الشمرة والتي تذكر أسماء مدن الملكة الاوغرافية وقراها ٠

القسم الثاني :

تناول فيه معطيات الاسماء الحديثة للمدن والقرى الموجودة حالياً في الاراضي التي كانت تتألف منها في الماضي مملكة اوغاريت ٠

بالخصوص عقيدة تتعلق بشؤون الآخرة مضمونها أن الاموات يتمعمون في مدينة خاصة بهم مدينة (الاموات) ولكن كيف كان الكتباينيون وسكان أو غايرت يتصورون تلك المدينة ؟ ليس في الرقم ما قد يفيد بما فيه الكفاية للإجابة على هذا السؤال . أليس من الطريف والمثير كذلك أن نجد في تونس وثيقة تصور مدينة الاموات تعود الى القرن الرابع ق.م » ٠

● عنا نوييل لاروش ، الاستاذ في الجامعة الفرنسية (باريس) قدم بحثاً حول « أهمية العنصر الحوري في أوغاريت القديمة » . تحدث فيه عن وجود بقايا بشرية غير سامية اكتشفت في أوغاريت وهي تشير الى الشعب الحوري وحاول تقييم هذا الوضع من خلال دراسة اسماء الاعلام « ما هي الشخصيات التي تحمل اسماء حورية صحيحة وما هو مركزها الاجتماعي ومهنتها » ؟ ومن دراسة الدين « من خلال معرفتنا بجمع الآلهة الحورية في رأس الشمرة » . والحضارة، من خلال ظهر سلبي « يبدو أن الشعب الحوري لم يكن ذات حضارة مادية خاصة به » . ومظاهر ايجابي « يتضمن الحوريون في رأس الشمرة مع حوري ايمار (مسكته) الى مجموعة غريبة من الوحدة العرقية التي تأثرت تأثيراً عيناً بالثقافة البابلية » ٠

● ماريوليفرياني (إيطاليا) قدم بحثاً حول « المدينة والريف في مملكة أوغاريت ، محاولة في التحليل الاقتصادي » . تناول فيه بالبحث مسألة (الوزن الاقتصادي) للندينة في الشرق القديم . في حالة اوغاريت الخاصة . وما هي التكاليف الاجتماعية للمنجزات المعمارية والفنية ولعيشة ثبات الاختصاصيين غير المتبعين للمذاهء ؟ ثم تطرق لدراسة النمط الاقتصادي لمملكة اوغاريت الذي يقوم على ثلاثة عناصر :

وقام بمقارنته اسماء المتنى مدينة وقرية الواردة في النصوص القديمة مع اسماء الـ (١٢٣٦) قرية ومدينة الموجودة حالياً في المنطقة نفسها ووجد بعض التشابه بين عدد منها وبين الاسماء القديمة .

القسم الثالث :

قدم فيه نسخة عن التلال الموجودة في المنطقة وعما يجب أن يتم فيها من أعمال تنقيبة .

أراء في هذه التظاهرة الحضارية الهامة .

● « هذه الندوة فضلاً عن المساهمات العلمية التي قدمها المشاركون سواء في ميدان الكتابات المسارية أو في ميدان العمارة فاتني أعتقد أن لها مغزى أو يبني أن يكون لها مغزى . ذلك لأن تعجل منا نحن العرب واعين لدى المساهمات التي قدمناها في سبك الحضارة المتوسطية والبشرية عامه » .

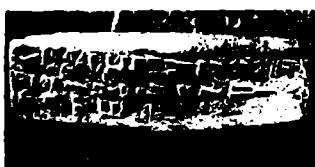
— الدكتور محمد منظر (تونس)

● « لقد دفعت هذه الندوة العالمية بالدراسات الاوغاريتية الى الامام وأعطتها زخماً جديداً خاصة وأن أبحاثاً جديدة قد قدمت ، وطرحت أيضاً أفكاراً جديدة حول الديانة والفنون » .

— آن ميلارد — جامعة ليفربول — انكلترا —

● « هذه الندوة كانت مناسبة جد موفقة لجمع علماء الدراسات الاوغاريتية » . والكثير من الابحاث طرقت الى مواضيع جديدة سواء في حقل اللغة او في حقل الآثار . وان الكثير من الابحاث قد فتحت أمامي آفاق جديدة » .

— د. جون هيلي — بريطانيا —



الجلبي والأنسي لمعافي بن زكريا القاضي الجرجري

سكنة الشهابي

التعريف بالمؤلف:

هو المعافى بن زكريا بن يحيى بن حميد بن حماد ، أبو الفرج التهرواني القاضي ، علم من أعلام القرن الرابع الجرجري ، قال عنه الخطيب البغدادي (١) : « كان من أعلم الناس في وقته بالفقه والتزوّج واللغة وأصناف الأدب » ، ونقل عن أبي محمد الباتي قوله : « اذا حضر القاضي ابو الدرج فقد حضرت العلم كلها .. ولو اوصى رجل بثلاث ماله ان يدفع الى اعلم الناس لوجب ان يدفع الى المعافى بن زكريا (٢) » .

قصر المعافى حياته على ملم والأدب ، فلم يرحب في منصب ولم تستبد به محبة الجاه والسلطان ، بل ربما كان يدفع المراتب عن نفسه عملاً بحديث رسول الله عليه وآله وآلبه وسلبه ما ينفعه من ملوك ، وما أكثر ماحذر من السعي الى امارة وائلد العاصي بسوء الماقبة ووبال المصير (٣) ، وبما من اجل ذلك اجه معاصره ، وصدقوا في وصفه بما هو اهل ، قال الخطيب البغدادي : « سالت البرقاني عن المعافى فقال : كان اعلم الناس (٤) ». وهذه العبارة يقولها البرقاني تدلنا على المكانة الكبيرة التي كان يحتلها المعافى فسي نفوس تلامذته ومعاصريه .

وتحدثنا اخباره انه ولد القضاء بباب الطلاق في الجانب الشرقي من بغداد نياية عن القاضي ابن سر ، ولاندري متى كان ذلك ولاشك ان مدة توليه هذاما المنصب لم تطل ، وظل شفهه الشاغل في حياته التفسير والحديث والأدب وكل ما يحيط الى اللغة والدين يصله ، فلم يصب حظاً من الدنيا لانه ما كان يهمه بغيره . قال الداهري (٥) : « وقيل : كان قليل الشيء متفقاً ، واظن ان قارئه الجليس والاتيس يحسن بما كان يتمتع

حين يسألنا سائل عن امهات كتب الأدب العربية نجيب على الفور وب بدون تردد : البيان والتبيين للجاحظ ، والكامل للمبرد ، والأمالى لأبي علي القالى هذا ما حفظناه في دراستنا ، حفظنا أيام مدرسونا وحفظناه بدورنا لتلامذتنا . ولم اسمع ولو من قبيل الاشارة العابرة من ذكر : « الجليس والاتيس » لمعافي بن زكريا القاضي ، لم اسمع استاذنا من اساتذتي نوه باسم هذا الكتاب وذكر مؤلفه بالاجlah والاكبار ، او اقترح ان تدرس نصوص منه في مدارسنا ، لأن اخباره الابدية مثلت تعرض بطريقة شديدة وهي حافلة بمفردات انتقى المؤلف مرضها عقب الاخبار منسقة ومشروحة .

بقيت اجهل الكتاب الى ان عملت في تحقيق تاريخ دمشق لابن عساكر فوجدت في اخبار هذا التاريخ كتاباً في الادب يتخذه الحافظ اصلاً غير الكتاب الذي انتهت ، ومؤلفها يعلق من ذكر غير المؤلفين الذين عرقلت . توالي امام بصرى اسم المعافى بن زكريا القاضي وتواترت النقول من كتاب اثار اهتمامي ، لأنني وجدت مؤشراً ضخماً يدل على توة شخصية المؤلف وغزاره مادته في اللقنة . ووضفت في تفكيري منذ ذلك الوقت أنه كتاب يضارب « كامل المبرد » و « امالى القالى » ، والا لما اختره الحافظ ووضعمه في حسابه قبل ذفني الكتاب . ظل ذلك الى ان تم لي التعرف بالكتاب ومؤلفه ، بالكتاب عن طريق تلك القلمة الموجودة منه في المكتبة الظاهرية ، وبالمؤلف بواسطة الكتاب الكثيرة التي ترجمت له ونوهرت بمؤلفاته الكثيرة ومن بينها « الجليس والاتيس » .



الرابع فقد ولد سنة ٢٠٥ على أصح الروايات التي نقلت عنه وتوفي بجامع المراجع في النهروان سنة ٣٩٠ هـ .

واحب ان اعرف القاريء الكريم بالأصول التي وصلت اليانا من هذا الكتاب وان استعرض منه بعض الاخبار فاطلته على اسلوب الماعن وطريقته في عرض الاخبار وتفسيرها على اضع بين يديه الدليل الكافي على أهمية الكتاب وضرورة الاسراع في نشره .

أصول الكتاب :

يوجد في خزانة مخطوطات الظاهرية قلمantan من الكتاب :

١ - مجلدة تضم خمسة وعشرين مجلسا من المجالس المائة التي يتألف منها الكتاب جاءت بعنوان : «الجزء الثالث من كتاب الجليس والآئين من أمالى القاضى ابن الفرج الماعنى بن ذكريا التهروانى رحمة الله عليه» .

ببدا هذه المجلدة بالجلس الثامن والاربعين وتنتهي بالجلس الثاني والسبعين وتتألف من ١٩٩ ورقة ذات وجгин ، وهي جيدة الخط خالية من السماعات



به صاحبه من ثروة علمية وخطيبة عالية تعبّر عنها تلك التعليقات الكثيرة المتباينة عقب الاخبار .

كان الماعن أحد اثنين في القرن الرابع ، فهو صنو أبي حيان التوحيدى معاصره ، يذكرنا به في رومسة الأسلوب وإشراق البيان وفصاحة المنطق ، وقد نسرع الى تفضيله على أبي حيان اذا كنا نميل الى الادب واللغة والفقه ولأنحب ان نتبع في مذاهات التصوف والفلسفه .

ويغيل إلى ان نوعا من التعاطف كان يربط بين الرجلين ، ربما كان ذلك بسبب القاسم المشترك الذي اتف بينهما الا وهو الفقر ، حدثنا ياقوت قال (١) : « قال أبو حيان التوحيدى : رأيته - أي الماعن - في جامع الرصافة وقد نام مستدبر الشمس في يوم شات وبه من اثر الفقر والبؤس والضر امر عظيم ، مع غزاره علمه ، واتساع ادبه ، وفضله المشهور ومعرفته باصناف العلوم ولا سيما علم الاثير والاخبار وسير العرب وایامها » فقلت له : مهلا أيها الشیخ وصرا فلن يعن من الله ومرأى منه وسمع » ، هذه العبارات التي تقلها ياقوت وأعادها بایجاز الذهبى (٧) توحى لنا بشيء من الود كان يربط بين الابدين الكبيرين ، كما انها تلقى ظللا شامبة من البؤس على حياة الماعن . وكان حظه من الدنيا لم يكن احسن من حظ أبي حيان ، ولكنه لم يرشاكا ، ولا يربما ساخطا ، كان ذا نفس كريمة وروح راضية ، اذاغضب لا يغضب لنفسه ولكنه يغضب لواقع يريد اصلاحه وأمور يرعاها معوجة نيسى الى تقويمها (٨) ، ومن هنا يختلف طريقه عن طريق أبي حيان ذاك الذي احسن بزيارة الواقع ، ونظر الى مفاسد عصره فلم يأخذها كل ولكنه صب سياط غضبه على افراد استثاروا غضبه ، وحرقوا نيران نقمته .

هذا اديبنا الماعن بن ذكريا الجزيري الذي ناصر مذهب ابن جرير الطبرى ونسج على متواله فنسب اليه ، وقد ذكرت المصادر انه الف كثيرا من الكتب ، وذكر له كل من ابن النديم والذهبى تفسيرا في ستة مجلدات (٩) ، ولم يصل اليانا من كتبه سوى الجليس والآئين .

امتدت حياة الماعن على القسم الاكبر من القرن

النسخة : فهو : شيخ ابن عساكر الذي تلقى عنه كتاب «الجليس والأنبياء» فإذا ومتناولة وتقرأ عليه أنساده وقال له : أروه عنك . فالطريق إذا هو طريق نسخة ابن عساكر التي استقى منها في تاريخه الكبير ولكنها ليست نسخة ابن عساكر فقد رواها عن أبي المز رجل آخر .

ولابد المجالس في هذه المجلدة بداية واحدة ، فقد نجد في بعض المجالس الرواية المباشرة عن المألف من غير ذكر اسم الرواية (١١) ، وقد يبدأ المجلس بـ « أخبرنا أبو علي محمد بن الحسين بن محمد الجازري قال : أخبرنا القاضي أبو الفرج (١٢) وربما يبدأ طرق بعض المجالس بغير المألف مباشرة (١٣)

والذي يبدي لي أن هذه القطعة من الكتاب نقلت من أصل موثق روى عن أبي الفز بن كادش ، وليس من المقبول أن تكون قطعة من الكتاب ذاته الذي ادّن بروايته أبو الفز لحاصر ابن عساكر أبي سعيد محمد ابن عبد الرحمن المسعودي .

ب - في الظاهرية أنشأ مجلس مفرد من مجالس
البلديات والآتيس هو المجلس الخمسون جاء برقم
٥٥٤ . وهو مثل نسخة جيدة قديمة كتبها
سنة ٥٤٠

حـ - وهناك ثلاثة أصول لكتاب مجلس الأئية
حدثنا الاستاذ اكرم العمري حديثاً وافقاً منها (١٥) ،
وهي : صورة بالفوستات موجودة بالمكتبة المركبة
التابعة لجامعة بغداد ، وأصل مخطوط محفوظ في
خزانة احمد الثالث بترکيا وآخر في مكتبة الحرم المكي
الشريف .

وماذا عن طبع الكتاب :
 اصول هذا الكتاب متوفة بشكل جيد فلماذا لم
 يطبع الى الان ؟ سؤال طرحته على نفسى عشرات المرات
 وانا اسمع الاباء المتضاربة عن تحقيقه : كان الاستاذ
 احمد صقر يعلم في تحقيقه منه فترة طويلة ، وحقق
 حوالي ثلثة في العراق (١٥) ، وهناك ابناء يقولون انه يتحقق
 في الهند ...

ولكن لماذا لم يطبع الى الان ، الا يساوي هذا الكتاب في القيمة كامل المبرد وأمالى القالى ومبون اخبار ابن قتيبة وبيان الجاحظ . وفي اعتقادى انه ينفق هذه الكتب فى غزارة المادة التى يضمنها بين دفتيره وفي طرافة

والتعليقات مجمعة ومشكولة ولكنها كثيرة التصحيف
والتحريف .

رقم هذه المخطوطة في خزانة الظاهرية ٤٢٠١ وهي واسحة البداية والنهاية فيها كثير من الخروم ولا ينفع بهذه الخروم توالي ترتيب المخطوطة . أما طريقها فقد جاء في بداية المجلس السادس والستين كما يلي : « أخبرنا الشيخ الإمام تاج الدين بهاء الإسلام أبو سعيد - ويكتن أبي عبد الله (١٠) - محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي الحسن مسعود المسوudi قال : أبا الشيخ الإمام أبو العز أحمد بن عبد الله ابن كادش العكري فيما أجازه قال : أبا أبو على الحسن بن محمد الحازمي قال : ... » .

واما أبو العز بن كادش الذي أجاز المسعودي في

فَالشَّاهِدُ إِلَيْهِ فَإِنْ لَمْ يُوْلَدْ الْبَرْقُ الْجَانِبُونَ
فَبِأَيِّضٍ حَتَّىٰ تَبَعِّدَ حَلْقَةً مِّنْ أَصْوَاتِ
الْأَنْجَارِ كَذَلِكَ حَتَّىٰ تَجْعَلَ الْجَمَادَنَ أَفْخَالَهُونَ وَرَمَالَهُونَ
لَوْلَىٰ ۝ اجْرَسْتَ بِهِ عَزَّزَ وَمَاسِرَ وَرَلَلَهُونَ حَصَّ طَلَبَهُ
وَ وَقَتَ طَلَبَهُ فَلَمَّا ذَلَّتْ ۝ مَرَدَ قَالَ دَحْلَلَ اللَّهُ أَكْبَرَ
وَاللَّهُ كَافَرَ الْفَلَاحُ
خَوَاجَهُوا حَلَالَ الْبَطَالَ وَشَمَرُوا دَفَعَ وَبَاطِلَهُانَ حَارَّ بِالْعَوْنَ
بَاطِلًا

مُؤْسِعِيَنَ الْأَنْوَاعِ حَتَّى تَجِدُنَ لِرَبِّكَ الْمَلَائِكَةَ
عَذَانَ بِرَبِّكَ الْحَسِينَ فَمِنْ حَمْزَةَ بْنَ عَدَى حَمْزَةَ بْنَ عَدَى حَمْزَةَ
الْأَسْاطِينَ وَالْأَنْواعِ بِعِصَمِ الْمَلَوْنَ كَبِيرَةَ بِعِصَمِ الْمَلَوْنَ كَبِيرَةَ
بِعِصَمِ الْمَلَوْنَ كَبِيرَةَ مَاهِهَ لَوْنَ قَلَّ وَلَوْنَ صَفْلَنَ
قَطَّ لَمَاقِمَ الْمَوْفَدِ الْمَدَافِعِ الْمَادَاصَانِ الْمَادَاصَانِ
خَاصَّلَمَ مُلْحَبِ الْمَادِفَنِ الْمَادِفَنِ كَرِسَنَ كَرِسَنَ كَرِسَنَ
قَلَّلَوْنَ عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلَيْنَ
عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلَيْنَ
عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلَيْنَ عَلَيْنَ

حيث ربط بين حديث الرسول صلى الله عليه وسلم عن الغناء وبين خبر طويل عن المغني اسماعيل بن جامع نفيد منه أن الرشيد كان ذوافة للفناء يشجع المغني ويبعد عنهم الفاقة والمعوز ويكتفهم السعي في طلب الرزق؛ وكانى بالمعنى أراد حين قدم هذا الخبر - إن يقارن بين حال الأدباء والعلماء وما كانوا يلقون من رعاية وتكريم في عصر الرشيد وبين البوس والفاقة التي كانوا يعانون منها في القرن الرابع يقول: «فرأيت ان أرسمه هاهنا اذ هو مما يتحتني وبصفي الى استئمته ذوو الفضل من الأدباء، وينشط للوقوف عليه اولو الحجى من الرؤساء» .

والحقيقة اتنا نخرج من الخبر ولم اسماعيلنا وأبصارنا صور من حضارتنا العربية ومجالس انسها وربما اغمض احدنا عينيه على بقلت من عنصر الزمن

مرضه للعادة اللغوية ، وفي سعة الفترة التي يروي عيون اخبارها . ثم ان اسم الماعفى في عالم الأدب والتحرر والفقه ليس أقل إشارة من أسماء أولئك الأعلام الذين الفوا قبله (توفي الباحظ سنة ٢٥٥، وابن قتيبة سنة ٢٧٦، والمبرد سنة ٢٨٥، والقالي سنة ٣٥٦) .

انني لا اجد سببا في جس هذا الكتاب عن أيدي القراء الا المصادفة الحضة فهل نسخ للصادفة ان تحرمنا من علم كثير وتروة لغوية نادرة قد لا يسهل علينا هضمها وابتلاعها من غير كتاب الماعفى لأنها سترى بطريقة معمجمة تجعل القارئ غير الباحث زاهدا فيها منصرفا عنها .

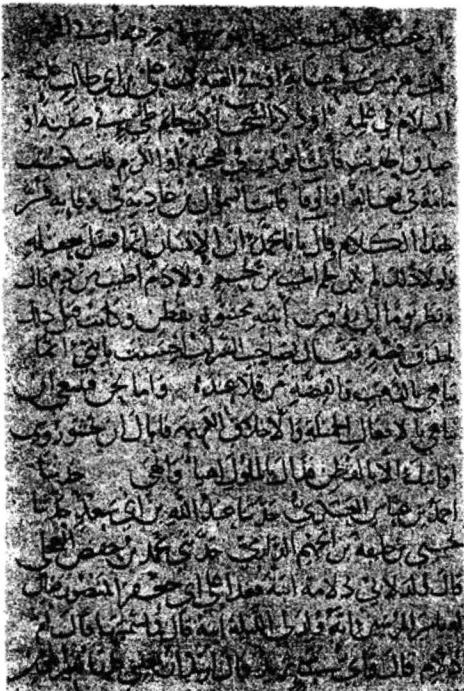
ولعل الاوان تد حان ان يخرج هذا الكتاب بخطه جديدة ونحن نعمل في بعث تراثنا والتثقيف عن مخاباته في زوايا المكتبات كخطوة أولى في الوصول الى سابق عزمنا وسالف حضارتنا .

أهمية الكتاب ومنهجية الماعفى في عرض مادته :

نوهت المصادر القديمة بمؤلفات أبي الفرج الجريري ومن بينها كتابه هذا ، فقد وصفه ابن النديم بأنه من خير كتبه وقال: «يذكر فيه فضائل جمة وأخباراً مستحسنة وغير ذلك من الفوائد» (١) .

والحقيقة ان الكتاب أهمية كبيرة فهو حافل بالأخبار الأدبية الطريفة والأشعار المستلحقة والسوادر التاريخية والشروح اللغوية ، ولانفالي حين تقول انه يعطينا صورة حية صادقة لجوائب من الحياة العربية فلما جاءت بها مصادرنا الأخرى التاريخية والأدبية بالإضافة الى الشروح اللغوية المستفيضة والتعليقات الأدبية التفصية التي توكل لنا ان الماعفى لم يكن رجل لغة ونحو وإنما كان اديباً ذاكرة يميز بين النصوص وبيفاضل ويقارن ليضع بدننا على مواطن العمال . ولعلنا نلحظ بعض هذه في مررتنا نماذج من الكتاب .

لابعد قارئه الجليس والأنبيس موضوعها سار عليه مؤلفه ، ولكنه قسمه تقسيماً هندسياً يذكرنا بكتاب الامتناع والمؤانسة لابي حيان التوحيدي معاصر الماعفى، فالكتاب مائة مجلس وكل مجلس من هذه المجالس يبذله الماعفى بحديث يرويه عن الرسول صلى الله عليه وسلم يفسر ما جاء فيه من الفريب ثم يسترسل فيما شاء الله له من اخبار لائقه في ذلك وحدة الموضوع الا ما جاء عن المخاطر كما جاء في الباب الحادي والسبعين



فيعيش ، ولو فترة قصيرة في ذلك العز المسيطر والحضارة الوارفة ، أو يسمع على الأقل صوت ابن جامع ، هذا الذي أحبوا الرشيد وزيره جعفر ليلهما في الاستماع اليه .

والمعنى لا ينسى تفسير الانفاظ الغريبة كلما وجد ضرورة لذلك ، ويستعرض في تفسيرها أمثلة من الشعر والحديث والقرآن الكريم ، وهو في ذلك تلمذان قتيبة ، ربما كان ذلك عن قصد منه او من غير قصد ، وفي اعتقادى ان طريقة هي الطريقة المثلى لاستاذ العربية في عمرنا الحاضر إن احسن استخدامها ، وتمكن من السير على نهجها ، فأخذت المناهج التربوية تنادى بطريقه المعانى من غير ان تدرى ، إنه استاذ العربية الأصيل وأبو بجدة تلك الدروس النموذجية التي ينادي بها أساتذة التربية . وبحذا لو اتسع المجال لأعراض على القارئ بعض اخبار المعانى كاملة ليحس بالللة التي احسن بها ، ولكن المجال لا يتسع لاستعراض المصادر الكاملة للذك اكتفى بعرض المقتطفات واجمله الى المصدر كل اسوانا كثيرة تتضم الى صوتي مطالبة بطبع الكتاب .

يروى لنا المصنف في المجلس الثاني والسبعين خبر رجل اشتهرت حلوى فخرج الى الطريق فاذا : « .. اخواين حلوى فنودي : يا اسماعيل هذا الذي اشتهرت وان ترتكه خير لك .. » وبعد ان ينتهي المعانى من سرد الخبر يقول : « قوله : اخواين حلوى ، فقال لما يحصل عليه الطعام قبل جعله : خوان ، فإذا جعل عليه فهو مائدة ، فإذا رفع الطعام منه عاد الى تسميته : خوان . ونعم بعضهم ان المائدة انما تسمى بهذا الاسم اذا خف ماطليها من الطعام لأنها حينئذ تعيد .. ». وقال بعضهم : الخوان بالكسر كلام العرب ، وهو خوان بالضم بالسنان الفارسي ، وروى لنا عن الفراء الكسر والضم في الخوان من كلام العرب وجمعه اخواين مثل سوار وأساور . ويجتمع السوار أيضا على أسوارة وأساور ، والباء في أساورة موض عن الباء في اساور ، وذكر نحو هذا سيبويه في زندقة وزندقة وقال الاخفش في قوله تعالى : قلولا التي عليه اساورة « لانه جمع اسوار وأسوارة ... قال القاضي : وقد قال الله جل ذكره : لا وحلو اساور من فضة ، وقال تعالى : يطعون فيما من اساور من ذهب فاني الجمجم هاهنا

على اسوار . وحکى ثعلب ان الفراء قال : اسورة جماعة سوار اللدي في اليد يضم ويذكر » .

ويقيني ان القاريء لن ينسى ابدا معنى الكلمة الخوان ولن يخطئ في جمعها ، ولن ينسى الامثلة التي ضربها المعانى لقياس هذا الجمع . ولورجتنا الى معاجمنا ولنأخذ اكثراها تفصيلا وامثلة الا وهو لسان العرب . حين نستعرض مادة « خون » في اللسان لانجد فيها هذا التفصيل الدقيق « للخوان وجموعه ومجاءه من العلماء فيه هذا بالإضافة الى ان قارئ الخبر يشعر كان التفسير جاء طلابه فلا يتجدد تقليلا ملأا جافا لانه كان نابعا من الخبر احتاجنا اليه في معنى اللفظة فعنناه وعرفناها موضع استعماله .

وليس تعقب المعانى على الاخبار تعليقات ادبية وشروح لغوية فقط ، لقد عودنا ان يكون معلميا ما هم يعطى لكل مقام مقاله المناسب ويعقب على كل خبر بما يحتاج اليه طالب العلم النهم .

يبدأ المعانى في مجلسه الخامس بحدث عن الرسول صلى الله عليه وسلم معناه أن رجلا دخل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له : استعملني فقال : « انا لاستعمل على عملنا من طلبه ، ولا من حرص عليه » . ويعقب المعانى : « تأملوا رحمتنا الله واباكم ما وارد به هذا الخبر عن نبينا صلى الله عليه وسلم في اخباره انه لا يستعمل على الناس من طلب العمل عليهم » ، ولا من حرص على ولایة امورهم ، لأن من سال هذا وحرص عليه لم يؤمن زيفه عن العدل في من يلي عليه ، ومحاباته لن يوليها ، وشفاء غبيته من يعاديه واستطالة بما بسط فيه على من بسط عليه فيجور في حكمه ويستعين في سلطانه على ظلمه » .

اراينا اي اسلوب بسيط واضح بعيد عن التكلف نسر به قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « وبعنه آخر ارأينا هذا التعب من الانفاظ والتراكيب الذي البسم المعانى لمائته » ، كانت المعانى شافية وافية ، وكانت الانفاظ رداء ليس بالواسع الفضفاض ولا بالتفيق الحرج ، لم تتحقق الصنعة ، ولم يخل من التائق واللوق ، وكان هذا الاسلوب اخرجه يد صناع عملت فيه بالله سحرية فبدت فيه المسؤولية المتنعة التي تستسلم لكل قارئ وتعجز كل كتاب ، وهي البلاغة التي وصفها ابن المقفع بقوله : « اذا رأىها الجاهل ظن انه يحسن مثلاها » .



بهذا الاسلوب البليغ ينفي المافى بجرأة ماورثا لياه الرسول الاعظم والسلف الصالح بما يدري ويسمعه : ويقول معبعاً : « والى الله المشتكى مما نراه في زماننا هذا من فلة السفلة والجهال والسفاهة الضلال للحكام ، وإجلالهم مجالس الآئمة الاعلام ، مع عظيم جهالهم ، وسقوط عدالتهم ، وفساد اسانتهم ، وفتح الظاهر والباطن من أمرهم ، والله ولن الإنفاق من يطوي في هذا الباب نصيحة الإمام ويسعى إلى ميساق إليه من الأحكام في حد شريعة الإسلام ، ونستعين بالله على تمكننا من إيضاح هذا الأمر وأنهائه إلى من إليه الأمر ، من سادة الأمة ، ومدربي الملة ». .

والمافنى في أسلوبه اللغوى يذكرنا بمعاصره أبي حيان التوحيدي ، فهو واضح العبارة ، مشرق الدبياجة ، حريق في جمله على نوع من التناغم الموسيقى ، والتالفة الصوفى ، أما في النهج الفكري فأن طبيعة عالم اللقة والأدب تختلف عن طبيعة الفيلسوف . .

يقول المافى (١٧) معلقاً على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أي الخلق أعجب أيامنا » : « قال القاضى فالحمد لله الذى هداهنا لدینه والإيمان بنبه . وتصدقنا بتکابه ووحيه ووفقاً لرواية من تقدمنا من السابقين الأولين وتبايعهم باحسان من السلف الصالحين وبصرنا فضل أمتنا الخلفاء الراشدين المهديين الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل في قلوبنا غلا للدين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم ». من هذا المقطع يتضح لنا أن المافى كان على سنة السلف الصالح دهديهم ينكر على من عادهم ولا يتعمصب لبعضهم على بعض . .

وبلاحظ كل قارئ لأخبار الكتاب وتعقيبات المافى علينا أن المؤلف كان يتبع منهجاً موضوعياً ، ولكن لا يستطيع أن يتخلى من نزعة هاشمية تبدو واضحة في كثير من أخبار الكتاب ، ففي أكثر من موضع نسمع ثناءً على بنى هاشم وتعريضه السافر ببني أمية ، بل إنه يصل إلى انتشار فضائل بنى هاشم وعيوب بني أمية من الأمور البديهية يقول (١٨) « ولو شرعنافي استقصاء هذا الباب - يريد بذلك باب تعداد مزايا بنى هاشم الحيدة وفضائلهم - وأصحابنا يوجد فيه من مناقب - الهاشميين وسابق الامورين لا صبحنا الى انشاء كتاب فضلاً من الاقتصار على باب » ومن المؤسف حقاً أن خرماً في الكتاب حال بيننا وبين معرفة الأخبار التي

كان يرويها عبد بنى هاشم وبنى أمية ، ولكن الاخبار المترفرفة في المجلدة التي بين يدي ومارواه ابن عساكر من أخبار تقللاً عن أقسام الكتاب التي ليست بين يدي تدلنا بوضوح على قناعة الرجل التامة بما يقول وبين ذلك الموى الهاشمى الذي لم يستطع اخفاءه .

يروي المافى (١٩) أن عبد الملك بن مروان طلب من الشعبى أن ينشده حكم ماقاتل العرب ف נשنه مجموعة من الابيات يقول عبد الملك بعد سماعها : « حجتك ياشعبي » يقول طفيف الفنوبي :

ولا أخالى حارى في جلته
ولا ابن عمى فالتى إذا غول

حتى يقال اذا وليت في جد

ابن ابن عوف أبو قرآن مجعومون

قال القاضى أبو الفرج : يتنا طفيف اللذين انشدهما عبد الملك وفضلهما وزعم أنه حج الشعبي ، من اشعار الشعراء غير مقصري عنهم ، ومن تأمل ما وصفنا وجده على ما ذكرنا من غير أن يحتاج إلى تكليف تفسير ذلك واطناب الاحتجاج له ». . وسامع قول المافى هذا لايسمه إلا أن يقول : إن الحق منه قوله طفيف لايمكن أن يقف لأقوال أولئك الشعراء الدين استشهد بهم الشعبي ، ولكنه حين يتمثل عبارة المافى وقوله عن عبد الملك : « وزعم انه حج الشعبي » ، يلاحظ شيئاً من التحامل على الخليفة الاموى . هذا من جهة ومن جهة ثانية فإن هذا الخبر تلقه ابن عساكر عن غير المافى ، ولم تجد بين من روى الخبر احداً يابليغه عبد الملك أو سفة حكمه ، وإن موقف المافى هذا من موقفه من المأمون مثلاً (٢٠) والاشادة بكل ما يصدر عنه من قول أو فعل ، ومن قوله في الرشيد مطقاً على استحسانه لهذه الابيات لابن عبد الله بن مصعب الزيرى (٢١) :

ولإني وإن قصرت عن فسیر بفضة
سراع لأساب المودة حافظ

وانظر المتى وأفضى على القدى
الإين طوراً أمره وافتاظ

وانظر الاقبال بالولد منكم
وابصر حتى اوجعني المفاظ

وجربت مابسلي الحب على الموى
واقتصرت والتجريب للمرء واعظ



قال القاضي رحمة الله : ولعمري إن هذه الآيات
لأن مستحسن الشعر في معناها ، واعجب الرشيد بها
عما ينتهي على خلوص أدبه وصفاء قريحته » . لقد
حدثنا المعاذى بن هذه الآيات جيدة المنى ولكنه لم يعلق
على المبني لأن ذلك التعليق سيكون صادقاً ، وسيضعف
من ثباته على الرشيد وحسن انتقاله ، وليت شعري
لو كان المستحسن لهذه الآيات عبد الملك فماذا سيقول
، فتعم المآفف :

والجدير بالذكر ان المافى قد احسن انتقاء الاخبار التاريخية والتواتر الادبية التي فضلت بنى عاشور في الشرف والشجاعة ، ولعل من افضل هذه الاخبار ما تلقه ابن ساکر في تاريخه عن المافى (٢٢) في اخبار عبد الله بن جعفر مما لانثر له على ذكر في الكتب الادبية المعروفة ولا اريد ان اتبين بعض هذه القصة خشية ان افقدمها روعة العرض الذي قدمها به المافى واتمن لي في هذه الاسطر ان آتني على تلك الجولات التاريخية والفنوية التي جالها وهو يفسر الالفاظ ويسحضر في تفسيره لها المثلثة والشواهد .

ورغم هذه النزعة الهاشمية التي عرضنا نماذج منها في هذا المقال تظل النزعة العلمية الموضعية غالبة على الجليس والأنبياء فنطالعنا فيه من حين الى آخر اخبار نجد انفسنا باشد الحاجة اليها ونعن بخلوه وجه ماضينا المشرق . ولعل خير ما احتجت به مقالتي هذا الخير الذي رواه ابن عساكر في التاريخ^(٢٤) عن الجليس والأنبياء : « و قد عبد الله بن جعفر على معاوية بن أبي سفيان فائز له في داره ، فقالت له ابنة قرظة امراته : إن جارك هذا يسمع الفتاء ، قال : فإذا كان ذلك فاعلميني فأعلمته ، فاطمئن عليه ، و جاري له تنبئه وهي تتقول :

- وحسن سياسة للأمور .
وبعد اليـس من حق هـذا الكتاب أن يـطبع لـقد
احسـنا باهـميـته من التـواحـيـةـ الـلغـويـةـ الـاـدـبـيـةـ
والتـارـيـخـيـةـ وـرـاـيـنـاـ ان طـرـيقـتـهـ في عـرـضـ المـادـةـ الـلـغـوـيـةـ
كـانـتـ جـيـدةـ لـانـهاـ تـسـهـلـ عـلـىـ القـارـئـ هـضـمـ هـذـهـ المـادـةـ
وـوـسـعـ لـهـ طـعـمـهاـ وـهـذـاـ مـالـ نـالـفـهـ فـيـ كـتـبـ الـلـغـةـ الـمـرـوـنةـ
وـلـمـ تـحـسنـ اـسـتـعـمـالـهـ كـتـبـ الـاـدـبـ كـمـ اـحـسـنـ المـافـيـ .
وـاـذـاـ أـضـفـنـاـ إـلـىـ هـذـاـ مـكـانـةـ المـافـيـ فـيـ الـقـرـنـ الـرـابـعـ الـمـجـرـيـ
وـالـنـزـلـةـ الـتـيـ وـضـعـهـ فـيـهاـ مـاعـصـرـهـ وـفـيـ مـقـدـمـتـهـ اـبـوـ بـكـرـ
جـيـانـ التـوحـيدـيـ ، وـتـلـامـدـهـ وـفـيـ مـقـدـمـتـهـ اـبـوـ بـكـرـ
الـبرـقـانـيـ شـيـخـ الـخطـبـ الـبـنـادـيـ اـيـقـنـاـ بـالـفـرـورـةـ الـلـحـةـ
الـتـيـ تـسـتـخـنـاـ لـاـخـرـاجـ هـذـاـ الكـتـابـ .

- (١) انظر تاريخ بدداد ٤٢٠/١٢
 (٢) المصدر السابق .
 (٣) انظر المجلس الخامس ورقة ١٤ ب
 (٤) انظر تاريخ بدداد ٤٢٠/١٢
 (٥) انظر ذكرى العذفان ٢٠٤/٣
 (٦) انظر مجمع الآباء ١٥١/١٩
 (٧) انظر سير العالم البلاطاء ١/٥٦٨ .

(٨) انظر المجلس السادس والاثنيين المجلس ٥ ورقة ١٤ ب
 (٩) انظر المهرست ٣٦٣ وذكرى العذفان ١٥١/٣ .

(١٠) هو القبيح اللغوي المستنـاج الدين ابو عبد
 سعيد محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن مسعود
 الصوفي ولد سنة ٥٢٢ هـ ، وتوفي سنة ٥٨٥ هـ ، ابـ
 ابن عاشور . انظر سير العالم البلاطاء ٤٠/١٣ .

(١١) انظر المجلس الثامن والاربعين .
 (١٢) انظر المجلس السادس .
 (١٣) انظر المجلس العادي والخمسين .
 (١٤) انظر موارد الخطيب البغدادي ٢٦١ .

(١٥) حق السيد محمد مصطفى ارسلان حوالي
 رسولاته الحجاجية . انظر موارد الخطيب البغدادي ١
 (١٦) انظر المهرست ٢٦٦ .

(١٧) انظر المجلس العادي والخمسين .
 (١٨) انظر الورقة ١٩٩ المجلس ٧٢ .
 (١٩) انظر المجلس السادس والاثنيين ورقة ٢٤ ، والمطبوع
 باسم عاصم ابراهيم ٢٠٢ .

(٢٠) انظر على سبيل اقبال ورقة ١٠٠ من المجلس
 (٢١) انظر المجلس السادس والاثنيين ورقة ١٩٤ م
 (٢٢) انظر المطبوع من تاريخ دمشق من ٣٦ (عبد
 عبد الله بن زيد) ، والجلس السادس من ١٤ .

(٢٣) انظر تاريخ دمشق ٢٣ (عبد الله بن ماهر - بعد

السيرة النبوية في التراث الأندلسي

د. محمد رضوان الداية

كلية الآداب - جامعة دمشق

- ١ -

فتح المغرب والأندلس امتدت إلى طرق التجارة البرية والبحرية ، ولا تنسى أيضاً صيرورة بغداد العاصمة الثقافية الأولى بالإضافة إلى عدد من المدن والمراكز الثقافية الأخرى . ومن جهة ثانية كان خروج الأندلسيين إلى الشرق متلاحمًا لأداء فريضة الحج ، ولقاء العلماء ، وأفادوا الرجال ، على اختلاف معارفهم وما اشتهروا به ، ولتلقي العلم وروايته . وكان انتشار المذهب المالكي وغلوته في الأندلس — والمغرب — حافراً لتابعة رثائه ولقاء رجاله . . . ومن جهة ثالثة فإن الأندلس منذ استقرار الامور فيها في عصر الامارة الموائية كانت تستقبل الوافدين إليها رغبة منهم ، والشخصيات التي كان يطلب إليها من قبل السلطة الأندلسية الحضور إلى قرطبة وغيرها . وكان القصد العلمي هو الغالب المعروف في مثل هذه الدعوات . . . ويتحقق بذلك — من المقاصد والدوافع — الرغبة في بناء الأندلس فكريًا وحضارياً ، ومنافسة بغداد وغيرها من عواصم الفكر التي نبتت معها أو بعدها . . .

وقد أثبتت عدد كبير من العلماء والأدباء الأندلسيين في برامج وفهارس خاصة مروياتهم ومسموعاتهم من الكتب والنصوص ، وذكروا شيوخهم الذين

الجهة الأولى : حركة الكتاب على الوجه الذي كان يخترق فيه أقطار الدولة الكبرى ويستقر عند طلابه وراغبيه . ولا تنسى أن سيطرة العرب بعد



جبل في متابعة ومواصلة . ونجد في فهرسة ابن خير الاشبيلي أسماء عد من هذه المؤلفات⁽¹⁾ مثل أعلام النبوة لأبي داود السجستاني ، ودلائل النبوة لأبي ذر المروي ، وشمائل النبي (ص) لأبي عيسى الترمذى ، ومعاذى ابن عقبة ، والمعاذى والسير لابن إسحاق ، وسيرة رسول الله ومغازيه للواقدي ، وسيرة رسول الله لابن اسحاق ٠٠ الى غير ذلك من الكتب والمستفات .

وكان الى جانب هذه المؤلفات وما جرى مجريها كتب السنة وكتب الطبقات ، وكتب الأصحاب ، مما يقدم مادة غزيرة في بيان حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودلائل النبوة ، وأحواله ، وشمائله ، ومعجزاته . وأهمت كتب الأدب أيضاً في الحديث عن بلاغته (ص) وما أتوته من جوامع الكلم .

واكتمل الأنجلسيون زماناً بما وصل إليهم من المستفات الشاملة والمؤلفات الخاصة فيما يخص السيرة النبوية . حتى إذا كان القرن الخامس - على الأرجح وبحسب ما وقع لي في المصادر والمراجع المتوفرة - ظهر في الاندلس من يخرج على الاكفاء بالمؤلفات المشرقة في السيرة النبوية وما يتعلق بها . ونعني بذلك ابن عبد البر ، وابن حزم ، والمالين القرطبيين الشهيرين . ثم توات المؤلفات بعد ذلك على توالي الإيجيال ، بالإضافة إلى الثانية برواية الأصول المشرقة ، فكان المؤلفات الاندلسية إضافة إلى الأصل ، أو إضافة له ، أو اتقاء منه أو غير ذلك من الوجوه التي سأتحدث عنها .

في الفصل الذي عقده ابن خير لمارواه « من كتب السير والأنساب ونحو ذلك مما يتصل به » نجد الكتب المشرقة المعروفة ، كما نجد بعض المؤلفات الاندلسية متداولة متأقللة . فقد ذكر مثلاً كتاب

أخذوا عنهم القراءات والتفسيرات والأصول ٠٠٠ الخ . ولوصلت إليها مطرقاً أخذهم ، ولو وصلت إليها كتب برامج العلماء الأندلسية جميعاً إذن لا جمعت لدينا معلومات كاملة تقريباً عن حركة الكتاب ، وعن التطور الثقافي . وعن سيادة كتب - دون سواها - في زمان ومكان معينين في البلاد الأندلسية . ومع ضياع كثير من تلك البرامج والvehars نجد المتبقى منها كافياً للدلالة على ما ذهب إليه من اتصال الثقافة المشرقة بالأندلس . ومن اقتداء الأنجلسيين زماناً بالكتاب الشرقي : في الوقت نفسه الذي كانت الاندلس تخرج كبار العلماء والفقهاء والأدباء .

ومرة زمان» قبل أن نرى مؤلفات الأنجلسيين أ女神 في بيان الكتب المقررة ، أو التي شارك ظلائرها من الكتب المشرقة وتسايرها .

٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠

ويصدق هذا الحكم العام ، الغالب ، على قضية تاليف الأنجلسيين في موضوع السيرة النبوية . وعلى رغم استمرار رواية كتب السير والمعاذى والأصحاب مما وصل إلى الأندلس منذ وقت مبكر ، نجد للأنجلسيين باعاً في هذا المجال ، يصح أن نعرض له : وتدرسه ، ونبين شيئاً من خصائصه ومتراياه ، وأبرر أعلامه .

٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠

- ٢ -

إذن اهتم الأنجلسيون - كالشارقة - ومن مداخل مختلفة بالكتب المؤلفة في السيرة النبوية ، والمعاذى ، وأعلام النبوة ، والسائل ، والمعجزات ٠٠٠ كما اهتموا بالتأليف في صحابته (ص) . وكانت الأصول المشرقة قد انتقلت إلى الاندلس ، ورواهاجيل عن



الازدي . سمعت عليه جميع كتاب الشفا للقاضي عياض . وكانت وفاة الرعيني سنة ٦٦٦ هـ . وتحدث ابن أبي الريبع (أبو الحسين عبد الله) ابن محمد بن أبي الريبع القرشي المتوفى سنة ٦٨٨ هـ عن مروياته ، فذكر في جملتها كتاب الشفا للقاضي عياض^(١) .

وكان المؤلفون الأندلسيون يعتمدون في جملة مراجعهم ومصادرهم عدداً من الأصول الأندلسية المتقدمة عليهم ، أخذها منها ، ووثقها بها ، وتقديرها لصنف أصحابها ، وصحة رواياتهم ، ودقة تصنيفهم ، وحسن تبويتهم ، إلى غير ذلك مما يدخل في باب العلم والتأليف وما يتعلق به .

فمن ذلك اعتناد ابن حزم على استاذه ابن عبد البر ، في مواضع لا يدركها الحصر في هذه المقالة^(١١) . واعتناد أبي الريبع الكلامي في كتابه الافتاء على كتاب شيخه أبي القاسم بن حبيش^(١٢) .

ومنه اعتناد القاضي عياض في (الشفا) على جمورة من شيوخه ، من أشهرهم أبو علي الصوفي الأندلسي ، وعد من المصادر الأندلسية .

اما ابن سيد الناس اليعري الأندلسي الأصل ، المصري ، فيذكر من أصوله الأندلسية التي اعتمد عليها كتاب الأنساب للرشامي (ت ٥٤٢) المسمى : اقتباس الأنوار والناس الأزهار في أنساب الصحابة ورواية الآثار . وكتاب الدرر في اختصار المذاي والسير لابن عبد البر القرطبي ، وكتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى^{عليه السلام} . وكتاب : الروض الأنف للسميلي . وتقل أيضاً عن طرق (حواشن وتقيدات) للشلوبيين اللغوي النحوي الأندلسي (ت ٦٤٥) . ولاشك في أن كتب (السترة) الأولى التي رويت

معازى رسول الله^{صلواته وسلامه} تأليف موسى بن عقبة ، وكتاب السيرة لسلیمان بن طرخان التميمي ، وكتاب المعاذى للواقدي وكتاب المعاذى والسير لابن إسحاق . وسيرة ابن إسحاق برواية ابن هشام ، وكتاب المعاذى لعبد الرزاق بن همام ، وكتاب السير لأبي إسحاق الغزارى ، وكتاب السير لمعید بن یحيی الأموی .

وذكر فيما رواه عن شيوخه كتاب « الددر » في اختصار المذاي والسير » لأبي عمر ابن عبد البر القرطبي . وكتاب سيرة رسول الله^{صلواته وسلامه} تأليف أبي عيسى يحيى بن عبد الله بن أبي عيسى الليثي . أما الأول فمعروف مشهور وأما الثاني فترجم له في جذور المتبين (٣٤) ، ونقل الترجمة بعرفها الضبي في بقية المتن^(٢) . وكانت وفاة ابن خير الاشبيلي سنة ٥٧٥ هـ .

وفي برنامج شيوخ الرعيني ، في ترجمة أبي زكريا يحيى بن عصفور ، أنه قرأ على شيخه أبي العباس اللوري كتاب حجّة الوداع لابن حزم^(٣) . وفيه أيضاً في ترجمة أبي القاسم أحمد بن أبي الوليد الأموي – أنه قرأ على أبي القاسم السميلي (من سهل قرب مالقة بالأندلس) كتاب الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام^(٤) . وسمع أبو الحسن سهل بن مالك الأزدي كتاب السميلي في شرح السيرة^(٥) . ومثله أبوالباس أحمد بن محمد بن مفرج اللخمي^(٦) . وفي برنامج الرعيني نفسه في ترجمة ابن أبي عزفة (أبي العباس اللخمي) أنه سمع كتاب الشفا للقاضي عياض اليعصبي الأندلسي البستي على شيخه أبي عبد الله الجزايمي^(٧) . وسمعه أبو زيد القماري^(٨) . وتلقى الرعيني كتاب الافتاء للكلامي منه مباشرة^(٩) . وقان الرعيني في ترجمة أبي عبد الله محمد بن عبد الله



وكتب المؤلفات الاندلسية في السيرة وشروع وانتشار ، وأغلب هذه الكتب طارت لها شهرة حياة مؤلفيها . فكتاب الدرر كان المتمد الكبير الذي رجع إليه ابن حزم في تأليف كتابه جوامع السيرة . وكتاب ابن حزم (جوامع السيرة) كان في جملة ما يقرؤه زيداته . وقال ابن فرجون في كتاب الشفاعة « .. . » .

إنه : أبدع فيه كل الإبداع وسلم له كفاءته فيه ولم ينزعه أحد في الاقتراد به ولا أنكروا مزينة البوق إليه بل شرّعوا للوقوف عليه وأنصفوا في الاستزادة منه وحمله الناس عنه وطارت نسخه شرقاً وغرباً . وتحدى الرعيني عن كتاب الكلاغي الاكتفاء فوفصه بالكتاب الجليل ، ووصف المؤلف بأنه أجل من كان يقي من الأعلام الأكابر .

وقال الشوكاني في البدر الطالع (١ : ٢٥٠) (في ترجمة ابن سيد الناس) : « ولهم تصانيف منها السيرة البوية الشهورة التي اتفق بها الناس من أهل عصره فمن بعدهم » . وكانت شهرة كتاب الروض الأنف للسميلي سبباً في تقرب أمراء الموحدين له واستدعائه إلى حضرتهم في مراكش (المطربي ٣٣٣) .

وكان مؤلفسو كتب السيرة وما يلحق بها من الاندلسيين ، في الجملة ، من الشخصيات ذوي المكانة العلمية - الفكرية ، المنظور إليهم في فنون من العلم والثقافة والمعرفة كانوا يشتهركون في :

- ضبط الرواية ، واتقانها ، والتقدم في علوم الحديث ، والسير والأصحاب ، والرجال ، والتاريخ .
- التقدم في علوم القرآن والتفسير والقراءات والأصول والفقه .
- التقدم في علوم اللغة وما يتعلق بها ، والبراعة

وتتوسلت من بلد إلى بلد هي الأصل الأول الذي اعتمد عليه كتاب السيرة اللاحقون . ويلخص هذا ما قاله ابن سيد الناس في مقدمة سيرته (١ : ٧) « وعمدتني فيما نورده من ذلك - في سيرته - على محمد ابن إسحاق أذ هو العدة في هذا الباب لنا ولغيرنا » . وهذا الاعتماد الكبير على ابن إسحاق لا يعني الاكتفاء بها والوقوف عندهما ، فقد كان في كتب السير والمفازي والسمائى والاصحاب وفي كتب السنن وغيرها ما يفتح المجال واسعاً للتأليف والتصنيف والتهذيب . وكان لطبيعة الظروف الثقافية في بلد دون آخر ، وفي زمان دون زمان ما يدعو إلى الشرح والإيضاح وإضافة المغواطي والطرر والتعلقيات أو ما يدعو إلى كتابة المختصرات التعليمية والمنظومات والأراجيز . . . الخ . فالمادة التي يرجع إليها كتاب السيرة متقاربة ؛ وتختلف طريقة التناول ، والعرض ، ورغبة المؤلف في الأسهاب أو الاختصار ، والرد التاريخي أو الاعتماد على التفصيل والتبويب ، وذكر الأسانيد وحذفها ، والاسترداد بالشعر والنسب والخبر أو الاكتفاء بالذكر اليسير من ذلك كله . . . والقصد إلى تناول السيرة بجملتها أو الوقوف عند أعلام نبوته ، أو خصائصه وسائله أو غزوته أو غير ذلك من أحواله وأفعاله .

ويبقى لسيرة ابن عبد البر (الدرر) مكانة خاصة ، وصدى في كتب السيرة وما يلحق بها ، كما تبقى له شخصيته النافذة المؤثرة . ولاشك أنجد واحداً في المؤلفين الأندلسيين استوى عن كتاب (الدرر) في تأليفه لكتاب في السيرة بالإضافة إلى استفادتهم من كتب الآخرين . واتقل الكتاب إلى المغرب ، والشرق أيضاً مع الأندلسيين . الذين لم تنقطع رحلاتهم المستمرة إلى الشرق واستمرار بعضهم فيه .



لآداب والأشعار والبصر بطبقات الشراء ونقد
شعر .

— وكانوا — في الجملة — رؤوس أزمانهم في
معارفهم ، واليهم كانت الرحلة ، وقصد التقى ،
وإلا فادة .

— واشتهرت عنهم مؤلفات مختلفة كان لأكثرها
سيرة ، ومكانة في فنونها وأبوابها . وكانت المؤلفات في
السيرة من مشهور مؤلفاتهم ، بل قد يكون كتاب
الأقى للسميلي وعيون الأثر لابن سيد الناس تعد
أشهر ما ألفوا وأكثرها ذيوعا .

— وكانوا في الجملة من الشخصيات الفذة في العلم ،
وفي جوانب من النشاط الثقافي ، والسياسي ، والمقاتلي ،
فقد كان ابن حزم إماماً للذهب الظاهري ، وكان الكلاعي
مثالاً للعلم العامل المجاهد (مات شهيداً في وقعة أئية
عند بلنسية) . ويسأبسط في ترجم المؤلفين ، فيما يتبع
من هذا المقال ، ما يوضح هذا الجاب وبينته .

ولو نظرت في الدوافع التي حفظت أولئك المؤلفين
على الكتابة في السيرة لاجتمع دوافع مشتركة فيما
ي بينهم ، وربما ظهرت دوافع خاصة بمؤلف دون آخر .

— فعن الدوافع المشتركة : ما قصد إليه المؤلفون من
التعبير عن محبة رسول الله ﷺ في صبره ، والتقرب
إلى الله سبحانه بإظهار محبته (★) . والدعوة إلى الاقداء
به ﷺ في صبره ، وكفاحه ، وثباته ، وفي أحواله
جيئاً . والفرض التعليمي الذي يقت وراءه وازع عدم
كمان العلم وضرورة بثه في الناس ، والذي يهدف
إلى تقرير السيرة إلى الناشئة أو الكبار ، وتلليمها ،
وإياض ما فيها . وهناك بعد ذلك كله : طبيعة البحث
العلمي التي تدفع وتحفز ، وتحرّك الأقلام ،
ومن جهة ثانية نجد ابن عبد البر — مثلاً —

يقصد إلى تأليف مختصر للسيرة النبوية «سيرة محررة
لا تعتمد على كتب السيرة المشهورة وحدها بل تتعدد
أيضاً على كتب الحديث ورواية المؤتمن مع المعاونة
بين الأخبار والأحاديث واستخلاص الآراء الصحيحة
ومع الروفه بالدقه في أسماء الأعلام ، ومع التوقف في
الواسعة بالحديث ورجاله وتميز صحيحة من زائفه » .
من مقدمة الدكتور ضيف .

ونجد ابن حزم في جوامع السيرة كان يرمي «إلى
وضع مختصر قرب المأخذ سهل المتناول في أيدي طلابه
كما فعل في كثير من رسائله التاريخية مثل رسالة نقوش
الروس ورسائله في رجال القراءات والحديث والفتح
وتاريخ الخلفاء ; وأنه كان في هذا المختصر يضع
الاصول التي لا يستغني عن تذكرها أو استظهارها كل
من اشتغل بالسيرة النبوية من طلاب العلم » — من
مقدمة المحققين . ولابن حزم غرض آخر : فإن من
يعرف قيمة النقل والاستكتثار من السنن في مذهب أهل
الظاهر عامة وعد ابن حزم خاصة — والسيرة جزء هام
من هذا النقل — يجد أن تناول ابن حزم للسيرة بالنظر

* — ومنذ القرن الخامس فيما وقع لي من الأخبار —
وربما من قبل ذلك — يبدو لنا ظاهرة كتابة الرسائل
وارسالها إلى مقام النبي (ص) محبة فيه وتشوقاً إلى
زيارته ، وطغى على إداء فريضة العج والمغارة والزيارة .
نمن ذلك رسالة لابن محمد السيد البطليوسى (ت ٥٢١)
ورسالة للقاضي عياض (ت ٥٤٤) وتزداد هذه الظاهرة
انتشاراً مع الاعصر النالية أيام الموحدين والنصيريين ،
كما تراافق اشتداد الحلة على بلاد الأندلس وأهلها من
تحالف الدول الشمالية ، ومددها الخارجي ...
واشتداد المقاومة الاندلسية — المغربية .

— وهذه ظاهرة تصع دراستها مستقصاة في
الأندلس والشرق ،

الجديد والتحديد والتقييد إنما هو جزء من مذهبه .٠٠٠
والسيرة صورة عليا من الكمال الانساني في نفس ابن
حرزم ، ولذلك فلا غرابة في أن يجعلها موضوع المحب ،
وأن يحاول وضعها للناس وضعاً مسراً قريباً بين
الحقائق .٠٠٠

وقصد القاضي عياض في جملة ما قصد إليه :
التعريف بقدر المصطفى عليه الصلاة والسلام ، وما
يجب له من توقير وإكرام ، وما حكم من لم يوف
واجب عظيم ذلك القدر أو قصر في منصبه الجليل
قلامة ظفر ، وأن يجمع ما لاسلفا وأئستنا في ذلك من
مقال .٠٠٠ « وذهب إلى بيان خصائصه ^{عليه} التي لم
تعجّم قبل في مخلوق » .٠٠٠ مقدمة الشفاعة للقاضي
عياض .٣-٥

أما الكلاعي فقد عاش في مدة اشتتت فيها
العرب بين اجتماع الاندلسيين والمغاربة من جهة ،
 وبين جمع الدول المعادية في شمال الجزيرة الاندلسية
ومن اجتمع إليهم من دول أوربية من جهة أخرى . وتجد
في مقدمة سيرة الكلاعي (الاكتفا) صدى لأمررين
اثنين .٠

أحدهما : الدعوة إلى سلوك الطريق القويم ،
ونبذ الفساد ، والدعة المفرطة . ودعوة أصحاب
القلوب البطلة إلى الابتعاد عن موارد الجهالة
والضلال .٠٠٠ فان في السيرة النبوية ما يحظر على
الفضل ونبذ المفاسد بالقسوة والأسوة .

والثاني : الدعوة إلى الثبات في وجه العدو ،
والي جهاده في عقر داره وقد كانت الاندلس في أيام
الكلاعي في شدة مواجهة الحرب الصليبية المائمة
للحرب الأخرى على الجهة الشرقية (بلاد الشام
والشرق) . قال في مقدمة الاكتفا : وإنه لا يخلو
الناظرون في هذا الكتاب من أن يسمعوا ما صنع الله

رسوله ^{صلواته} في اعداد تنزيله فيستجزلوا ثواب الله
بنصر الله أو يسمعوا ما امتحنه الله به من المحن التي
لا يطيق احتمالها الا نعوس أنياء الله بتأييد الله
فيعتبروا بعظيم ما تلقاه من شدائد الخطوب ويصطبروا
لموارض الكروب تأدباً بأدابه ، وجرياً في الصبر على ما
يصيبهم ، والاحتساب على ما ينوه بهم على طريقة صبره
واحتسابه . وتلك غاية لكن نبلغ عندها مجدهنا ولن نصل أدناها
بنهاية ركضنا وشدننا ، وإنما علينا بذلك الجهد في قصد
الاهتداء .٠٠٠ (من المقدمة ١ : ٥٥) . وقد كانت
حياة الكلاعي ومماته ، فيما بلغنا من ترجمته - من
المقتدين ، الصابرين ، الحتبين .

أما ابن سيد المعتنين فقد قصد إلى التبرك بالدخول
في جملة المعتنين بالسيرة ، وهدف أيضاً إلى إعادة كتابة
السيرة ، بحيث تحقق غرضين مما : الاختصار
والاقتصار على الكتاب ، الاصطراق بموضوع السيرة
دون استطراد . ثم : الاحاطة - على قدر الاجتهاد -
بأخبار النبي ^{صلواته} وأحواله وشمائله ومحりيات حياته ،
وأهلها ، ومتمازيه ، وما يتعلق بذلك كله .

وجاءت سيرة ابن سيد الناس (عيون الآخر)
جامعة ، وافية ، بالإضافة إلى زيارة عليه ، ونهاية نقله .
ولا بد من أن يلاحظ الدارس أن النهاية بالسيرة
النبيّة ، وشروحها وإعادة التأليف فيها ، وفي ممتازيه
^{عليه} ومتمازيه ومحرياته (رض) من بعده مرتبط على
أكثر من وجه بالموقف التكري ، والاتباع المقidi
لواجهة بعض الدعوات ، والفرق ، والدوبيات ، التي
ترددت أصداً لها في مواطن متفرقة من بلاد المغرب ،
والشرق ، مما يهدى مخالفة لما كانت عليه الجماعة ،
أو خروجاً على الفكر الإسلامي جملة .
وقد كان لجمهرة الفقهاء والعلماء والمحدثين
بالأندلس دور فعال أساساً في مدة دول الطوائف لمنع



دُوَّث تدهور فكري أو عقدي قد يرافق الانهيار السياسي والتقاعس الجماعي . وقد أسلفت ، فيما سبق ، أن التأليف الاندلسي في السيرة بدأ – على ما رجحت – في هذا العصر (القرن الخامس المجري) . ثم جاء الرباطيون الذين اعتمدوا على جهود الفقهاء ، وأح gioوا الجماد ، ومكثوا أهل العلم والقضاء من مناصب الدولة . فلما كان عهد الموحدين ازدادت العناية بالعودة إلى الأصول : الكتاب والسنة .

وقد كان مصر الموحدى عصر ازدهار للكتابة في السيرة النبوية ، والمناقرى ، وكتاب الشرح المطولة والختصرة ، وازدهار فن الدائى النبوية وتسجيل أحداث السيرة في قصائد وأراجيز ٠٠٠ الخ . وتبزر في هذا المجال ملاحظات وتعليلات عديدة ،

أقف منها عند جانبي اثنين :

أحدها : أن دولة الموحدين التي قامت على انقضاض دولة الرباطيين القوية ، هدفت إلى العودة إلى القرآن والسنة ، والاهتمام بالأصول دون الاستفرار في الفروع ، وإلى الأخذ بالظاهر من القرآن والحديث . ولا شك في أن نشر السيرة ، والتاليف فيها ، يعد في جملة ما يعين على الوقوف عند النصوص والأثار وما يعيد إلى الأصول . ونذكر هنا جهود ابن حزم في السيرة وأخذ دولته الموحدين بالذهب الظاهري وازدهار هذا الذهب في أيامهم من جديد (بالشيا ٢٣٧ - ٢٣٩)

والثاني : أن الموحدين كانوا يخوضون حربا ضروسـا في الأندلس ، للجهاد والدفاع . وكان خلفاء الموحدين يعرضون العلماء والمحدثين على توسيعية الناس ، وتقريب الأحاديث اليهم في قضايا الجماد والاستشهاد . وكانت (السيرة النبوية) القدوة المثلى

والأسوة الحسنة ، لدفع الناس إلى التضحية ، والبذل في سبيل الله . . . بذل الأموال والأرواح . ففي أخبارهم أنهم كانوا يحللون مصحفاً وصل إليهم من مصاحف عثمان (رض) أئمـاً توجهوا على نافقة حمراء عليها من الحلي النقيـس وثيـاب الديـساج الفاخرة (المـعـجـب ٣٢٦) .

وفي بعض أخبار أبي يعقوب يوسف أنه لما توجه إلى غزو الروم أمر العلماء أن يجمعوا أحاديث في الجهاد تعلـى على الموحدـين ليـدرـسوـهـا (المـعـجـب ٣٢٨) .

وفي أخبار أبي يوسف يعقوب المنصور (الحل الموسـيـة ١٥٩) بعد اتصـارـهـ في موـقـةـ الـأـرـكـ (سنة ٥٩١) أمرـ كـاتـبـ أـبـاـ النـفـضـلـ بنـ أـبـيـ الطـاهـرـ أنـ يـوـجـزـ فيـ كـاـبـ هـذـاـ التـنـعـ ،ـ وـأـنـ يـنـحـوـ مـنـحـ كـبـ الصـحـابـةـ رـضـوانـ اللهـ عـلـيـمـ أـجـمـعـينـ .

وكان تأليف الشهيلي (ت ٥٨١) كتابه الروض الألف في شرح السيرة سبباً رئيساً في تقرب الخليفة الموحدى له ، واستقدمـهـ إلىـ العاصـةـ مـاـكـشـ وـالـبـالـاتـ فيـ إـكـرـامـهـ (المـطـربـ لـابـنـ دـحـيـةـ ٢٣٢) .

إن ظرة سريمة إلى الكتب والرسائل المؤلفة في غرض السيرة تظهر أن التأليف فيها تناول العبـوابـ المختلفة المتعلقة بالسيرة النبوية ابـتـداءـ منـ الطـرـرـ والـتـعـلـيـقـاتـ والـشـرـوحـ علىـ كـبـ السـيـرةـ الشـرـقـيـةـ ،ـ مـرـوـرـاـ بـالـتـالـيـفـ فيـ بـعـضـ خـصـائـصـ النـبـيـ مـيـلـيـثـ منـ الشـائـلـاتـ والـمـعـجزـاتـ وـالـبـلـاغـةـ النـبـوـيـةـ ،ـ وـاتـهـاءـ إـلـىـ التـالـيـفـ الشـامـلـ فـيـ سـيـرـتـهـ المـطـرـةـ .ـ وـقـدـ وـصـلـ بـالـيـادـ عـدـدـ مـنـ هـذـهـ الـكـتـبـ ،ـ وـغـابـ عـدـدـ آـخـرـ فـيـ ضـاعـ مـنـهاـ اوـ فـيـ نـجـيـلـ حـقـيـقـةـ مـكـانـهـ إـلـىـ أـذـ يـظـهـرـ فـيـ يـوـمـ مـنـ الـأـيـامـ .ـ فـمـاـ أـلـفـ فـيـ السـيـرةـ الشـامـلـةـ كـتـابـ الدـرـرـ لـابـنـ عبدـ الـبـرـ ،ـ وـجـوـامـعـ السـيـرـةـ لـابـنـ حـزمـ ،ـ وـالـسـيـرـةـ لـأـبـيـ خـصـنـ المـلـايـ (٤٤) ،ـ وـمـاـ أـلـفـ فـيـ مـعـجزـاتـهـ مـيـلـيـثـ إـلـيـهـ إـلـاـ حـكـامـ



ـ الدرر في اختصار المفازي والسير لأبي عمر بن عبد البر القرطبي المتوفى سنة ٤٦٣ هـ .

ـ جوامع السيرة لأبي محمد بن حزم القرطبي المتوفى سنة ٤٥٩ هـ .

ـ الاكتفاء في مفازي المصطفى والتلذة الخلفاء لأبي الريبع سليمان بن موسى ابن سالم الكلاغي المتوفى سنة ٤٣٤ هـ .

ويضاف الى هذه المؤلفات كتاب آخران ، التهمان عالمان يتيحان الى أصل أندلسي . وعاش أحدهما وهو القاضي عياض^(٢٠) - مدة في الأندلس ، واستقر في بعض مدنهما ، وأخذ العلم الفزير عن شيوخها . أما الآخر فقد ولد في القاهرة لأب أندلسي ، وهو ينتهي الى أسرة عربية أندلسية اشتهر منها عدد جم من المحدثين والعلماء ، وهو ابن سيد الناس اليمري .

وقد حفظني على اعتبارهما في المؤلفين الأندلسين انهما يتيحان الى أصل أندلسي قريب . وأنهما اعتمدما في مؤلفاتهما ، وبخاصة الكتب الخاصة بالسيرة ، في جملة ما اعتمدا عليه ، على "أصول أندلسية" ، فهما على أكثر من وجه ، من المدرسة الاندلسية ، إذ صاح هذا الاطلاق ، ومن جهة ثالثة فاني وجدت كتب الترجم القديمة ، وكتب تاريخ الادب الاندلسي المعاصرة تسلكهما في المؤلفين الأندلسين كالذى نجده في تاريخ الفكر الاندلسي^(٢١) .

في معجزات النبي عليه السلام لأبي الحسن الجياني^(١٥) والدرر البهية في معجزات خير البرية^(١٦) ، وكتاب في معجزات خير البرية ذكره صاحب النفح في ترجمة ابن غصن الإشيلي^(١٧) والآيات اليسات في ذكر مافي اعضاء^(١٨) (رسول الله ﷺ) مقتلة من المعجزات^(١٩) .
ومما ألف في خصائصه ﷺ : ملاد المستعين في بعض خصائص سيد المرسلين للمتنشاري^(٢٠) وخلاصة الصقعا من خصائص المصطفى لأحمد بن ميمون الأشعري^(٢١) .

ولابن دحية كتاب التسوير في مولد السراج المير^(٢٢) . وللإقليمي : الفرق من كلام سيد البشر^(٢٣) والنجم من كلام سيد العرب والجم ، ولابن دحية ايضا رسالة في شرح أسماء النبي ﷺ .

ومن الشروح كتاب الروض الافت للسمعي ، وكتاب أبي ذر الغوثاني . ومنها طور للشلوبيني^(٢٤) وكتاب لأبي الوليد المهرمي في تفسير مفازي الواقدي^(٢٥) ولا يمكن الاستقصاء هنا ، وليس ذلك مقصوداه وإنما أتبه الى وفرة المؤلفات والمست雀ات في السيرة وما يتعلق بها ، وأنـَّ التأليف في ذلك كان تياراً من تيارات العناية بالسنة النبوية ، والتاريخ الإسلامي بالإضافة الى أنـَّ في العناية بالسيرة قصداً واضحاً الى التعرف الى السيرة العطرة ، والاقتداء بالنبي ﷺ ، والى إلهام محبه ﷺ ، والتشوق اليه والى روضته ومسجدده ، والى الأرض المطهرة .

واذا راجعنا المطبوع من الآثار الأندلسية في السيرة وما يتعلق بها ، استطعنا أن نميز الاتجاهات التالية :
ـ المؤلفات التي قد أصحاها الى كتابة السيرة النبوة من مبدئها الى منتها مما يخص تاريخ حياته ﷺ وأخباره وسائله وخصائصه ٠٠٠ ونجد من هذه الكتب :

(٢٠) القاضي عياض اندلسي الاصيل ، موطنـه (سبـتا). وقد ارتبطت هذه المدينة بالأندلـس سياسـيا في مـدد مـختلـطة، وهي تمثلـ مركـزاً مـتفـقـاً منـ مراكـزـ الحـفـارـةـ الـأنـدـلـسـيةـ وـوصلـةـ هـامـةـ بـالـغـربـ مـعـ التـواـجـيـ السـيـاسـيـ وـالـقـانـونـيـ وـالـتجـارـيـ وـالـبـشـرـيـ ...



والكتابان هما :

ـ الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض
المتوفى سنة ٥٤٤ هـ .

ـ وعيون الأثر في فنون المفازي والشمايل
والسيّر لابن سيد النّاس اليعري المتوفى سنة ٦٣٤ هـ .

بـ ٠ المؤلفات التي عُثِّيت بجانب من جوانب حياة
النبي عليه السلام وأسیرته ، وبين أيدينا من هذا النوع كتاب
حجة الوداع لابن حزم .

جـ ٠ كتب السيرة المختصرة ، التي يختصرها المؤلف
عن كتاب مطول سبق أن أله . وبين أيدينا من هذا
النوع : كتاب : نور اليون في سيرة الأمين المأمون ،
لابن سيد الناس اليعري ، وهو أوراق ملخصة من
كتابه الذي سبقت الاشارة اليه : عيون الأثر في فنون
المفازي والشمايل والسيّر .

دـ ٠ كتب الشروح على السيرة النبوية ، ولعل
هذا النوع هو أول ما عرفته الأنجلو من تقييدات على
السيرة . وقرأت في طبقات اللغويين وال نحوين
للزبيدي أنَّ آبا الوليد الموري صنف كتاباً في تفسير
مفازي الواقدي (٢٧) .

وبين أيدينا من هذا النوع :

ـ الرُّوض الأف لأبي القاسم الشفيلي ، المتوفى
سنة ٥٨١ هـ .

ـ «شرح السيرة النبوية» لأبي ذر مصعب بن
مسعود الخشنبي ، المتوفى سنة ٦٠٤ هـ .
وكلا الكتابين شرح على السيرة النبوية برواية
ابن هشام .

هـ ٠ المنظومات والأراجيز التي اختصر فيها
 أصحابها كتب السيرة النبوية . وهي كثيرة ، ذكر
منها أصحاب كتب التراجم ، والبرامع عدداً ، وببعضها
قد وصلتنا ، وإن كان المطبع منها قليلاً . ويلحق
بهذا النوع فن المولدات الذي يختلط فيه المديح
النبي برد السيرة . (ويصح أن يستقل هذا النوع
بدراسة مستقلة) .

فمن ذلك ما نقله ابن عبد الملك المراكشي في الذيل
والتكلمة (٢٨) من أنَّ أَحمدَ بنَ عيسَى بنَ حجاجَ المروف
بأبي الْوَلِيدِ الْأَفْلِيْحِ وضعَ أَرجُوزَةَ مُخْسَنَةَ فِي السِّيرِ
سَمَاهَا : « ظَمَ الدَّرَرَ وَثَرَ الزَّهْرَ » قال ابن عبد الملك:
وَهِيَ مِنْ أَحْسَنِ مَا تَنَلَّمُ فِي مَعْنَاهَا ، أَوْدَعَهَا نَكْتَةُ السِّيرِ
لأبي بكر محمد بن إسحاق بن يسار . وألْفَتَ أبو بكر
ابن أبي الأفليح المذكور : الدَّرَرُ الْبَهِيَّةُ فِي مَعْجَزَاتِ
خَيْرِ الْبَرِّيَّةِ .

ولاحمد بن محمد بن ميمون الأشعري المالطي
قصيدة مطولة سماها بـ « خلاصة الصفا من خصائص
المصطفى » (٢٩) .

ومن المطبع لابن سيد الناس اليعري السابق
الذكر قصيدة مطبوعة ، عنوانها « بشرى الليب في
ذكرى الحبيب » (٣٠) .

يقتفي الترتيب الزمني ، وقد وصلت إلى عرض
كتب السيرة وما يتعلّق بها ، أنَّ أقدم الإمام ابن حزم
(ت ٤٥٦) لانه توفي قبل ابن عبد البر القرطبي (ت
٤٦٣) . ولكنني سأبدأ بابن عبد البر لانه شيخ
ابن حزم أولاً ، ولأنَّ ابن حزم اعتمد على كتاب شيخه
(الدرر) اعتماداً كبيراً ، في جملة ما اعتمد عليه من
مصادر ومراجع .



ابن عبد البر (٣٦٨ - ٤٦٣)

حافظ المقرب ، وماتا في سنة واحدة . وهو إمامان في هذا الفن .

وألف ابن عبد البر ما جمع تواليف نافعة سارت عنه^(٣٧) كما قال الحميدي . فمن تواليفه : التمهيد ، وقد سبقت الإشارة إليه ، وكتاب في الصحابة سماه الاستیحاب في أسماء الأصحاب ، وكتاب جامع يبيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله ، وكتاب : بیچة المجالس وأئم المجالس بما يجري في المذكرات من غرر الآيات وتواتر العکایات^(٣٨) . وغير ذلك من الكتب . ومنها كتاب الدرر .

سمى ابن عبد البر كتابه « الدرر في اختصار المفاز والستير » . فهو قصد كما يظهر في العنوان إلى وضع مختصر يعني بالفرض . وقد أوضح هذا في مقدمة الكتاب فافتتح به ذكر منهجه ومراجعه ومصادره الرئيسية فقال : هذا كتاب اختصرت فيه ذكر بمث النبي ﷺ ، وابتداء نبوته ، وأول أمره في رسالته ومفازيه وسيرته فيها ، لأنني ذكرت مولده وحاله في

(*) ترجمة ابن عبد البر في : جذوة المقتبس للحميدي : ٢٤٤ . والصلة لابن بشكوال ٢ : ٦٧٧ وبيفية الملتمس للضبي : ٧٤ ، وطبع الانفس لابن خاتان : ٦١ . والمغرب لابن سعيد ٢ : ٠٧ ، ووفنيات الاعيان لابن خلكان ٦٤ . والديباج المذهب لابن فخرخون : ٣٥٧ . وشندرات الذهب للحنيني ٣ : ٢٤٤ . وتنكرة الحفاظ للذهبي ٣ : ٣٦ . والمبر في خير من غير ٣ : ٢٥٥ . وترتيب المدارك ٤ : ٨٠٨ .
وانتظر دراسة آتخل بال شيئاً : ٣٦٦ . ومقمية التمهيد لما في الموطأ من المعاني والاسانيد (للمحققين) . ومقمية الدرر للدكتور شوقي ضيف والاعلام للزرگلي . ومقمية بیچة المجالس (طبعة المجلس الاملسي بالقاهرة) تحقيق م. الخولي .

هو أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر التميمي . من أهل قرطبة ، ولد بها سنة ٣٦٨ . ونشأ ، وتلقى علومه ، وسمع قبل الأربع مئة بعده من جماعة من علماء الأندلس ورواتها . وقد تقلّل في البلاد الأندلسية ، فخرج إلى المغرب وأقام مدة . واستقضاه المؤذن بن الأفطس (من بنى الأفطس أصحاب بطليوس أيام الطوائف) فتولى قضاء الأشبيلية وشترن ، ثم تحوّل إلى شرق الأندلس ، وكان ثمة مجاهد العاري ، من أمراء الطوائف ، وكان معروفاً بحب العلم وتقربه إلى العلماء ، فجال ابن عبد البر في دانية وبلينسية وشاطبة . وكانت وفاته بشاطبة عن سن متقدمة عام ٤٦٣ .

في ترجمة الحميدي – تلميذ ابن عبد البر وتلميذ ابن حزم وصاحبه – في جلوة المقتبس لاستاذه أبي عمر ابن عبد البر : أبو عمر فقيه حافظ مكثر ، عالم بالقراءات وبالخلاف في الفقه ، وبعلوم الحديث والرجال ، قديم السماع ، كثير الشيوخ . وقد حرص الحميدي على إجازة شيخه ، فكتب إليه بذلك^(٣٩) . وقد أتني على ابن البر « أبو الوليد الباجي فقال : لم يكن بالأندلس مثل أبي عمر في الحديث . وقال ابن بشكوال : هو إمام عصره وواحد ذهره^(٤٠) . وقال الحجاجي : إمام الأندلس في علم الشريعة ورواية الحديث لا أستثنى من أحد^(٤١) . وقال ابن حزم في معرض التعريف بكتاب ابن عبد البر « التمهيد ملأ في الموطأ من الأسانيد » : « لا أعلم في الكلام على فقه الحديث فكيف أحسن منه ؟^(٤٢) . وقال ابن خلكان^(٤٣) : تقدم في ترجمة الغريب البغدادي أنه كان حافظ المشرق ، وابن عبد البر



نشأته وعيوناً من أخباره في صدر كتابي في الصحابة^(٣٩) . وأفردت هذا الكتاب لسائر خبره في بعثته وأوقاته عليه السلام .

وتحديث ، بعد ، عن مصادره وأصوله : واختصرت ذلك من كتاب موسى بن عقبة ، وكتاب ابن إسحاق ، رواية ابن هشام وغيره . وربما ذكرت فيه (الدرر) خير اليس منها ، والنق كلام على مارسه ابن إسحاق ، فذكرت مغازي وسيره (جادة) على التقرير والاختصار والاقتصار على العيون من ذلك دون الحشو والتخليل^(٤٠) .

فكتاب الدرر إذن وضع ليكون تهدياً والختصار لما رواه من كتب السير والمغازي والشائئل والأخبار ، من الأصول المعتمدة والروايات المختلفة . ولم يكتفى بذلك بل أضاف إلى التهذيب والاختصار أخباراً رواها ، وآراء ثرها في جوانب السيرة ، « وهي آراء علم من أعلام الفقه والحديث »^(٤١) . وهو من جهة حذف بعض الأسانيد وبعض العشو ، وكأنما رأى كتب السيرة تحتوي على حشو كثير فرأى أن يكتفي بالدرر والفوائد التي تحمل منها خططاً مبدوداً متصلة^(٤٢) .

وكما أسلفنا مما نقلناه من مقدمة المؤلف ، فإن كتاب الدرر يبدأ منبعثة النبي . أما ما قبل ذلك من ولادة الرسول عليه السلام ونبه ووفاة أبيه وأمه وجده وكفالة عنه أبي طالب ونشاته وأملاواره قبلبعثة وزواجه بالسيدة خديجة (رض) فقد أحمله في صدر كتابه : الاستيعاب في معرفة الأصحاب^(٤٣) .

وهو ، على متابعته في الخط المعام لسيرة ابن إسحاق ، كما أشار في المقدمة ، فإنه خرج على ذلك بما حذفه منه ، وبما أضافه من مصادره الأخرى مثل

كتاب ابن عقبة في المغازي وكتاب ابن أبي خيثمة ، وروایات شیوخه من الاحادیث .

وقد كان من مصادره الرئيسية سيرة ابن إسحاق برواية ابن هشام ، وبروايتين آخرتين : رواية يونس ابن بکیر^(٤٤) مكرر ورواية ابراهيم بن سعد . واستعمال بهذه الروايات على المقارنة والموازنة . ومن مصادره : مغاري الواقعى ، وطبقاته ، وكتاب أبي بکر بن أبي خيثمة . قال الدكتور ضيف : وظاهر أنه كان له كتاب في السن بجانب كتابه التاريخ الكبير في تعديل الرواية وتجریحهم^(٤٥) . قال : ولا شك في أن وراءها مصادر أخرى لم يعن بايرادها .

وخلالمة القول أن ابن عبد البر اقتصر على العيون من الأخبار ، وألتئم بطريقة المحدث الحافظ ، مبتداً عملاً يصح من الروايات ، مع مناقشة مارواه من ضيف الأخبار وذلك بميزان الجرح والتعديل ، وأداره بروح المؤرخ الأديب والناقد الخير^(٤٦) .

وقد كانت السيرة التي صنفها ابن عبد البر (الدرر) في أول مصادر ابن حزم في (جوامع السيرة) ، وفي أهم مصادر ابن سيد الناس في (عيون الآخر) مما يلحق الحديث به ، في مواضعه . ولا شك في أنها كانت بين يدي الأندلسيين الذين أتوا في السيرة أو في شروحها أو الكتابة في جوانب تتعلق بها ، كما كانت كتاب ابن عبد البر الأخرى شائعة سائرة .

(٣٩) طبع كتاب الدرر في القاهرة في ١٣٦٨هـ - ١٩٤٦م من لجنة احياء التراث في المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية . واضططلع بتحقيقه الدكتور شحوقي ضيف . وجاء الكتاب في جزء واحد في نحو ٣٥ منحة كبيرة ، يذهب كل من مئة منحة منها للمقدمات والمهارات .

نقل المترى في فتح الطيب عن صاعد الأندلس قوله في ابن حزم : كان ابن حزم أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام وأوسعهم معرفة مع توسيعه في علم اللسان والبلاغة والشعر والسير والأخبار »^(٤١) . ووقال الدكتور احسان عباس بعد ترجمته لابن حزم : كان نسيج وحده فيمن أنجيتم الأندلس»^(٤٢) .

وأبو محمد علي بن سعيد بن حزم الأندلسي ، فقيه الأندلس وعالمها ، وصاحب التصانيف في الفقه والجدل والتاريخ والسير والأصول والآداب . ومجدد مذهب داود الظاهري ومقدّم أصوله ومبيّن حكماته . . الفقيه الأديب الناقد المؤرخ الوزير .

ينتهي ابن حزم إلى أسرة فارسية الأصل ، في أرجح الآراء ، ويحسب مائقن ابن حزم نفسه . وكانت أسرته ذات سابقة في خدمة الدولة الروائية ، والسامريّة . وكان أحد (والده) مشهوراً بالعلم والأدب والشعر ، وكان وزيراً معدوداً في دولة المنصور بن أبي عامر . . وحصل ابن حزم على العلوم الدينية والدنيوية ، وكانت دائرة إهتماته وتحصيله العلمي واسعة جداً ، شملت علوم عصره ، (عدا الحساب والهندسة)^(٤٣) مكرره .

وبعد أن شارك في الحياة السياسية ، وصل إلى ببارها في مدة الفتنة بعد سقوط العامريين بقرطبة أفلح عن ذلك كلّه ، وانتقل إلى التّاليف ، والدفاع عن الرسالة ومجادلة أهل الملل ، وتشعبت اهتماماته التي ألف فيها فكتب في النطق ، والفقه ، والأصول والآداب ، والتاريخ ، وترجم الرجال ، واتسع صدّره ليكتب في الحب » طوق الحماة « . وكان ابن حزم لسان المذهب الظاهري فالف في كثيرة ، وتمرّض لنفسه بعض الفقهاء ، وبعض من جراهم من أمراء الطوائف .

واستمر ابن حزم ، ذا شخصية قوية مستكنته ، يدرس العلم لطلابه الذين يقصدونه إليه حيث انتقل ، أو حيث أزعجه الأمراء . ويؤلف الكتب لم يثنه احرق بعض كتبه ٠٠٠ أمر باحرقها المعتصد بن عباد متربّياً إلى بعض الفقهاء والعامّة ٠٠

وكما كان تحصيله من الآداب والعلوم شاملًا واسعًا غزيرًا ، كانت مؤلفاته انكasaً لذلك الشمول والاتساع ، وكانت ، أيضاً ، كتب ذات قيمة علمية عالية من مؤلف مدقق غير متذوق القلم حاسم الرأي ، قوي الجهة . وجمع الإمام ابن حزم العلوم النقلية إلى العلوم العقلية ، وسمع سعياً جمئاً كما قال تلميذه الحيدري^(٤٤) . وقد روى الحديث عن علماء كثيرين ، وروى التاريخ للطبراني وحدث به عن شيخه ابن الجسور الأموي . وكب تراجهه تحفل بأسماء شيوخه ، وهم كثرة من جهة ، وهم متقدّم الاهتمام والاختصاص من جهة ثانية .

قال الحيدري إن ابن حزم ألف في فقه الحديث كتاباً كبيراً سماه : الایصال إلى فقه الخصال الجامعية

^(٤٤) ترجمته في جنوة المتتبّس للحيدري ٢٩٠ ، بغية المتتبّس رقم ١٢٠٤ مصفحة ٤٠٢ ، والمصلة لابن بشكوال ١: ٣٩٥ طبقات الإمام لصاعد الأندلسي ١١٧ ، المغرب لابن سعيد ١: ٣٤٥ والختير لابن بسلم ١-١١ ، والمعجب للمركتشي ٩٢ ، وطبع الانفس لابن خاقان ٥٥ وفتح الطيب ١: ٣٦٤ ، وذكرة الخفاظ للذهبي ٢: ٣٤١ وشذرات الذهب ٣: ٢٩١ . وتاريخ الحكام للقطني ١٥٦ .

للأستاذ سعيد الانفاني عنابة بابن حزم . راجع مقدمة كتابة: ابن حزم ورسالته في المقابلة بين الصاحبة . ومصادر ابن حزم وكبته في بروكلمان : الأصل ١: ٠٠٠ والحق ١: ٦٩٢ . وانظر تاريخ الأدب الأندلسي ١: ٣٠٣ . د. احسان عباس . و تاريخ النقد الابي في الاندلس : د. رضوان الداية .



و شمائله تثل الجانب العللي في الكمال الخلقي .
ورد في كتاب « جوامع السيرة » ذكر اثنين من
محدثين ابن حزم هما : تاريخ أبي حسان الزبيادي ،
وتاريخ خليفة بن خياط ، وقال المحققان إن البناء العام
لكتاب السيرة يدل على أنذ ابن حزم يتکي . كثيرا على
سيرة ابن سحق ، وأنه أفاد في كتابه هذا ما صنه
من قبله شیخه و معاصره أبو عمر بن عبد البر مؤلف
كتاب الدرر في اختصار المذاي والستير ٠٠٠ بالإضافة
إلى كتب أخرى يمكن أن تزفف كتاب ابن حزم ٠

وتحدث الدكتور شوقي ضيف في مقدمة «الدرر» عن استفادة ابن حزم في «جواجم السيرة» من كتاب أستاذه في الدرر . ولكن نشر جواجم السيرة قبل كتاب الدرر لم يسمح لمحققي كتاب ابن حزم بالمقارنة بين الكتابين ، أو الإفادة منه في توثيق النص (مقدمة الدكتور ضيف للدرر صفحة ١٤ - ١٦) . وقد رأى الدكتور ضيف في شيء من المقارنة والتبيين بالأدلة أن ابن حزم أكثر من الاستفادة من كتاب (الدرر) ، وأنه «لابد من انتساب ابن عبد البر» في نسق كتابه وما تضمنه من الأحداث وأسماء الأعلام فحسب ، بل كثيراً ما اياته في سرد كلامه ناقلاً نص عباراته مع شيء من التصرف أحياناً ، وقد يترك النص الذي ينقله عن أستاذه دون أي تصرف »^(١) .

وهذا اللقاء يبينه وبين أستاذة يدل على وحدة المنهج ، واعتعداد ابن حزم بأستاذة ، ومتابعته إياها . ويكون نقل بعض النصوص باغراضها اكتفاء بالичесنوى والنصر عن المقاومة أو الغلaf .

لجعل شرائع الإسلام في الواجب والحلال والحرام .
وله الإحکام في أصول الأحكام ، والفصل في الملل
والآهواء والتعل ، والتقریب لحد المنطق . قال وکان
له في الآداب والشعر نفس واسع وباع طویل ۰۰۰ ونبه
على عناية ابن حزم بال الحديث ، وساعه الكثیر عن
شیوخ كثیرین .

وَمَا أُرِيدُ فِي هَذِهِ الْمُقْدِمَةِ إِلَّا أَنْ أَبْيَضَ عَنِي
ابن حزم بالحديث والأصول وعانته بمناقشة أهل
الممل، ومناقحته عن المذهب الظاهري الذي التزم به
وكتب فيه . وأن عانته بالسيرة النبوية لم يكن بعيداً
عن منهجه الفكري العام ، ولم يكن مشاركة عارضة
لمؤلف غير الآثار .

وبنـه محققاً كتاب ابن حزم «جواـمـع السـيـرـة» في
مقدمة الكتاب الى صنيـع ابن حـزم ، وما هـدـفـهـ اليـهـ من
كتابـةـ السـيـرـةـ ، وـمزـاياـ الـكتـابـ وـخـصـائـصـهـ (٤٨)ـ .
فالـلـيـدـفـ الـعـلـمـيـ وـالـتـلـيـمـيـ آـنـ يـضـعـ كـسـابـاـ مـخـتـصـراـ ،
قـرـبـ الـلـاـخـذـ سـهـلـ الـمـتـنـاـوـلـ ، كـمـاـ قـلـ فـيـ كـثـيرـ مـنـ رـسـائـلـهـ
التـارـيـخـيـةـ لـتـقـرـيبـ هـذـهـ الـأـغـرـاضـ إـلـىـ طـلـابـهـ ، وـالـدارـسـينـ ،
وـتـنـاـولـ ابنـ حـزمـ لـسـيـرـةـ تـلـخـلـ فـيـ جـمـلـةـ اـهـتـامـهـ
بـالـاسـكـتـارـ منـ التـقـلـ وـالـسـنـ مـتـابـعـ لـماـ يـقـضـيـهـ
الـاحـجـاجـ لـمـذـهـبـ الـظـاهـريـ ، فـالـتـقـلـ أـسـاسـ مـنـ أـسـنـ
المـذـهـبـ الـظـاهـريـ (٤٩)ـ . وـالـسـيـرـةـ النـبـوـيةـ - إـلـىـ ذـلـكـ -
صـورـةـ عـلـيـاـ مـنـ الـكـمالـ إـلـيـانـيـ فـيـ تـهـنـ ابنـ حـزمـ ،
فـالـكـتابـةـ فـيـهـ حـثـ عـلـيـ الـاقـتـداءـ بـهـ بـنـ حـزمــ .

والسيرة دليل من الأدلة على نبوة نبويه عليهما ملكه .
وفي هذا يقول ابن حزم : إن سيرة محمد ﷺ لم تدركها
تفصي تصديقه ضرورة بأنه رسول الله عليه ملكه حقا .
فلو لم تكن له معجزة غير سيرته عليه ملكه لكنه (٥٠) . وميزة
بالمنايا فصلين هامين هنا أعلام نبوته وخلقه وشمائله
لأنهما شاهدا حق على نبوة الرسول عليه ملكه ولأن خلقه

(*) نشر كتاب جوامع السيرة لابن حزم في دار المعارف بمساهمة بتحقيق الدكتور الاستاذين احسان عباس وناصر الدين الاسد ومراجعة الاستاذ العلامة احمد محمد شاكر .

وبقى ابن حزم دائمًا شخصيته ، وأسلوبه في المعالجة ، وقدرته على توحيد الأفكار الشابة وجمعها وتبديها ، بالإضافة إلى معرفة ابن حزم من الدقة ، ومن تمتعه بصفات المؤرخ التزهىء المنصف .
ولا ينفي عن قارئه كتاب ابن حزم ، أنه يتبع بالشخصية النافذة ، ذات الطبع العاد من جهة ، ويحاول أن يربّ ظرائه الفقهية حيث يمكن ذلك ، وثبت مذهب الظاهري ، من جهة أخرى .

كتاب حجة الوداع :

في ترجمة الرعيني لأبي زكريا يحيى بن أبي بكر ابن عصفور البدرى ذكر أنه — أبي ابن عصفور — سعى على شيخه المحدث أبي العباس أحمد بن سلمة ابن أحمد الانصارى اللورقى كتاب حجة الوداع لابن حزم . وأخذ الرعيني من شيخه ابن عصفور اجازة هذا الكتاب لما أجازه جميع ما يحمله . (برنامج الرعيني صفحة ١٧٢)

وكتاب حجة الوداع سفر لطيف طبع في دمشق (بتحقيق د . مسدوح حتى في دار اليقنة العربية) .
وبين أبو محمد بن حزم في مقدمة هذا السفر غرضه من تأليفه فقال إن الأحاديث كثرت في وصف عمل رسول الله ﷺ في حجة الوداع ، وأنت من طرق شتى وباللألفاظ مختلفة ووصف فصول من ذلك العمل القدس في أخبار كثيرة حتى صار ذلك سببا إلى تذرر فهم تأليفها على أكبر الناس ، وحتىظن قوم كثير أنها متعارضة . (صفحة ٤٣ - ٤٤) . قال : فلما تأملناها وتدريرناها بعون الله عزوجل لنا وتوفيقه إيمانا لا بحولنا وقوتنا رأيناها كلها متفقة ومؤتلفة ٠٠٠ لا إشكال في شيء منها حاشا فصلاً واحدا لم يلح لنا فيه فصل الحقيقة في أي التقليد هو منها فنبهنا عليه وهو : أين

صلى رسول الله ﷺ الظهر يوم النحر أبى أم بستة ٠٠٠ فلما وجدنا الآثار الواردة كما ذكرنا تكلفتنا ذكرها وترتيبها وضمها اختصار التكرار إلا ما لم نجد متداوحة عن تكراره لضرورة إبراد لفظة (ع) أو لفظ الرواوى على نفسه لثلاثة نحيل الرواية عنأخذناها عليه ٠٠٠ (ص ٤٤) .

ولمذا فإن ابن حزم رأى أن يذكر بكلفته ذكر عمله ﷺ والوقوف عليه كأنه شاهنه وأن يحكي ذلك منقوله من حين خروجه ﷺ من المدينة إلى مكة إلى حين رجوعه (ع) إلى المدينة . وقد جمل هذا فصلاً أول . وزاد بهذه فصلين .

الفصل الثاني : لذكر الأحاديث الواردۃ بكثينة ما ذكره من قبل من حکایة حجة الوداع .

والفصل الثالث : لنفي التعارض المتوجه في بعض الأحاديث .

قال « ولم نقتصر الحكم فيما لم تقف على بيانه ولا حررنا على القطع فيما لم يلح لنا وجهه ولا قضينا فيما لم نشرف على حقيقته » ص ٤٥ .

وجاء الكتاب بفصولة الثلاثة في نحو ٣٣٥ صفحة

٢ - القاضي عياض # ٤٦٦ - ٤٤٤

ترجم بالشیا في تاريخ الفكر الأندلسی للقاضی

(*) ترجمة ابنه محمد في التعريف بالقاضي عياض .
وخصمه الفري بكتابه : أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض (طبع منه ٣ ج) . وانظر فيه المجمع في شيوخ الصدق ٢٩٤ ، وقلائد العقبان : ٢٢٢ وبيفية المتنبي ٤٢٥ وقصيدة الاندلس ١٠١ ، ووفيات الائمه ٢ ١٥٢ .
 وخريدة القصر تسم المغرب ، والديباج المذهب : ١٦٨ .
 وانظر مقدمة الالماع . ومواضع مختلفة من برنامج الرعيني .
 ومتقدمة ترتيب المدارك (طبعة بيروت / طبعة الرباط) .



القضاء سنة ٥١٥ . ونقل الى قضاء غرناطة سنة ٥٣١
وكان الأندلس — منذ توحيد المرابطين للعديدين —
جزءاً من الدولة المرابطية . وولي بعدها قضاة سبعة
سنة ٥٣٩ .

ولما انتقلت الحال الى الدولة الموحدية ، وثارت
مدينة سبتة كان للقاضي وساطة لدى أمرائهم . وغرب
القاضي الى مدينة مراكش حيث لقي السلطان (يعني
الخليفة الموحدى) واستطعنه بشمر وشر . قال ابنه :
فوصل — يعني آباء — الحضرة (مراكش) والحال
متغيرة عليه (يعني للشك في ولايته ، فقد كان مقرباً
لدى المرابطين مظنوأً به التأييد لابن غانية) فاقام
بالحضرمة مدة الى أن اجتمع بأمير المؤمنين . وكان منه
من المنظوم والمنشور ما استطعنه بمحض رقه وعفا عنه .
وتحجم كتب التراجم على أنه مات مغرياً عن
وطنه ، سنة ٥٤٤ ، ودفن بمراكش . ونقل الباهي
رواية لم يسندها « وقال بعضهم » تشير الى احتمال
وفاة القاضي غيلة .

وله مؤلفات كثيرة قال فيها ابن الأبار (٥٧) « وله
تواليف مفيدة كتبها الناس واتقعنوا بها وكثير استعمال
كل طائفة لها ٠٠٠ ». عدّها ابنه في كتابه . منها : كتاب
الشفاعي تريف حقوق المصطفى (ستة أجزاء) بتجزئة
المؤلف . وكتاب اللامع في ضبط الرواية وتقدير
السماع .

وكتاب مشارق الأنوار على صحيح الآثار ،
وكتاب غنية الكاتب وبفيه الطالب في الصدور
والترسل .

وكتب للشفاعي ذيوع وانتشار . وكان في جملة
الكتب المروية ، المعنى بها عناية بعيدة ، كما تفهم من
كتب التراجم ، وما بين أيدينا من كتب برامج العلماء ،
ونخص منها برنامج الرعيني (صفحة ١٤١ ، ١٤٥ ،

عياض في جملة من ذكرهم من كبار المحدثين بالأندلس :
ونوه بعض مؤلفاته (٥٨) . وقد اعتنت كتب التراجم
الأندلسية والمغربية بالقاضي عياض ، كما ترجم له ابنه
في كتاب خاص ، نشره الدكتور محمد بنشريف تحت
عنوان التعريف بالقاضي عياض . (٥٩) واحتفلت به
كتب التراجم الشرقية . وقد لقيت كتبه سيدورة ورواجا
كبيرين ، وفي جملة تلك الكتب والمسنفات كتابه في
السيرة النبوية : الشفا بتعريف حقوق المصطفى .

وهو أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن
عرون البحصبي . قال أبو عبد الله محمد بن عياض في
التعريف بأبيه (٦٠) استقر أجدادنا في القديم بالأندلس
جهة بسطة (شمال شرق غرناطة) ثم انتقلوا الى
فاس ٠٠٠ واستوطن عرون سبتة ٠٠٠ واستقرت
الأسرة فيها . أما القاضي عياض فقد ولد سنة ٤٧٦
سبطة . وأخذ عن أشياخ بلده . ثم رحل الى الأندلس
سنة ٥٠٧ فدخل قرطبة ، وأخذ عن شيوخها وعلمائها
كابن عتاب (ت ٥٢٠) وكانت الرحلة في زمانه اليه
واعتماد أصحاب الحديث عليه ، وابن حمدين قاضي
الجماعة بقرطبة (ت ٥٠٨) وابن الحاج قاضي الجماعة
بقرطبة وكان من جلة الفقهاء وكبار العلماء ممدوداً في
المحدثين والأدباء ٠٠٠ غالباً بمعاني الأشعار والسير
والأخبار (ت ٥٢٩) وغيرهم من أعلام قرطبة ، وخرج
من قرطبة الى مرسيية سنة ٥٠٨ ولقي أبا علي الصدفي
من أئمة العلماء والمحدثين فسمع منه قال ابنه في ترجمته
فحصل له — يعني آباء — من الصدق مسموع كثير في مدة
سيرة . ولقي في رحلته هذه جماعة من أعلام الأندلس
وأجازه وجماعة من الأعلام غربي الأندلس (٦١) ، ومن
أعلام شرقي الأندلس (٦٢) ٠٠٠ وكان أشياخه من
شيخ .

وعاد الى بلدة (سبطة) يبحث وينظر . وولي



لسقا . وفيه سبعة وعشرون فصلا ، ٣ – فيما ورد من صحيح الأخبار ومشهورها تعظيم قدره عند رب منزلته وما خصه به في الدارين من كراماته . وفيه المائة عشر فصلا ، ٤ – وفيما أظهره الله على يديه من الآيات والمعجزات وشرفه من الخصائص والكرامات ، وفيه ثلاثة وثلاثون فصلا .

والقسم الثاني : فيما يجب على الانام من حقوقه عليه الصلاة والسلام ويترتب القول فيه في أربعة أبواب : ١ – في فرض الایمان به ووجوب طاعته واتباع سنته (في خمسة فصول) ٢٠ – وفي لزوم محبته ومحبته (في ستة فصول) ٣٠ – في تنظيم أمره وتوفيقه وبرأه ٤ – وفي حكم الصلاة عليه والتسلیم وفرض ذلك وفصيلته (في عشرة فصول) ٠

والقسم الثالث فيما يستحيل في حقه وما يجوز عليه وما يمتنع ويصح من الامور البشرية أن يضاف إليه . قال القاضي عياض وهذا القسم هو سر الكتاب ولباب ثمرة هذه الابواب . وجمله في بابين : في أحواله (ص) الدينية والدنيوية ٠

والقسم الرابع في تصرف وجوه الأحكام على من تقصه عليه السلام في بابين اثنين . وبعد أن عرض القاضي عياض أقسام كتابه قال : « تم الاقسام والأبواب وتلوح في غرة الایمان لمعة متيرة وفي تاج التراجم درة خطيرة تزيح كل لبس وتوضح كل حدس .

(*)وطبع كتاب (الشفا) طبعات عديدة في الشرق والمغرب ، وطبع مع بعض الشرح ایضا . راجع مجمع سركيس ، وتاريخ الادب العربي لبروكمان) ومن شروحة المطبوعة شرح الخلاجي . وقد كررت نسخة في الشرق والمغرب لانه كان يورق (يشخ) في المساجد تبركا .

وكلها يروي كتاب الشفا من طريق عده . ومنها برنامج الوادي آتشي كما نقل الدكتور عبد العزيز الأهماني في مقدمة برنامج ابن أبي الربيع (صفحة ١٩) ٠

وقد اعتنى العلماء والمحدثون والمشتغلون بالتاريخ بكتاب الشفا . ووضعوا عليه التعليقات والشرح والختمرات . ونظم بعضهم الشفا شعرا . ولا يمكن استقاء ذلك في مقالة بهذه . ويكتفي أن يرجع الدارس الى ما ذكرته كتب التراجم والتاريخ كما في كتاب بروكمان ، وكتاب حاجي خليفة كشف النقون (صفحة ١٥٢ – ١٥٣) ٠

وكان الاهتمام مشتركا من المغاربة والمارقة ٠

الف القاضي عياض كتاب الشفا ثانية للدعوة صديق أو عزيز ، واستجابة لداعي العلم وطلب اللثواب ، لكنني لما رجوت لي ولك في هذا السؤال والجواب من نوال أو ثواب بتعريف قدرة الجسيم وخلقه العظيم وبيان خصائصه التي لم تجتمع قبل في مخطوط ٠٠٠ . بادرت الى نكت سافرة عن وجه الغرض مؤدية من ذلك الحق المفترض اختلستها على استعماله ٠٠٠ . ترجمته بـ : « الشفا بتعريف حقوق المصطفى » ٠

ويتميز كتاب الشفا بالتبوب والترتيب ، وقصة أخباره متلائمة وسائله وخصائصه الى أقسام ، ووضعها تحت عنوانات مختلفة . وقد حدد القاضي منهجه في مقدمة كتابه ، ومضى عليها من اول كتابه الى آخره . قال : وحضرت الكلام فيه (الشفا) في أقسام أربعة : القسم الأول : في تعظيم العلي الأعلى لقدر هذا النبي المصطفى قوله " وفلا " وهو في أربعة أبواب ١ – في شأنه ، ٢ – في تكميله له تعالى المحسن خلقا وخلقها وقراره جميع الفضائل الدينية والدنيوية فيه



ويشفى صدور قوم مؤمنين ويصدع بالحق ويعرض
عن الجاهلين » (٤٠٠) .

وكتاب (الشنا) كتاب متوسط الحجم بالقياس
إلى كتب السيرة تقريباً، على أن القاضي ينص على أنه
يكتب مختصرًا « فبادرت إلى نكت سافرة عن وجه
الغرض مؤدياً من ذلك الحق المفترض ، اختلستها على
استجواب ، لما الرء بصفده من شغل البال بما طوفه
الإنسان من مقايد المحة التي ابلي بها فكادت تشغل
عن كل فرض وقتل » (٤١) .

وهو ، على كل حال ، لاحق بكتب السيرة
الشاملة ، أعني التي لا تقتصر من الحديث عن ناحية
واحدة من حياة الرسول الكريم صلوات الله عليه وآله وسلامه أو خصائصه
وশائله » الخ . وإن لم يتلزم القاضي عياض في
كتابة التاريخ الكامل لراحل حياته صلوات الله عليه وآله وسلامه ، والتزم بالمنهج
الذي رسمه في مقدمته : فعرف بسيرته العاطرة على
وجه الإجمال ، والتقت إلى التنوية بشخصه الكريم .
وأخلاقه العظيمة ، وشمائله المثل . ونقل من أخباره
صلوات الله عليه وآله وسلامه وأحواله والاتفاق صحابته حوله ، ووقف طويلاً
عند مجبه صلوات الله عليه وآله وسلامه وتابع سنته ووجوب مطاعته وتوقيره
وتنظيم أمره وتقدير الأحكام الفقهية في ذلك » الخ .
والقاضي — على تقوله الكلامية ومناقشاته المختصرة
والطلولة — يصرح بأنه لم يُؤلف كتابه للرد على
النكرتين ولا لتصب البراهين ، وإنما يؤلفه لأهل منه
المبنى لدعوته ، المصدقين لنبوته ليكون تاكيداً في
محبته له ، ومناء لأعمالهم ولزيدادوا إيماناً مع
إيمانهم . (٤٢)

واختتم القاضي كتابه بمثل ما بدأ به ، وجعل
بيان نجاح مقاصده التي تقصد إليها ، من ابراز
خصائصه ووسائله ، وذكر فضائله وبيان شرف
مسكاته صلوات الله عليه وآله وسلامه . (٤٣) .

ولم يصرح القاضي عياض بذلك ثبت مصادره
ومراجعه في مقدمة الكتاب أو في خاتمه ، ولكنه شر
ذلك في صفحات الكتاب . فكان يسوق الخبر ثانية
بسندة كاملاً ، وكان يختصر ذلك ثانية أخرى . وقد
يشير إلى النقل عن كتاب ويذكر إجازته أو ساعته
» . وكان ينص أحياناً على النقل من ابن اسحاق .
ويشير إلى النقول من كتب مختلفة في الأصول والتفسير
والحديث والسير والأخبار والتاريخ وكتب المتكلمين
ما يخص الثقافة الإسلامية الواسعة ، وما يربد
الكتاب الذي يؤلفه ويؤيد المنهج الذي يتبعه .

وربما يكتفي باشارة سريعة فلا يوضح اسم
الكتاب المقول ولا صاحب التكملة أو الرأي تقوله :
قد رأيت لم يمض السلف (الشنا : ١٦٠) وقد وقع
لبعض المفسرين (١٦١/١) وقد بعض العلماء (٤٦/٢)
وأضفنا بعض مأوه من مشاهير كتب الآئمة
» (١: ٢٠٥) . (٢٠٥) .

وظهر لك شخصية القاضي عياض في اتقائه ،
واختياره ، وفي منهجه الذي رسّمه وقرّره على ضبطه
ومتابعته ، وفي إبداء الرأي في قضايا مختلفة تخص
الفقه أو الأصول أو علم الكلام أو الأخبار .

كما ظهر شيوخه الذين رووا عنهم ، ونخص
منهم أبا علي الصدفي الشهيد وظاهر أعلام السير
والكلام والفقه والأصول في تقوله عنهم وروياته
المتعلقة بهم .

وعلى العموم يحرص القاضي عياض على رواية
الأخبار بأسانيدها ، ونسبة الآراء إلى أصحابها ، والنصح
على النقول من كتب يسمى أو يسمى أصحابها . وقد
يعدل عن هذا ، مكتنباً بشمرة الخبر أو باعتماده ،
وتحمله مسؤوليته وتوثيق نسبته . ولاشك في أن



كتب السيرة المختلفة كانت مائة أمامه بالإضافة إلى
كتب السنن ، وما يردها ، مما سبق الإشارة إليه .

٤ - أبو الريبع سليمان بن موسى الكلاعي * ٦٣٤ - ٥٦٥

هو أبو الريبع سليمان بن موسى بن سالم
العيري الكلاعي ، بشي ، وأصله من بعض ثورها
الشرقية . ولد سنة ٥٦٥ ودخل مع أهله بشيسي وهو
ابن عامين فنشأ بها وأخذ عن شيوخها . وذكر له
الباهي رحلات ورحلات في الأندلس والمغرب لقسي
فيها العلماء ^(١) . وذكر ابن عبد الملك المراكشي
الذين رووا أبو الريبع عنهم كابي بكر جزي وأبي بكر
ابن الجد وأبي الحجاج بن الشيخ وأبي عبد الله بن
زرقون ، وابن الفخار ، وأبي الوليد بن أبي القاسم
وتلقى كثيًّا من عدد من العلماء يجازاته مروياتهم
ومؤلفاتهم ٠٠٠ وروي عنه جماعة كابن الأبار وأبي
المطر بن عميرة (الشاعران الكاتبان) وخلق ذكرهم
ابن عبد الملك .

وكان شيوخه الذين لقيهم وروي عنهم وأجازوه
علماء الوقت في العلوم الدينية والدنيوية ، وكان هو
كما في الذيل ^(٢) — بقية الأكابر من أهل العلم بصمع
الأندلس الشرقي ، حافظًا للحديث ، ميزًا في تقدمه تمام
المعرفة بطرقه ، ضابطًا لأحكام أسانيده ذاكرًا لرجاله
وتوارييخه وطبقاتهم ، ريانًا من الأدب ، كتابًا بليغاً
شاعرًا مجيدًا ، خطيبًا مصفعًا . خطب بجامع بشيسي في
أوقات . واستقضى ، وعرف بالفضل والمداللة في
أحواله جم . ورحل إليه الناس متائفين في الأخد
عنه .

وقال الباهي في صفتة : كان حسن الهيئة
واللبس والمركب والصورة ، كريم النفس يطعم فقراء

الطلبة وينظم لهم ويتحمّل مُؤْوِتَمِم . وقال ابن الأبار :
وكان هو المتكلّم عن الملوك في مجالسهم والمبين عنهم
لما يريدونه على المنبر في المحافل .

وأشار في الذيل « كان رحمة الله من أولي الحزن
والجرأة والبسالة والاقدام والجزالة وثبات الجأش
والشهامة وحسن النية . يحضر الفزوّات ويشارب بنفسه
القتال ويلقي فيه البلاء الحسن . وآخرها الغزاة التي
استشهد فيها بالكافنة على المسلمين ظاهرًا إيشة
عمل بشيسي (من توابعها) على نحو سبعة أميال منها .
حضرها وحرض المسلمين وقد اختلقوها على قتال عدوهم
ورغبهم في مكانته ، ولم يزل متقدماً أمام الصفوف
زحفاً إلى الكفار مقبلاً على العدو غير مدبر ينادي
المهزمين : أعن الجنّة تهرون ! حتى قتل صابرًا محتجباً
غداة الخميس لشر بيمن من ذي حجة ٦٤٣ » ^(٣) .
وأشار في الذيل : ونقل مثل هذا الخبر الذي ترجو الأبي الريبع جيماء
ورثاء تلميذه ابن الأبار وابن عميرة المخزومي
وغيرها ^(٤) .

ولأبي الريبع الكلاعي مؤلفات كثيرة ، منها في الحديث

(*) ترجم له ابن الأبار في التكملة (ط مجرّط رقم ١٩٩١) وتحفة العام ١٢٩ وأعتبر الكتاب ٢٤٩ . وابن عبد الملك المراكشي في الذيل والتكميل ٤ : ٨٣ . وابن فرحون في الديباج : ١٢٢ والباهي في المربّة ١١٩ ، والرهيني في برنامجه ٦٦ ، والترمي في نفح الطيب ٧٣ : ٤ وذكره الحميري في الروض المغار : ٤١ . مذكورة مادة إيشة . وترجم له الذهبي في ذكرة الحفاظ : ٢٠٩ / ٤ ، والسيوطى في طبقات الحفاظ ٣ : ٥٦ .

(وانظر مقدمة الافتقاء — الطبعة الاوروبية — حيث
نقل ترجم الكلاعي من مختصر المصادر . ومقدمة الافتقاء
— الطبعة القاهرة —) .



مشيع الانساب ٠٠٠ وتنسir اللغات ٠٠ حتى لا يقى
الا الاخبار المجردة وخلاصة المفازي التي هي في هذا
المجموع المقصود المستمدة ٠٠٠

فهو اذن اعتمد على كتابي ابن عقبة وابن
اسحاق ٠ وكان اعتماده على ابن اسحاق اكبر ٠ الا
انه جرد منه استطرادات في الانساب واللغات وغيرها
تصريف قارئ السيرة في تقديره عن مجرها ٠

ثُم انه بدا للمؤلف بعد ذلك انه يزيد على هذا
المقدار^(٦٦) فأأخذ من مصادر أخرى ذكر منها: كتاب
المبعث للواقدي - ونص على اطلاعه على كتابه الآخر
في المفازي ورجم أسلوب ابن اسحاق - وكتاب الزبير
ابن بكار في أنساب فريش، وكتاب التاريخ الكبير لابي
بكر بن أبي خبيبة ، بالإضافة الى كتب غيرها « وكم
شيء » استحسنه من غير هذه الكتب فأطلقه في هذا
النظام^(٦٧) وخص كتاب شيخه الخطيب أبي القاسم
بن حبيش^(٦٨) في المفازي ، باشارة خاصة ، وأنه يعتمد
في الاخذ والتقليل حين يتطرق من مفازي رسول الله
عليه السلام الى مفازي الثلاثة الخلفاء^(٦٩) ٠

مجموعة ، وفي السيرة والترجم ، والله ، وله مؤلفات
في الأدب ، ووسائل ، وديوان شعر ، وبرنامج ذكر
فيه مروياته ، والمجمع من مشيخة أبي القاسم بن حبيش
احد أساتذته ٠

وفي كبه المشهورة : كتاب الاكتفاء ٠ وقد ورد
عنوان الكتاب في مقدمة المؤلف وفي الذيل وغيره من
المصادر « الاكتفاء بما تضمنه من مفازي رسول الله عليه السلام
ومفازي الثلاثة الخلفاء » ٠ ولكن طبع بعنوان : الاكتفاء
في مفازي المصطفى والثلاثة الخلفاء ٠ *

وقد قدم أبو الريبع الكلاعي في الاكتفاء بمقيدة
بين فيها منهجه ، وذكر مصادره التي اعتمد عليها وخطه
التي جرى فيها ٠ قال^(٦٥) : هذا كتاب ذهب فيه
إلى إيقاع الاقناع وامتاع النفوس والاسع باتساق
الخبر عن سيرة رسول الله عليه السلام وذكر نسبه وموالده
وصفتة ومبنته وكثير من خصائصه وأعلام نبوته
ومفازيه وأيامه من يوم مولده إلى أن استأثر الله تعالى
به وبقى روحه الطيبة إليه ، صلوات الله وسلامه
ويركتاه عليه ٠ مقدماً لذلك ما يجب تقاديمه ومتى
من ذكر أولياته المباركة بذلك ومحظياً بما يحسن عليه
وتسلمه ملخصاً جيئه من كتب أئمته هذا الشأن الذين
صرفوا إليه انتباهم واستوفوا فيه آناتهم كتاب
محمد بن اسحاق الذي تولى عبد الملك بن هشام
تهديه واختصاره ٠ وكتاب موسى بن عقبة الذي
استحسن الأئمة اقتصاده واختصاره وغيرها من
المجموعات ٠٠٠ ولكن علم المول على كتاب ابن
اسحاق : اياد اردت وتجربته من اللغات وكثير من
الانساب والاشعار قصيدة ، وعلى ترتيبه غالباً
جريت ، ومنزعه في أكثر ما يخص المفازي تحريرت
٠٠٠ الا أنه تخلله أشياء من غير المفازي تندمج عند العموم
من امتاعه ٠٠٠ ولذلك نورت أن أحذف ما تخلله من

(٦٦) طبع الجزء الاول بعنوان هنري ملسيه سنة ٩٢١
بالجزائر . ثم طبع جزآن (من اربعة اجزاء) بتحقيق
مصنفني عبد الواحد بطبعة الخانجي بالناصرة . ووعد
باتمامه ، وهو جدير بالطباعة طبعة كاملة متنفة .

(٦٧) ابو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن حبيش
الانصاري (٤٥٠ - ٥٨٠) مؤرخ ، عالم بالقراءات ، من
الحافظ . هو من اهل الريه وتولى القضاء بجزيره شقر ،
وبمرسمية ، وبها توفي . من مؤلفاته المفازي يقال السيوطي
(٢٨٤) انه في مدة اجزاء ، ومنه اليوم قطع
(مخطوطه) .

٠٠٠ واستطرد في ذكره مساعير شيوخه ثم قال، ولمل
مشيخة يقاربون الالف . ونقل الصندي في صفتة :
وكان طيب الاخلاق بساما صاحب دعابة ولعب . وكان
صدوقا في الحديث حجة فيما ينطلق له بصر نافذ بالن
خبرة بالرجال وطبقاتهم ومعرفة بالاختلاف ويدعولى
في علم اللسان ومحاسنة جمة .

قال : وكان صحيح القراءة سريعا ، سريع
الكتابه . كتب ختمة في جمه . وكان يكتب السيرة
التي له في عشرين يوما وهي مجلدان كبيران ويسرع
بكتابة الخطين المغربي (الأندلسي) والمرقفي . وكان
صحيح المقيدة جيد الذهن يفهم به النكت العقلية
ويسارع إليها ولكنه جمد عقله لاتصاله به على
النقل ^(١) .

وكان يده مع مشيخة الظاهرية (بمصر) مدرسة
أبي حلقة على بركة الفيل ومسجد الرصد وخطابة
جامع الخندق . وله رزق . وله في صندوق راتب ، وفي
حل فيما أظن ^(٢) .

وقد أحضر كتابا جمة ثمينة ، أغلبها أحضر له من
تونس في جملتها تاريخ ابن أبي خيثمة والمحلى لابن

(*) ترجم له معاصره وصديقه صلاح الدين الصندي
في الواقي بالولنيسيات ١: ٨٩ - ٢١١ . وابن شاكر في
الفوات ٢: ٣٤٤ وابن الاثير في البداية والنهاية ١٤: ١٦٦
وابن حجر في الدرر الكامنة ٤: ٣٣٠ والسبكي في طبقات
الشافية ٦: ٢٩ وابن تفري بريدي في التجوم الزاهرة
٩: ٢٠٣ والشوکانی في البدر الطالع ٢: ٢٤٩ وابن
العماد في الشذرات ٦: ١٠٨ .
وانظر أيضاً : ثبت شيخ الاسلام زكريا الانصاري
الورقة ٣٤ . ومقتدة عيون الائـر .

وذكر أبو الريبع الكلاعي مقصده من هذا
التاليف وعينه في نقطتين :
ـ أن المراد فيه بالقصد الاول وجه الله
 سبحانه وتعالى .

ـ والقصد الثاني الرغبة في ايناس الناس بأخبار
نبיהם ^(٣) . فان من قرأ سيرته ^(٤) وجده فيها
القدوة الحسنة : فيستجزل ثواب الفرج بنصر الله ،
ويصبر على المحن والشدائد ويصطبر للشدائد ،
ويتأدب بأدابه ^(٥) .

ولخص في مقدمة الاكتافا (طبعة القاهرة) صنيع
أبي الريبع الكلاعي في كتابه بأنه ثانى في الاختيار
والترتيب واستكمال النقص وجمع المزايا ، كما يفهم
قارئه ، مقدمة المؤلف ^(٦) . وكان الكلاعي لا يتخل
برأيه الا عندما تختلف الروايات ليفصل فيها ويرفع
الاشكال . وأنه ربما فصل بين بعض الاحاديث
المتشابهة لضرورة ٠٠٠ الخ

٥- ابن سيد الناس اليعمري # ٦٧١ - ٧٢٤

هو محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن سيد
الناس اليعمري الريعي . أصل سلفه من الاندلس .
وكان جده الاعلى قد نزل الاندلس في الايام الاولى
واسكته بلج بن بشر أبذه جيان لشبيهها بنفتح الشام
اصلهم القديم . وكان جده أبو بكر محمد خطيب
المسجد الجامع بتونس ، وعده بالنشا في متابعي مذهب
بن حزم الظاهري ^(٧) .

ولد أبو الفتح محمد بن سيد الناس في القاهرة
سنة ٦٧١ . قال الصندي : وهو من بيت رياضة وعلم
(يشير الى مكانة اسرته بالأندلس ، باشبيلية) عنده
كتب كثيرة وأصول حيدة . سمع وقرأ وارتحل وكتب
وصنف وحدث وأجاز ، وتردد بالحديث في وقته .



حزم والتمهيد والاستيعاب لابن عبد البر والاستذكار له ، وغير ذلك .

وصنف « عيون الاثر في فنون المذازي والسائل والسير » ، ومحضره الذي سماه « نور العيون في سيرة الامين المؤمن » . ومن مصنفاته :

تحصيل الاصابة في تحضير الصحابة وكتاب بشري الليب بذكرى الحبيب (٢٣) ، ومنح المدح والمقامات العلية في كرامات الصحابة الجليلة . وله شعر كثیر .

وقال ابن قاضي شهبة فيما نقله ابن الصماد : سمع من الجم الفقير وتفقه على مذهب الشافعی وأخذ الحديث عن والده وابن دقیق العین ولازمه سنین كثیرة وتخرج عليه وقرأ عليه أصول الفقه وقرأ النحو على ابن النحاس ٠٠ . وكانت له رحلة الى دمشق .

اما كتابه في السيرة فهو : عيون الاثر في فنون المذازي والسائل والسير وقد فيه الى ان يكتب السيرة بحيث يتبع فيها اطالة المکثر واخلال المقل . ومع ذلك فانه يقول عن سبقوه « فليس لي في هذا المجموع الا حسن الاختيار من كلامهم والتبرك بالدخول في ظالمهم » (٢٤) . وأنه انا يجمع المفرقات . ينظمها ويختار منها . وهو بلا شك يعتمد الروايات نصحيحة ، ويأخذ بالاخبار الموثقة ويتدخل حيث يمكن له ان يدي رأيا او يناقش قضية .

وأوضح منهجه الذي اتباه من الاختصار والايجاز « سالكا في ذلك ما اقتضاه التاريخ من ايراد واقعة بعد أخرى لا ما اقتضاه الترتيب من ضم الشيء الى شكله ومثله حاشا ذكر أزواجه وأولاده عليه السلام » ، فانه لم يقت ذلك على ما اقتضاه التاريخ (من تسلل الواقع) بل أتباه به باب المذازي والسير

من باب العلى والسائل ، الا تزووجه السيدة خديجة (ع) لما وقع في أمرها من اعلام النبوة .

وأضاف الى ذلك تقدما من الاشعار وأشياء في الانساب . ولم يقل الكتاب بذلك الانسانين وكتب السنن والسير والمصنفات المختلفة ، بل اكتفى ببيان ذكر كل مجملا في آخر الكتاب (وستتحدث عنها في مصادره) . أما في الفوائد الملتقطة والاجراء المترفة فكان يذكر أنسانيه فيها في مواضعها . وأما في الانساب فكان يذكرها مرة ثم لا يكررها اكتفاء برموز يتعيل عليها اختصارا (٢٥) : مثل (س) للسابقين الاولين و (ه) للمهاجرين الاولين - الى ارض الجنة - الخ .

مصادره : قال ابن سيد الناس : وعندنا فيما نورده على محمد بن اسحاق ، وبنه الى ملاحظة لطيفة فأضاف « اذ هو المسدة في هذا الباب لنا ولغيرنا » . الا أن ابن سيد الناس كان يذكر خبر ابن اسحاق اذا ورد عند غيره منددا ، ترجحاً لمكان الاستناد . ونقل عن الواقعى . وعقد فصلا مطولا للحديث عن الرجلين ليان حالمها * .

وفي خاتمة الكتاب تحدث المؤلف عن الانسانين التي وقعت له من المصنفين الذين اعتمد كتبهم في تأليف سيرته (٢٦) . وذكر من الكتب : صحيح البخاري ، وصحیح مسلم ، وسنن أبي داود وكتاب الجامع للترمذی وسنن السائب وسنن ابن ماجه . قال : وما كان في الكتاب عن ابن اسحاق ضمن السيرة النبوية التبوية من رواية ابن هشام وتهذیبه . وما كان فيه من كتاب المذازي عن موسى بن عقبة فعن الامام عز

(*) وكان السهيلي قد يتعريف حال ابن اسحاق (الروض الافت ١ : ٤ - ٥) .

عني بها جماعة اختصاراً ، وقطعاً وشرعاً مما يطول
التفصيل فيه ، في هذا المقام .

واختصر المؤلف كتابه (عيون الآخر) بمختصر
لطيف سماه نور العيون في تلخيص سيرة الأمين
المأمون . وقال في مقدمته: لما وضعت كتابي المسما
عيون الآخر في فنون المذازي والسير ★ متمناً في بابه
مغنية عنا سواه لقادسي هذا العلم وطلبه رأيت أن
الشخص في هذه الأوراق منه ماقرب مأخذته ونقله
وسهل تناوله وحمله ليكون للمبتدئ، تبصرة والمتعمق
تذكرة وسميتها « نور العيون في تلخيص سيرة الأمين
والمأمون » .

ونور العيون ملخص سريع ، شاف ، على ترتيب
وقائع السيرة النبوية بأسلوب مقبول ، وعرض دقيق .

ابو القاسم السهيلي # ٥٠٨ - ٥٨١

هو أبو القاسم ، وأبو زيد ، عبد الرحمن بن
عبد الله ٠٠٠ بن فتوح وهو الداخل إلى الاندلس ،
السهيلي الغنوي . مولده بقرية سهيل من أعمال

(*) طبع كتاب عيون الآخر بعنابة الاستاذ حسام
الدين التدمي معتقداً على اصول جيدة ومساعدة (راجع
مقدمته) سنة ١٤٥٦هـ . وطبع كتاب نور العيون سنة
١٤٥٤هـ بعنابة رضوان محمد رضوان . طبع كلاهما في
القاهرة .

(**) ترجم له الضبي في بقية الملتمس ٣٥٤ . وابن
تحية في المطلب ٢٢٠ . وابن سعيد في المغرب ٤٤٨ : ١ . وابن
خلكان في الوفيات ٢ : ٣٢٣ . وابن غردون في الدبياج ١٥٠ .
وابن ثفري بردبي في النجوم الزاهرة ٦ : ١٠٠ . وابن
العماد في الشفرات ٤ : ٢٧١ . والمصدري في نكت المبيان
١٨٧ . وصفوان بن ادريس في زاد المسائر ٩٦ .

الدين المازري وجماعة . وذكر من مصادره أيضاً
كتاب المازري لابي عبد الله القرشي . وكتاب
الطبقات الكبير لابن سعد . ومارواه عن الطبراني
وابي يعلى الموصلي وأبى بشر الدولابي وأبى عروبة
العراني بأسانيد ذكرها . ومن مصادره أيضاً معجم
أبى الحسين الفساني .

ومن مصادره: الدرر في احتصار المذازي والسير
لابن عبد البر . وكتاب الانساب للرشاطي والشفا
للقاضي عياض والروض الافت للسميلي . وطرر كتبها
الشلوبيين على هامش السيرة الشامية على نسخة بخط
جده أبى بكر .

وهذه الكتب والتعليقات جميعاً أندلسية .

وقد تحدث الدكتور شوقي ضيف في مقدمة
(الدرر) عن استفادة ابن سيد الناس من كتاب ابن
عبد البر ، قال: ولعل أهم من خلقوه ابن عبد البر افاده
من سيرته ابن سيد الناس (ت ٧٣٤) فقد جعلها نصب
عينيه في سيرته النبوية المطولة التي سماها عيون الآخر
في فنون المذازي والشمائل والسير . وفيها ينقسّل
فصولاً وفقرات كثيرة عن ابن عبد البر مصححاً باسمه غالباً
وقد راجعه كثيراً في أسماء الاعلام وفي جوانب مختلفة
من مادة سيرته وآرائه أو كتابه . وقال ده ضيف في مكان
آخر: وقد كرت نقول أن سيد الناس عن سيرة ابن
عبد البر كثرة مفرطة (٧٧) ، ودائماً يرجع إلى كتابه
الاستيعاب في موازنته ومراجعته . بل إن ده ضيف
يرى أن سيرة ابن سيد الناس تحولت إلى ما يشبه
نسخة من كتاب الدرر الخ .

وقد أتى معاصره ابن سيد الناس على كتابه ،
وشاع في الناس . وكان يكثر من كتابه بخطه . وكان
في جملة مرويات شيخ الاسلام ذكرها الانصارى من
كتب السيرة ، كما ذكر في فهرسة شيوخه (٧٧) وقد



وقد رواه عنه جماعة من تلامذته في الأندلس والمغرب . وكتب للروض الأنف السيرورة بعد مؤلفه ، إلى زماننا هذا ، قال بال شيئاً في تاريخ الفكر الأندلسي (٣٩٨) ومن اشتهر بالتحقق في علوم الحديث عبد الرحمن ابن عبد الله السهيلي : وكان غالباً بالقراءات واللغات والعرية وضروب الآداب ، حافظاً للسير والأخبار والأنساب إماماً في الحفظ والذكر والأدراك ، مقدماً في الفهم والفلنة والذكاء ، له حظ وافٍ من قرض الشعر والنصرة في فنون من العلم يغلب عليه علم العرية والقرب وأشتهر كتبه الروض الأنف في شرح السيرة لابن إسحاق . وهو أجل توايته ، دلّ به على سعة حفظه ومتانة علمه .

وذكر السهيلي في مقدمة الروض الأنف أنه يشرح سيرة ابن إسحاق برواية ابن هشام ، وذكر طرقه في روایتها ، وأنه بدأ الشرح إملاءً في محرم سنة ٥٩٦ وفرغ منه في جمادى الأولى من ذلك العام .

وقد أفاد في كتابه قارئه من : فوائد المعلوم والأداب وأسماء الرجال والأنساب ومن الفقه والنحو والاعراب ، مما استخرجه من عشرين وستة كتاب ، قال : هذا « سوى مأتجبه صدرى وفتحه فكري وتوجه ظري ولقتة عن مشيختي من نكت علمية لم أُسرق إليها ولم أزحم عليها ٠٠٠ مع أنني قللت الفضول وشدت أطراف الفصول » (٢٩) .

ويمكن إيجاز عمله بخمسة أمور ، العناية بالنظر الغريب ، وشرح الكلام المستنقع ، وإعراب القامض ، والحديث في بيان النسب وتنمية الأخبار الناقصة (٣٠) . وقد ذكر السهيلي في كتابه أسماء بعض مصادره وأغفل كثيراً منها . وما ذكره تفسير بقى بن مخلد ، وبعض كتاب ابن العربي ، وأبي علي القالي وابن دريد وأبي الفرج الأصفهاني ٠٠٠ الخ .

مائة وعشرين بحالة ، وتعلم ، وظهر . وسمع من كثير من أهلها ورحل إلى أشبيلية فلزم القاضي أبا بكر ابن العربي وأخذ عنه كثيراً من الحديث والاصناف والتفسير ، وسمع من غيره من مشاهير أهل أشبيلية . وبرع في علوم القرآن والحديث والنحو والصرف واللغة والآداب .

كان مولده سنة ثمان وخمس مائة ووفاته سنة أحدى وثمانين في مدينة مراكش وله الآيات المشهورة : يا من يرى ما في الصير ويسمع
أنت المسد لكل ما يتوقع

قال تلميذه ابن دحية ، في الطرب (٢٨) : وتصانيفه كثيرة فنذهب إليها : كتاب « الروض الأنف والشرع الروى في تفسير ما اشتمل عليه حديث رسول الله ﷺ وأحتوى » . وله أيضاً : « التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء الأعلام » . قال ابن دحية سمعت عليه مسألة رؤبة الله تعالى في المنام ورؤبة النبي ﷺ . ومن كتبه (تتابع الفكر) ، وغيره .

قال ابن خلkan : وأشعاره كثيرة ، وتصانيفه متعددة . وكان بيلاه يتسع بالخالف ويتبلي بالكاف . حتى نهى خبره إلى صاحب مراكش (الإمير المودي) فطلب إليه وأحسن إليه وأقبل إليه بوجه غاية الاقبال ، وأقام بها نحو ثلاثة أعوام .
ومراكش كانت وفاته .

وذكر الرععاني في برنامجه عدداً من الذين رووا عن السهيلي كتابه الروض الأنف من الإعلام (أنظر مثلاً ص ٥٢ وغيرها) .
كان كتاب الروض الأنف من الكتب الذائمة أيام المؤلف ، وبه اشتهر دون غيره من الكتب والمؤلفات ،



والكتاب مرجع ضخم ، هام لإيضاح مسائل من السيرة وشرح كبير من غرائبها ومعانى أشعارها ، ولإضافة فوائد مختلفة قيمة في النسب واللغة وال نحو والأدب والخبر .

وقد طبع «الروض الألف» بهذا العنوان (قابل
بما قاله ابن دحية من عنوان الكتاب) . وطبع بهامشة
سيرة ابن هشام في جزأين ١٣٣٢ هـ / ١٩١٤ م
بالقاهرة .

ابو نفر الختنسي (★) - ٥٣٣ - ٦٠ هـ

هو أبو ذر مصعب بن أبي بكر محمد (المعروف
بابن أبي رَكْبَ) بن مسعود بن عبد الله بن مسعود
الخشنبي ، قال مؤلف الذخيرة السنية (٤١) : الأستاذ
المقرئ ، النحوي الجليل القدار . أصله من جيَان
(بالأندلس) روى عن أبيه وعن أبي بكر بن طاهر ،
وتجول بالعدوة والأندلس ، وطلب العلم واعتنى به
وقتَه . وروى بفاس عن جماعة ٠٠٠ وروى بقرطبة
عن ابن بشكوال وغيره ، وروى بججاية عن عبد الحق
الأذري الأشلي وكب إليه الإمام أبو الطاهر السقفي
وابو محمد الدیماجی .

قال « وكان رحمة الله أحد الأئمة المتقدمين ضبطا وتقيدا ، وأحد المتميذ عليهم في علم اللغة والأداب ، أمااما في العربية ، عالما بكتاب سبويه » . ووصفه بالفضل والدين والورع .

وأقرأ أبو ذر الخشن بيلده جيتان ، وبيجاية وإشبيلية وفاس وبها استقر الى أن توفي سنة ٦٠٤ وقد تولى الخطبة بجامع إشبيلية مدة ، وكان يقرئ العربية بها أيضا . وولي القضاء للمنصور المودي بيلده جيان . ونقل في الذخيرة أيضا أن الإمام الحافظ

الزاغي كان يقدمه في العربية وفي علم الحديث ويقول:
كما كان لا يحسن أحد أن يمسكها في يده مع أبي ذر:
وهما مسلم (الصحيح) والسير، يعني في الف庇ط
والتفيد، وكان مع ذلك راوياً لكتب كبيرة في فنون
شتى من العلم.

وله إملاء" حسن على كتاب السير .
وله شعر رائق في فنون شتى .

وترجم له ابن البار في التكملة ، وذكر أنه سمع عن علماء (سماهم) بجيان وتلمسان وبجية وفاس ، قال وكان رئيساً في صناعة العربية غالباً بها قائماً عليها درسها حياته كلها ورحل الناس إليه فيها مع المعرفة بالآداب واللغات والأخذ بحظ من قرض، الشمر .

وكان أبو بكر محمد من علماء الأندلس ومحدثيها،
وله فهرسة (برنامجه) جمعه ابنه مصعب (أبوذر)،
ذكر ذلك أستاذنا الدكتور عبد العزيز الأهوازي في
مقدمة عمله *قاموس لغة العجم* (صفحة 11).

شرحه على السيرة : كان أبوذر الخشن كما تذكر

(*) ترجم له ابن الإبار في الكلمة (طبعة مصر / ٢٠٠٧) وصاحب الذخيرة السننية (٤٢) ، وأبو بحر مفهون في زاد المسافر (١٤٧) . وانظر برنامج شيوخ الراغيفي صفحة (٤٥) ، وبرنامج ابن أبي الربيع صفحة (١١) . وترجم له ابن سعيد في المغرب (٥٥) والسيوطى في البغية (٢) وابن سعيد في الرأيات (١٣) وابن العساد في الشذرات (٩) .

وترجم الغبى لابه ابى بكر صفحه ١٢١ . وبأتوت
في معجم الادباء ٥٤ / ١٩

والسيوطى فى بغية الوعاء ١ : ٤٤ وتوفى ابوه
أبو بكر سنة ٥٤٤ .

الكتب القليلة التي ترجمت له بارعاً في اللغة وعلومها ، كما يذكر ابن الأبار أنه قد بد صيته في الإقراء والتدريس . وكان على خطة فذة في التدريس « فقد من تلاميذه البسط في السؤالات وقصرهم على ما يلقي عليهم دون استزاده ، ولم يكن ذلك لأحد من أهل عصره ! »^(٨٢) .

وقال ابن الأبار أيضاً : وله تأليف في شرح غريب السير لابن إسحاق ، وتأليف صغير في الموضوع . وقال السيوطي : من تصانيفه : الإملاء على سيرة ابن هشام . وقد طبع الكتاب بعنوان : (شرح السيرة النبوية رواية ابن هشام على أصحابها أفضل الصلاة والسلام) ، وذلك سنة ١٣٣٩ هـ بمصر . استخرجه وصححه بولس برونزلي .

ونقرأ في مقدمة المؤلف : هذا إملاء أملته من حفظي بلطفني على سيرة رسول الله ﷺ التي تقدم محمد بن إسحاق إلى جمعها وتلخيصها أو أذن سمع هذا الكتاب مني ، وقيدت روایاته بطرقها عنى ، قصدت فيه شرح ما استبهم من غريبه ومعانيه وإيضاح ما التبس تقديره على حامله وراويه ، مع اختصار لا يغفل وإيجاز يتم به البيان ويستقل ، لم يقصد فيه قصد التأليف فتعد أطناه ولا ينحو به نحو التصنيف فتمهد فصوله وأبوابه ، وإنما هي عجالة الخاطر وغنية الناظر .

ثم عرض عليَّ هذا الإملاء بعد كماله فتصفحته ، ورُغِبَ في حمله عني فبعد لأي ماذنت في ذلك وأبحثت . والله تعالى ينفعنا بما قصدناه ويجعل ثوابنا على ما ابتعيناه وتوخيناه ٠٠٠ الخ » .

ويظهر طابع الإملاء على الكتاب ، وكان ميّض

الكتاب (أو جامعوه) يحرص على عبارة « حدثنا الشيخ الفقيه أبو ذرٌّ » مرأة بعد مرأة من أول الكتاب إلى آخره .

وقد جعله الناشر في جزأين . غير أن المؤلف قسم كتابه على عشرين جزءاً ، وأثبت الناشر تجزئته المؤلف ، فقد كان ينص على نهاية الجزء وببداية الذي يليه .

وشرح أبي ذر الغنثني على السيرة يهتم بشرح الغريب من اللغات والأسماء والأعلام . وشرح الموصى من الشعر الذي ذكره ابن إسحاق . وإضافة إضافات من العربية والنحو والصرف وما يتعلق بذلك . وكان ينسب الآيات أو ينبه على روایات في نسبتها .

وكان يذكر أحياناً بعض المصادر وأسماء بعض المؤلفين مثل قاسم بن ثابت صاحب الدلائل والخطابي ، والواقشي ، وتسير ابن هشام لغريب السيرة والنثاش ، وابن عبد البر القرطبي ، وموسى بن عقبة ٠٠٠ الخ . وكان يرجع إلى كتب التفسير والقراءات والأنساب ، ويصحح بعض الأنساب (صفحة ٩٩ مثلاً) ، وينقل عن كتب السنن والسير لإيضاح النص أو معارضته أو إيراد روایات أخرى . (اظر مثلاً ٢٣٦)

وربما نقل عن شيوخه مفلاً الاسم ، وقد يذكره (راجع مثلاً ١٢٦) .

ولا شك في أن أبا ذر الغنثني كان يرجع إلى روایات السيرة ، سوى رواية ابن هشام ، وإلى الكتب المعتمدة في السنن والسير ، وأن التراث الأندلسي بخاصة كان تحت يده أو في المروي المحفوظ ، كما مر مثلاً من ذكر قاسم بن ثابت والواقشي وابن عبد البر وغيرهم بالإضافة إلى شيوخه الذين عاصرهم وأخذ عنهم .

وكتاب أبي ذرٌّ ، يدل على علم غزير واطلاع



واسع ومرفعة بفنون اللغات والأداب والأخبار والأنساب
والسير ، وعرف له معاصره هذه الخصائص قدموه
وأخذوا عنه .

وبعد

فهذا ما يسر الحديث فيه من (السيرة النبوية في
التراث الأندلسي) قصدت فيه الى رسم الخطوط
المربيضة ، وإثارة الاتباه الى أهمية الموضوع ، وأن
“أصب من المعلومات ، والاضافة ، والتحليل ، ماتطيةه
مقالة في مجلة ، وما أستطيعه من النظر في الكتاب
المطبوع المكن الرجوع اليه على وجهه .

وأمل أن أتابع هذا الموضوع باستيعاب ، وتفصيل
وزيادة تحليل ، أو أذينهض به مهتم بالتراث الأندلسي ،
محب له .

والحمد لله رب العالمين .

□ □

حواشير وحالات :

- (٨) المصدر نفسه ١٤٨ .
- (٩) برنامج ابن أبي الربيع ٤٧ .
- (١٠) المصدر السابق .
- (١١) مقدمة التحقيق كتاب الدرر للدكتور شوقي ضيف .
- (١٢) الاكتفأ للكلاعي ٥٥ طبعة اورية . وقد بقى منه
قطع في لندن ومدريد .
- (١٣) عيون الآخر ٢ : ٢٤٧ .
- (١٤) نفح الطيب ٥ : ٤١٤ .
- (١٥) الذيل والتكميلة ٢/٥ : ٢٧٨ .
- (١٦) الذيل والتكميلة ١ : ٣٥٦ .
- (١٧) نفح الطيب ٢ : ٢٠٧ .
- (١٨) عنوان الدرية ٢٢٨ .
- (١٩) نفح الطيب ٦ : ١٤٥ .
- (٢٠) الذيل والتكميلة ٥٢١/٢ .
- (٢١) عنوان الدرية ٢٢٨ .
- (٢٢) نفح ٢ : ٥٩٩ : الذيل والتكميلة ٢ : ٥٢١ .
- (٢٣) عيون الآخر ٢ : ٢٤٧ .
- (٢٤) طبقات اللغويين وال نحوين للزبيدي ٢٢٩ .
- (٢٥) تاريخ الفكر الاندلسي ٢٨٩ .
- (٢٦) طبقات الزبيدي ٢٢٩ .
- (٢٧) الذيل والتكميلة ١/١ : ٣٥٦ .
- (٢٨) المصدر نفسه ٢/١ : ٥٢١ .
- (٢٩) الاعلام للزرکلی ٧ : ٢٦٣ .
- (٣٠) فهرسة ابن خير ٤٢٠ .
- (٣١) برنامج شيوخ الرميمي ١٦٩ .
- (٣٢) جذوة المتتبس ٣٤٦ .
- (٣٣) الصلة لابن بشكوال .
- (٣٤) المغرب ٤٠٧ : ٢ .
- (٣٥) جذوة المتتبس ٣٤٥ .
- (٣٦) وفيات الاعيان ٦ : ٦٩ .



- (٣٧) الجدوه ٢٤٢ .
- (٣٨) طبع بعنوان بهجة المجالس وآنس المجالس وشذوذ الذاهن والماجس .
- (٣٩) يعني كتاب الاستيعاب في معونة الأصحاب .
- (٤٠) الدرر ٢٩ .
- (٤١) مقدمة تحقيق الدرر : ١٣ .
- (٤٢) المصدر نفسه . (٤٢) مكرر حقق الدكتور سهيل زكار قطعتين هامتين من سيرة ابن إسحاق برواية ابن بكر وطبعه في دار الفكر (بيروت ١٩٧٨) بعنوان كتاب السير والمغاري .
- (٤٣) مقدمة الدرر ٦ .
- (٤٤) راجع المقدمة .
- (٤٥) النفع ١ : ٢٣٧ .
- (٤٦) عصر سيادة قرطبة ٢١٨ . (٤٦) مكرر (المصدر نفسه .
- (٤٧) جنوة المتقبس ٤٧ .
- (٤٨) انظر مثلاً — ١٤ من جوامع السيرة .
- (٤٩) مقدمة جوامع السيرة : ٥ .
- (٥٠) الفصل ٢ : ٩٠ ، وراجع المقدمة ملحة ٦ .
- (٥١) مقدمة الدرر : ١٥ .
- (٥٢) تاريخ الفكر الاندلسي ٣١٧ — ٣١٨ .
- (٥٣) التعريف بالقاضي عياض لولده أبي عبد الله محمد .
- (٥٤) التعريف بالقاضي عياض ٢ — ٥ .
- (٥٥) التعريف .
- (٥٦) نقل القاضي النباهي في المرتبة إن القاضي (عياض) سكن بمالقة مدة وتبول بها أملاكاً .
- (٥٧) الشها ١ : ٤ — ٥ .
- (٥٨) الشها : ٢٠٤ .
- (٥٩) الشها ٢ : ٣٤٤ .
- (٦٠) المرقبة ١١٩ .
- 

الأثر العَرَبِيُّ الشَّرِقيُّ فِي الْقَانُونِ الرُّومَانِيِّ - الْلَّاتِينِيِّ

المحامي أحمد عسنان سبانو

والقدماء على فراق ، الا ان الحقيقة والواقع ان حضارتنا واحدة ومنشانا بالاصل واحد ، عالمنا العربي وشعبنا واحد ، وباوئنا مهما قسحوا او بعدوا ، هم سكان ارضنا العربية ، وتراثهم تراثنا .

الا ان اضاعتني تلك الفترات القديمة والمتوسطة القدم في تاريخنا باعد بين التراث مما اوجب علينا البحث والتعمق لتعيد الحق الى نصابه ولنحفظ تراثنا المهدد بالضياع ، ولتعرف جماهيرنا صفحات مشرقة من تاريخنا الذي ضمته مناحف ومعاهد التراث الأجنبية ومكتبات الغرب ، من هذه الصفحات ندرس الان الاثر العربي الشرقي في اهم منجزات الرومان الحضارية ولعلها الوحيدة الا وهي المنجزات القانونية الرومانية لنعرف حقيقة « رومنتها » وتأثير اجدادنا العرب فيها .

تسهل دراسة روما والشعب الروماني لوضوح التأسيس ووضوح التأثير الاجنبي ، ووضوح التكوين .

فقد نشأت مدينة روما من اتحاد قبائل

على ارض الوطن العربي كان فجر الانسانية ، وأول حضارة عرفها العالم تلك الحضارة التي هي بحق ام الحضارات العالمية . انها حضارة عربية سامية بدأت مع فجر الانسانية واستمرت دون انقطاع حتى هذا العصر وستبقى مستمرة ما دام على هذا الكوكب نبضة حياة .

ان حضارتنا العربية العريقة تعود الى الاف السنين الغابرة الا ان دراستنا لتاريخ حضارتنا ما زال في بدايته وقد سبقنا الى هذه الدراسة علماء الغرب فاللهم ووضوا النظريات والتفسيريات بما يرضي هواهم فقسموا حضارتنا : وقربوا بعضها وابعدوا بعضها ، هنا حضارات سامية ، وهنا غير سامية ، هنا حضارة تعود لاقوام هاجرت من الجزيرة العربية ، وهنا اقوام لا نعرف اصولهم وفصلهم ، وهدفهم في ذلك واضح ومعلوم .

من ذلك كانت نظرتنا للتراث متضاربة مختلفة ، في بعضها يعتبر تراثنا هو التراث العربي الاسلامي ، وبعضهم يعيده للوراء قليلاً او كثيراً ، بعضهم يقول قد انقطعت صلتنا بالماضي ، فنحن

وهيئتين وكل هذه الشعوب كان للعرب والفينيقيين خصوصاً أثر كبير على حضارتهم . وبهذا الدور نشأت أقدم النصوص الحقوقية المكتوبة ومنها اللواح الاثنا عشرية عام ٤٤٩ ق.م وكانت الحقوق الرومانية تطبق على اترومانيين . وكان القانون المحلي هو الذي يحكم الشعوب المجاورة والتي أصبحت مع الأيام مستعمرات رومانية . ونتيجة اختلاط الحقوق الرومانية مع أنظمة الحقوق لدى الشعوب الأخرى جرى تطور كبير في الحقوق الرومانية جعلها تبتعد عن المبدائية والشكالية وأصبحت أكثر قدرة على استيعاب السائل المستجدة والمتطورة للمظاهر الحضارية .

إلا ان السمة الظاهرة هي أن الرومان لم يقوموا بالنقل الحرفي للفانون الاجنبي . بل طوروا مؤسساتهم الحكومية بما يتحاشى مع ظروفهم الحضارية .

٣ - العهد العلمي من عام ١٥٠ ق.م وحتى عام ٣٠٢ ب.م في عهد الامبراطور قسطنطين وهو أزهى العهود الحقوقية الروحانية وبه ظهر اعظم فقهاء الرومان « فقيه العهد العلمي » وهم جميعاً من أصل فينيقي عربي وأثارهم هي التي سميت فيما بعد « مدونة جوستينيان » كما سترى .

٤ - عهد الامبرطورية العظمى (٣٠٢ - ٥٢٥) من عهد الامبراطور قسطنطين الى موت الامبراطور جوستينيان ولم يكن للابداع دور في هذا العهد بل كانت سمات النقل والتلخيصية على مؤلفات العهد العلمي ، ولكن في هذا الدور اكتمل التجميع القانوني للمؤلفات والدستير في مجموعات وصلت

من المهاجرين الهندو - او رببين الذين تجمعوا بين نهر « التiber » ونابولي وسموا باسم اللاتينيين وجاوروا قبائل السابيفيين والاومنيريين وقد اتحدوا فيما بينهم وانشأوا مدينة البالونكا عند سفح جبل « آلبان » وعلى بعد عشرين ميلاً منها للشمال العربي انشأوا مدينة لاغراس دفاعية في /٤٢١ ق.م على تل البالاتان واتسعت هذه المدينة فشملت سبعة تلال أشهرها « البالاتان » و « الكابيتول » و « الكيريتال » و « الأفانتان » . هذه المدينة الدفاعية دعيت روما .

وكان لهذه المدينة الحظ الوافر فأصبحت هي المركز الرئيسي لشعب اللاتين . وقد تطورت المدينة لتصبح مملكة وبقيت كذلك حتى عام ٥٠٩ ق.م حيث قام النظام الجمهوري الذي بقي حتى عام ٤٧ قبل الميلاد حين اعتلى الحكم في روما « أوغوسط » بعد أن أنهى حكومة الفناصل . وقد مررت الحقوق الرومانية خلال تاريخها في أربعة عهود وهي :

١ - عهد نشأة الحقوق ويبتدئ من بناء روما عام ٧٥٤ ق.م وحتى سقوط الملكية عام ٥٠٩ ق.م وفي هذا الدور كانت الاعراف والعادات هي التي تحكم وتنظم أمور الناس وما لبثت تلك الاعراف والعادات ان شكلت قواعد قانونية بقيت بা�يدري رجال الدين .

٢ - عهد الحقوق الرومانية القديمة : منذ اواى العهود الجمهوري حتى بدء العصر الامبراطوري (٥٠٩ ق.م - ١٥٠ ق.م) وبهذا العهد توسيع الرومان في فتوحاتهم وخالفوا الشعوب المجاورة من يونان وكريت

٦ - المراسيم والدساتير الامبراطورية
والمراسيم والدساتير الصادرة عن حكام الأقاليم
وهنالك أثر كبير للشريدين العرب في هذه الدساتير
حتى ان صياغة عدد منها صدر بفضل اباطرها
عرب من أسرة الامبراطور سبتيم سيفير (١٩٣ -
(٢١١) م المحمصية وأولاده كركلا (٢١١ - ٢١٧)
وغيتا (٢١١ - ٢١٤) م وأكابالس (٢١٨ - ٢٢٢)
واسكندر سيفروس (٢٤٤ - ٢٣٥) م بعد ذلك
جاء فيليب العربي . (٢٤٩ - ٢٤٤) من شهبا .

كذلك كان قسم من المراسيم قد صدر من
تأثير رؤساء الديوان الامبراطوري (أي ما يعادل
رئيس الوزارة) أمثال بابنيان من حمص والبيان
وبولس ومودستان من الساحل السوري .

٣ - الفتاوي وهي استنباط الاحكام من
النصوص الأساسية وقد مررت الفتوى بمراحل
كالتالي :

أ - مرحلة اعطاء الفتوى بشكل حر للجميع .

ب - حصر الافتاء باصحاب الامتياز المعطى
من الامبراطور .

ج - حصر الافتاء بمجلس استشاري برأسه
الامبراطور .

د - ظهور الفقهاء العلميين وظهور المدارس
الفقهية .

٤ - المؤلفات الحقوقية وقد وصلنا منها
عدد محدود ويعود حضرا لفقهاء العصر العلمي
السوريين وهم غالبيوس من الشمال السوري
واببنيان من حمص وبولس والبيان وتلميذه
مودستان وهم جميرا من الساحل السوري .

لينا وتبناها نابليون وأخذتها أسرة الحقوق
اللاتينية التي تعتمد حقوق نابليون كأساس في
قوانينها .

فما هي هذه المجموعات ؟
يطلق اسم مدونة جستنيان عادة على ثلاث
مجموعات هي كما يلي :
١ - مجموعة القوانين والدساتير الامبراطورية
وهي تجمع لما صدر من قوانين ودساتير .

٢ - الموسوعة وتشمل القانون القديم
المتحتم في كتابات الفقهاء وهي التي تسمى القانون
المدني .

٣ - النظم : وهو مختصر للقانون المدني
وهو بالأساس كتاب مدرسي لطلاب الحقوق .
ولتبين الآثر الشرقي العربي على مدونة
جستنيان التي أصبحت مجموعة نابليون ،
سندرس الأصول التي استقت منها مدونة
جستنيان مصادرها . ثم ندرس طريقة تجميع
هذه النصوص وأخيرا ندرس كيف انتقلتلينا
هذه النصوص .

٤ - المصادر التي أخذت عنها الحقوق الرومانية
ومدونة جوستنيان .

وهي مصادر الحقوق عامة :
١ - العرف والعادة وهو أساس القوانين
وقد كان العرف والعادة بالأساس رومانيين
بحتى الا انهما تطورا مع الفتوحات فأخذ عن
اليونان وكريت وصقلية وبلاد العرب وذلك بتتطور
المحيط ونتيجة التجارة وتبادل العلماء والأسرى
والعبد والجيوش والسياحة وسواءهم .

الدستير من عهد هادريان الى عهد دقلديانوس
مرتبة حسب تاريخ صدورها .

ب - المجموعة الهرمونية نسبة لجامعها
هرموجنيان وكملت سابقتها وصدرت بعد عدة
سنوات منها .

ج - المجموعة النيودوزية نسبة الى الامبراطور
نيودوز الثاني وصدرت عام (٤٣٨) م شاملة
للدستير من عهد قسطنطين حتى تاريخ صدورها .
د - مجموعة جيستنian وتضم ثلاثة
مجموعات :

١ - مجموعة القوانين ونظم الدستير
الامبراطورية وصدرت نهائيا عام ٩٦٩ م .

٢ - الموسوعة : وتشمل القانون القديم
متمنلا بكتابات الفقهاء وصدرت عام ٥٣٣ م .
٣ - النظم : وهي مختصر القانون الروماني
ووُضعت على أساس لغرض تدريسي .
وصدرت عام ٥٣٣ م .

ثانيا : من جستينيان الى نابليون :

صدرت مدونة جستينيان في عهده وبقيت
مطبقة حتى القرن الثامن الميلادي وفي عام ٧٤٠
وضع الامبراطور ليوس باللغة الاغريقية مختار
القوانين . وفي القرن التاسع قام الامبراطور بازيل
(٧٦٧ - ٨٧٩) م بوضع مجموعة سماها « الموجز
في القوانين » .

وفي نهاية القرن التاسع وضع الامبراطور
ليزن السابع المجموعة « البازيليكية » التي طبقت
حتى سقوط القسطنطينية بيد « فراك » عام
١٤٥٣ م .

٥ - دور المدارس القانونية (الجامعات)
التي كانت تقوم بالتدريس بحدة أربع سنوات
اضيف اليها فيما بعد سنة خامسة وأهم هذه
الجامعات معهد روما ومعهد « أثينا » ومعهد
القسطنطينية ثم معهد بيروت ومعهد الاسكندرية
ومعهد القصرين والثلاث الاخيرات عربيات المنشأ
والاقليم .

٦ - دور المحاكم وقرار القضاء سواء ما
طبق منها الحقوق الرومانية او ما يطبق القانون
الاجنبي الاكثر تطورا .

● ● كيف وصلت اليانا مدونة جوستينيان ؟
وهذا يقتضي البحث في تطور الحقوق الرومانية
حتى أصبحت باسم مدونة جوستينيان اي كيف
تشكلت مدونة جوستينيان ؟
وبالتالي كيف أصبحت مدونة جوستينيان
قانونا فرنسيا ؟

واخيرا كيف دخل القانون الفرنسي الى قوانين
البلاد العربية وأصبح مطبقا فيها ؟

اولا : أصول مدونة جوستينيان .
كان اول تجميع وتدوين للحقوق الرومانية
في عام ٤٤٩ ق م عندما ظهرت الاولاه الاثنا
عشرية . الا ان التجميع والتدوين العلمي للقوانين
والأنظمة والدستير الرومانية أنها تم عام ٩٦١ م
بالشكل التالي مع ذكر أهم المجموعات :

١ - المجموعة الأولى المجموعة الجريجورية
الصادرة عام (٩١) م في عهد دقلديانوس
وسميت جريجورية نسبة لجامعها وقد ضمت

الفرنسية باسم الحقوق الاتينية القانون اللاتيني
في الدول العربية .

تعتبر مصر أولى الدول العربية التي طبقت
الحقوق الفرنسية وقد كانت مصر تطبق الشريعة
الإسلامية التي تعتبر مصدر التشريع ، وأخذت
بعض القوانين الوضعية بالظهور اعتباراً من
أول القرن التاسع عشر .

وظهر بالتالي القضاء المختلط والقوانين
المختلفة التي أعدها أحد المحامين الفرنسيين
المقيمين في مصر واسمها « مونوري » من هذه
القوانين القانون المدني المختلط الذي كان في
حياته يعتبر ورقة رابحة للتخلص من الامتيازات
الاجنبية .

ثم ظهرت المحاكم الأهلية التي تطبق الشريعة
الإسلامية بالإضافة لها القوانين الوضعية ، وتختصاً
من هذا الإذواج بين قانون مختلط وقانون أهلي
وكذلك الأمر بالنسبة للمحاكم فقد شكلت لجنة
أعدت مشروعًا أخذت ثلاثة أرباعه من القوانين
المصرية المختلطة والأهلية التي أسسها القانون
الفرنسي . أما الرابع الرابع فقد أخذ أحکامه من
الشريعة الإسلامية السمحاء وطبق هذا المشروع
قانون عام ١٩٤٨ .

وفي سوريا طبق القانون المصري بنصه
وحرفيته عدا تبديل اسم الدولة وبعض التعديلات
البسيطة الأخرى وصدر في سوريا ١٩٤٩ . كذلك
طبق في لبنان والعراق ولibia وغيرها من الدول
العربية .

التأثير العربي الشرقي في الحقوق الرومانية :
ويتجلى هذا الأمر في مصادر الحقوق الرومانية
وفي متنها وفي طريقة تجميع هذه الحقوق .

وكل المجموعات المذكورة أخذت نصاً وروحاً
عن مدونة جوستنيان وذلك في الإمبراطورية
الرومانية الشرقية (بعد الانقسام إلى شرقية
وغربية) أما في الإمبراطورية الغربية فقد
طبقت مدونة جوستنيان على فترات وخلال مناطق
مختلفة ومدرستها عليها هناك عدة تعديلات .

في أواخر القرن الحادي عشر قامت في أوروبا
حركة تهدف إلى أحياء القانون الروماني وكان
المراكز الرئيسي لهذه الحركة مدينة بولونيا في
إيطاليا وقد أسس هذه الحركة آرنوبيوس وأفتتح
مدرسة لتدريس مجموعات جستنيان التي كانت
تسمى مجموعة القانون المدني وأخذ آرنوبيوس
وبعض الفقهاء بشرح المدونة وتفسيرها ووضع
الهوامش عليها وجمعوا أعمالهم باسم « الحاشية
الكبرى » التي أصدرها أكورسيوس (١١٨٢ - ١٢٥٠) م وعلى أعقاب هذه المدرسة ظهرت
مدرسة المحشّين اللامعين وعلى رأسها الفقيه
برترول (١٣١٤ - ١٣٥٧) م .

وفي فرنسا وعلى يد الفقيه كيجاسن (١٥٤٤ - ١٥٩٠) بدأ دراسة العلمية لمدونة جوستنيان .
وظهرت حركة مذالة في ألمانيا تزعمها الفقيه
ساقيني (١٧٧٩ - ١٨٦١) م وفي فرنسا كان هدف
الحكومات الفرنسية توحيد القوانين المطبقة في
فرنسا بمجموعات وقد عجزت الملكية عن تطبيق
هذا الهدف كما وعجزت الجمهورية عن ذلك أيضاً
لأن نابليون في عهد الفيصلية أصدر المجموعة
النابليونية في ٣/٢٧ ١٨٠٤ / ١٨٠٤ وذلك نقلًا عن مدونة
جوستنيان . وقد فرضتها فرنسا على الدول التي
استطاعت السيطرة عليها آنذاك وعرفت الحقوق



١ - الآثر العربي الشرقي في مصادر الحقوق :

ففي العرف والعادة كان لاختلاط الرومان المباشر مع البلاد العربية وسوريا على الفصوص والمستعمرات الفينيقية القديمة أو الدول التي كان للفينيقيين والعرب عموماً تأثير مباشر عليها مثل اليونان وكريت وغيرها ونتيجة للحروب والأسرى والتجارة والسياحة وسواها كان التأثير العربي للعرف والعادة الرومانية .
اما في المراسيم فانها أيضاً صادرة عن تأثير هذا الاختلاط المذكور . وكنا قد ذكرنا ان هناك خمس أباطرة سوريين ولا اقل عن أربعة رؤساء دواوين (رؤساء وزاراة) عرب سوريين حكموا روما واصدروا الكثير من المراسيم نذكر أسمائهم كما يلي :

الاباطرة : أسرة سيفير الحمصية وقد حكمت على الشكل التالي : سبتيم سيفير (١٩٣ - ٢١١) م كركلا (٢١٢ - ٢١١) وغيتا (٢١١ - ٢١٢) م واكيابالس (٢٢٦ - ٢١٨) م واسكندر سيفروس (٢٤٥ - ٢٤٤) م .
ثم جاء امبراطور آخر من أسرة سورية عربية من مدينة شهبا هو الامبراطور فيليب العربي الذي حكم ما بين عامي (٢٤٤ - ٢٤٩) م .

اما رؤساء الدواوين والحكام البرينوريين (القضائين) فنذكر منهم : بابنيان / وبولس / / واوليبيان / وموديستان / .
كما وان هناك الكثير من المراسيم التي صدرت تخصّ بفتين عرب نظمت الفتوى او اعطت كتابات بعض المفتين أولوية في التطبيق نذكر من هذه المراسيم ما يلي :

١ - دستور قسطنطين الصادرة عام ٣٢١ م

آثر العرب في الفتاوى :

وقد ذكرنا بعض هذه الآثار في البحث السابق ونضيف أن أهم كتب الفتاوى انما صدرت من الفقهاء الخمسة (فقهاء العصر العلمي)المذكورين وهم عرب سوريين . وسنرى ان مدونة جوستنian هي الانتف من فتاوى الفقهاء كانت في معظمها لفتين عرب سوريين .

آثر العرب في المدارس الحقوقية :

المدارس الحقوقية التي كانت معروفة في ذاك

١ - كتاب القواعد للفقيه أولبيان وقد وصل اليها بصورة مختصرة كما جاء وصفه له على لسان أحد كتّاب القرن الرابع الميلادي ووصل اليها أيضاً عن طريق مخطوط دون في نهاية القرن العاشر الميلادي .

٢ - كتاب النظم للفقيه كايوس السوري وقد وصل اليها كاملاً مما يعد أصدق وأبرز مصدر علمي عن الحقوق الرومانية وقد عثر عليه باحدى كنائس فيرونا بإيطاليا عام ١٨١٦ م . وقد تبين ان الكتاب قد قشط وأزيل عن ورقاته وكتب فوق الوراق كتاب آخر يتضمن نصوصاً دينية . إلا أنه تم اعادة النص الأساسي بعد معالجته بطرق كيميائية خاصة ، الا أن هناك بعض الصفحات الناقصة التي عوضت بما عثر من أوراق بردي بمصر تتضمن الصفحات الناقصة .

يعتبر هذا الكتاب أقدم كتاب عن الحقوق الرومانية وصل اليها والتي كسفت بنورها شمس جميع ما تقدمها ولعل ذلك سر فقدان آثار من تقدمه من الفقهاء .

وقد جاء ترتيب هذا الكتاب كما ترتيب كتب الفقه والقانون عندما حالياً فيبدأ بالقواعد المتعلقة بالأشخاص ثم الأشياء فالأموال والدعوى وقد أخذ عنه جوستينيان الترتيب ومعظم الأحكام في الكتاب الذي صدر عام ٥٣٣ بنفس الاسم ضمن مدونة جوستينيان .

٣ - كتاب الأحكام « سانتانس » للفقيه بول دام يصل بصورته الأصلية بل بصورة مختصرة له عن طريق المجموعة القانونية التي وضعها الملك الإريك الثاني ملك القوط الغربي عام ٥٠٦

العهد هي ست مدارس : روما والمقدونية وأثينا والقىصرية وبيروت والاسكندرية . ونرى ان المدارس الثلاث الاخيرة مدارس شرقية علماً بأن أهم هذه المدارس وأكثرها اثراً على الحقوق الرومانية هي مدرسة بيروت وسنتحدث عنها فيما بعد .

المحاكم وقرارات القضاة :

ليس من السهل تتبع أثر العرب في هذا المصدر من مصادر الحقوق لتشعب الموضوع وكثرة وضياع الوثائق والمؤيدات التي تظهر هذا الأمر إلا أن ما قلناه عن أثر الشرق في العرف والعادة في الحقوق الرومانية ينطبق هنا أيضاً .

وتحمة تأثير آخر مهم لا بد من ذكره الا وهو أثر المؤلفات الحقوقية في الحقوق الرومانية ولدينا قائمة بمؤلفات كثيرة لحقوقيين عرب ورومان . الا اننا لا نعرف ولم يصلنا الا مؤلفات محدودة هي بكليتها لفقهاء الدور العلمي المذكورين . وقد ذكر ان خايوس قد ألف كتاب النظم الذي وصلنا كاملاً وان بابنيان ألف : (١٩) مؤلفاً في المناقشات القانونية و (٣٧) مؤلفاً في المسائل القانونية وله كتاب « الاستئلة » وكتاب « الاجوبة » وله أيضاً كتاب « الفتاوي » .

اما أولبيان فأهم كتبه كتاب المشهور « كتاب القواعد » وكتاب « الاستشهادات » . وبولص ألف الكثير من المؤلفات الفقهية وخصوصاً تعليقاته على كتاب بابنيان وله كتاب « التقريرات المأثورة » . . . ومودستان له مؤلفات في الحقوق كتبها باللغة اليونانية .

وان أهم الكتب التي وصلتنا هي كما يلي :

المدني والتي أخذ عنها نابليون وبالتالي القوانين المدنية الحالية لكثير من الدول الأجنبية والعربية . فقد صدرت استنادا لاقوال ٢٨ فقراتها وذلك على شكل فقرات (مواد) فكان مجموع فقرات المواد ٩١٤٤ فقرة وقد ذكر فيها أسماء للفقهاء بعدد ٣٦٥٠ مره . فكان حصة فقهاء العصر العلمي الخمسة العرب السوريين على الشكل التالي :

- ١ - غايوس أخذ منه ٥٣٦ فقرة وذكر فيها ٤ مرات .
 - ٢ - بابنيان أخذ منه ٥٩٦ فقرة وذكر فيها ١٥٣ مرة .
 - ٣ - أولبيان أخذ منه ٤٦١ فقرة وذكر فيها ٤٠ مرة .
 - ٤ - بولس أخذ منه ٢٠٨٧ فقرة وذكر فيها ٤٥ مرة .
 - ٥ - مودستين أخذ منه ٣٤٥ فقرة وذكر فيها ٤ مرات .
- | | | |
|---------|-------------|-------------|
| المجموع | <u>٦٠٩٥</u> | <u>٢٤٤</u> |
| من أصل | <u>٩١٤٤</u> | <u>٣٦٥٠</u> |
- يضاف الى ذلك ما أخذ عن تلاميذ مؤلأء الفقهاء أو من اشتهر من مدرسة بيروت العربية . ويبلغ عدد الفقرات التي أخذت منهم ١٣٦٩ فقرة فيكون المجموع (٧٣٥٤) فقرة . وأهم الفقهاء المذكورون :
- ١ - سكتيوس بمبونيوس وأخذ منه ٥٠٨ قطعة .
 - ٢ - كنتوس سرفيديوس شيفولا وأخذ منه ٣٠٧ قطعة .
 - ٣ - كالمسترات وأخذ منه ١٠١ قطعة .

٤ - الكتاب السوري الروماني : وهو من أكثر الكتب أثاره للجدل . كما سنرى وقد صدر هذا الكتاب باللغة اليونانية ثم ترجم الى القرن الخامس الميلادي الى السريانية ثم ترجم الى العربية في القرن الثامن الهجري وكان يتضمن بعض القواعد القانونية التي كانت مطبقة في سوريا في العهد الروماني ، اضافة الى القوانين الرومانية .

الاثر العربي والسورى في متن مدونة جوستينيان :

قلنا ان مدونة جوستينيان تشتمل على ثلاث مجموعات الاولى : مجموعة القوانين والدساتير الاجبراطورية وهي تشبه الجريدة الرسمية عندنا حاليا . والثانية الموسعة وتشتمل القانون القديم وتتمثل في كتابات الفقهاء وهي التي تسمى القانون المدني . وأخيرا النظم وهو مختصر القانون المدني وهو بالاساس كتاب مدرسي لطلاب الحقوق .

٦ - فالاثر العربي في مجموعة القوانين والدساتير بالطبع محدود وقد ذكرنا ان العرب شاركوا في القوانين والدساتير الرومانية سوا من ناحية اصدارها بصفتهم قد حكموا روما كاباطرة (أسرة سببitem سيفر) وفيليب العربي « لمدة اكثر من خمسين سنة او من ناحية أخرى في مشاركة العرب بالحكم كرؤساء دواوين (وزارات) وحكام بريتوريين أو كأعضاء في مجالس الاحكام وذكرنا عددا من الدساتير التي تخص العرب .

ب - أما اثر العرب في الموسوعة التي تحتوي على القانون القديم المتمثل في كتابات الفقهاء والتي أصبحت فيما بعد تعرف باسم القانون

ونظراً لوجود تضارب في ضمنها شكلت لجنة برئاسة وزير العدل تريبيونيان والاستاذ دورنية استاذ معهد بيروت وثلاثة من المحامين .

ب - في الموسوعة :

وقد جمعت بعد تشكيل لجنة صدرت بدستور في عام ٥٣٠ واللجنة مؤلفة من وزير العدل المذكور وعضوية استاذين من معهد بيروت وهما دورنيه واناتوليوس واستاذين من مدرسة القدسية واما نويفير وكرانيتو واحد عشر محاميا واحد كبار موظفي الدولة الذي كان استاذًا سابقًا لمدرسة بيروت وقد اتاحت اللجنة عملها في عام ٥٣٣ وارجعته الى ٨٧ مدولاً فقوياً .

النظم : المختصر للقانون الروماني :

وقد قام بوضعه لجنة ثلاثة مكونة من وزير العدل والاستاذ دورنيه استاذ مدرسة بيروت والاستاذ نيوغيل استاذ القدسية وصدرت في عام ٥٣٣ .

ومن الفقهاء الذين عملوا في هذه اللجان كل دن «استيفانوس» و «تليليوس» و «تيودور درموبولييس» و «سيريل» .

وقد لاحظنا الاشتراك الفعلي لاستاذة مدرسة بيروت للحقوق او طلابها اشتراكا فعليا في جمع وتدوين مدونة جوستينيان ، وهؤلاء اما ان يكونوا عربا سوريين او زائرين بيروت للدراسة فيها او انه لا يعرف بالضبط جنسيتهم .

وختاما للبحث نوجز نبذة عن حياة فقهاء العصر العلمي ولحة عن مدرسة بيروت .

فقهاء العصر العلمي العرب :

وقد وصف بلوندو الفقهاء العرب الخمسة خليوس بابنيان وأولبيان وبولس وموسستان

٤ - أريوس ميندر وأخذ منه ٦ قطع .
٥ - اليوس هرسيليانوس وأخذ منه ٢٨٦
قطعة .

٦ - كالوديوس تريفونيوس وأخذ منه ٢١
قطعة .

٧ - ليسينوس روفينوس وأخذ منه ١٧
قطعة .

٨ - ميليوس ماسير وأخذ منه ٦٦ قطعة .

٩ - فلور نيقينوس وأخذ منه ٤٤ قطعة .
مع ملاحظة ان الأسماء والفقرات مأخوذة عن
بلمندو « مدونة جوستينيان » ترجمة المرحوم عبد

العزيز فهمي « الملحق » .

ج - النظم او المختصر وتتألف من أربعة كتب الاول مؤلف من ٢٦ بابا والثاني ٢٥ بابا والثالث ١٧ بابا والرابع ١٨ بابا وكل باب مقسم الى بنود . وقد أخذت عن مؤلفات فقهاء العصر العلمي العربي . فكانت في معظم نصوصها منقوله عن كتاب النظم لكايوس وقد أخذت نفس خطبة المكتبة من حيث التنظيم والتبويب .

ولقد ترجم هذا الكتاب الى العربية عن نصر بلمندو من قبل المرحوم عبد العزيز فهمي ونشر عام ١٩٤٦ باسم مدونة جوستينيان .

الان العربي والشرقي في تجميع المدونة وتسجيلها :
٦ - في مجموعة القوانين :

صدر الامر من الامبراطور جوستينيان بتاريخ ٥٨٨/٢/٣ بتشكيل لجنة برئاسة تريبيونيان (وزير العدل) وهو خريج معهد بيروت وعضوية نيوغيل استاذ مدرسة القدسية ومن استاذ معهد بيروت ليوليد ستوس ، وقد صدرت في ٤/٧/٥٦٩ .



وذكرنا كيف وصلنا كتاب غايوس هذا في الكتاب الذي قنشط منه تاليف غايوس ودوّن بدلاً عنه ادعية كنسية ولكن أمكن إعادة النص الأصلي بالطرق الكيميائية .

٢ - أميل بابنياس او أبيليوس بابنياس :

ولد أميل بابنياس في مدينة حمص عام ١٤٣م وقد درس الحقوق في بيروت ثم أصبح استاذًا في معهد بيروت للحقوق .. ويعتبر بابنيان أشهر الفقهاء في العالم وفي كل العصور . وقد استدعي إلى روما عام ١٩٨م من قربته « جوليادونه » ، زوجة الامبراطور الحميمية « سبتييم سيفير » فكان حاكماً قضائياً ثم رئيس مجلس الاحكام ورئيساً للديوان (للوزراء) ثم قائداً للحرس الامبراطوري ونائباً لامبراطور أثناء غيابه وكانت له رسالته في الدفاع عن الحق وعن العبيد لأنهم أحراز برأيه بالفطرة واشتهر بالدفاع عن النساء لأنهن من الحقوق برأيه ما للرجال . وقد قتل بابنيان بأمر من الامبراطور كركلا (ابن سبتييم سيفير الذي قتل شقيقه الامبراطور غيتا عام ٢١٢م) بفأس لأن بابنيان رفض كتابة دفاع وتبرير لكركلا تبيح للآخر قتل أخيه دفاعاً عن النفس وكان جوابه المشهور الذي سبب قتله « ان ارتكاب جريمة قتل الوالدين ايسر من تبريرها » ويعني تبرير قتل كركلا أخيه وقال : « ان تبرير قتل النفس ليس اسهل من اقتراف القتل » .

وقد وصف كركلا بأنه (قاتل أخيه وبابنيان) لشهرة « بابنيان » وعقب مقتل غيتا قام كركلا بقتل كل من له علاقة بأخيه فقتل ما يزيد عن عشرين ألفاً من ذكور وأنانث وقال المؤرخ جيبون

« قال : « ان هؤلاء الاربعة وقبليهم قد تركوا آثاراً حقوقية تکاد تكون المرجع الوحيد للحقوق الرومانية . وهي التي وصلت اليانا تقربياً دون غيرها » . ويضيف واصفاً حالة الفقه القانوني بعد زمانهم :

« فقد أعقبه ظلام حالك حدث فجأة وبدون آية فترة انتقال تتوسط الحالتين . فكان بابنيان وبولس واولبيان ومودستان اذ قضوا جروا معهم الى القبر سر علم الكلام ذلك العلم العجيب الذي يقول عنه الفيلسوف ليپنتر انه تکاد الدقة فيه لا تقل عن دقة المهندسين » .

وبعد انتهاء عصر هؤلاء الفقهاء اضحل دور الفقه في القانون الروماني فكان الفقيه بعدهم بقتصر بعمله على النقل والتحشية على مؤلفاتهم فقط .

منهم هؤلاء الفقهاء :

١ - فليوس :

وهو أقدم الفقهاء الخمسة وقد جاء ذكره في دستور فالنتيان (قانون الاساتيد) الذي أشرنا اليه . وقد ملع نجم غايوس في فترة حكم الامبراطور مارك اورييل (١٦١ - ١٨١) م . ومعلوماتنا عن حياته قليلة جداً . وقيل ان أصله يعود للشمال السوري ولكن لا يمكن تحديد أصله بشكل دقيق جداً .

وتعرف مؤلفاته بشكل جيد فله مدونته الخاصة التي تسمى (المختصر) وقد كانت رائجة لدى كافة طلاب الحقوق حتى وصلت الى جستنيان فكانت أساساً لجزء المسمى (النظم) وقد أمر جستنيان باعتبار هذا الجزء كتاباً رسميَاً لتعليم الحقوق والفقه للشباب .

الينا هذه التقريرات . وهو من المؤلفين الخمسة الذين ورد ذكرهم في قانون الأساتيد المذكور .

٤ - دومتيوس اولبيان :

وهو من ابناء صور في الساحل السوري وكان استاذًا في معهد بيروت للحقوق واستدعاه بابنيان ليكون مساعدًا له في روما واستلم منصب عضو في مجلس الاحكام ثم رئيسا له وبعد مقتل بابنيان استلم حاكما قضائيا ورئيسا للديوان (رئيس وزارة) وقد جرده الامبراطور السوري « اكابالس » خليفة « كركلا » من مهامه لكن الامبراطور اسكندر سيفروس اعاده مستشارا .

وقد ادخل اصلاحات كثيرة على القضاء ولكنها أثارت عليه نقمته بعض الجهات وكذلك قام باصلاحات في الجيش مما أثار عليه الجنود فدخلوا القصر الامبراطوري ليلا وقتلوا امام الامبراطور اسكندر سيفروس والدته رغم حماية الامبراطور له .

ويؤخذ عليه اضطهاده للمسيحيين في عهده وأتهم بقتل فلافيانوس وكرستوس رئيس مجلس الاحكام .

وهو أكثر فقيه أخذ منه في كتاب الديجست (المختار أو الموجز) من مدونة جستنيان أخذ منه ٤٦١ قطعة وذكر فيها ٤٠ مرة .

وقد كرمه الرومان بان اطلقوا اسمه على بازيليك وقصر عدل روما التي بنيت في عهد تراجان وبناها ابو بولود الدمشقي .

كذلك كرمه الايطاليون بان وضعوا تمثاله على مدخل قصر العدل الحالي في روما جانب تمثال بابنيان .

في هذا الخصوص « ذرف الاصدقاء والاسرات الدموع شفية على اعدام هؤلاء المواطنين ولكن اعدام بابنيان كان محزنا بوصفه كارثة عامة » .

وقد ألف بابنيان « ١٩ » مؤلفا في المناقشات القانونية و « ٣٧ » مؤلفا في المسائل القانونية . وله كتابان مشهوران جدا هما « الأسئلة » و « الأجوبة » وقد كان كتابه « الأجوبة » مقررا في برامج السنة الثالثة في مدارس الحقوق الرومانية . كذلك له كتاب آخر لا يقل شهرة عن سابقه وهو كتاب « الفتاوى » .

ويقول بلوندو عنه « ان التراث العظيم الذي تركه لم يتركه اي روماني فقيه اخر » . وقد أدخل لا أقل من ٥٩٧ فقرة من كتاباته في موجز جستنيان وذكر فيه ١٥٣ مرة . وقد لقبه الرومان بأمير الفقهاء وأكراما له أقيم تمثاله في مدخل قصر العدل الحالي بروما .

٣ - يوليوس بولس :

محام وفقيه عربي سوري من الساحل السوري وكان استاذًا في مدرسة بيروت للحقوق وزميلا وصديقًا لبابنيان وقد استدعاه الأخير الى روما في عهد الامبراطور سبتييم سيفير وكان عضوا في مجلس الاحكام (من العدول اي الاعضاء) في عهد رئاسة بابنيان للمجلس وقد استلم عدة مناصب في روما . ووصل الى منصب رئاسة مجلس الاحكام .

ترك كثيرا من المؤلفات وخصوصا تعليقاته وشرحه على مؤلفات بابنيان . وقد رأينا انه صدر دستور بعدم الاعتداد بحواشيه المدونة على كتاب بابنيان . كذلك ألف كثيرا من كتب التقريرات والقواعد باسم « التقريرات المأثورة » وقد وصلت

٥ — هيرفيوس مود ستيوس : او (الموسستان)؛ وهو من أصدقاء وطلاب اولبيان ومن مدينة بيروت على الساحل السوري وقد درس الحقوق في بيروت وأصبح استاذًا فيها واستدعاه اولبيان الى روما ليقوم بمساعدته في أعبائه هناك وذلك في عهد الامبراطور اسكندر سيفيروس .
له عدة مؤلفات كتب بعضها في اليونانية وقد ذكر في المدونة مرتين ومن آثاره أخذت ٣٤٥ قطعة .

معهد بيروت للحقوق :

برزت مدرسة بيروت للحقوق كأشهر مدرسة للحقوق الرومانية وأطول المدارس عمرا رغم أنها لم تكن الوحيدة كما رأينا ويبدو أن سبتموس سيفيروس الامبراطور الروماني من أصل سوري (١٩٣ - ٦١ م) بدليل انهم قد خلدوا ذكره في بيروت بمعبد انشيء له ووضع داخل المعبد تمثال للامبراطور . وقد شجع المدرسة خلفاء سبتموس السوريين . وكانت اتجاهات المدرسة تصطبغ بالصبغة اليونانية أكثر منها رومانية عكس مدينة بيروت التي كانت رومانية أكثر منها يونانية .

لقد اجذبت مدرسة بيروت الطلاب سواء العرب او الاجانب وذلك من مختلف مناطق الامبراطورية . ومن خريجي المدرسة كثير من الاباطرة ورؤساء الحرس الامبراطوري والحكام انقضائيين ورؤساء الديوان (الوزارة) وكثير من الوزراء والعلماء .

وكان لأساتذة المدرسة شهرة فائقة وتأثير وتأثير كبير في مؤلفاتهم على الحقوق الرومانية

كما رأينا وهذا السبب هو الذي جعل من مدرسة بيروت للحقوق أكاديمية جامعية ذات شهرة عالمية . وقد أطلق عليها الامبراطور جستنيان جامع المدونة (الأم المرضعة للحقوق الرومانية) . كانت الدراسة في المدرسة لمدة أربع سنوات زادها الامبراطور جستنيان الى خمس سنوات لدراسة المزيد من الدساتير الرومانية .

وكان طلاب المدرسة معفيين من الخدمة العسكرية على ما يبدو من نص دستور صدر استنادا لطلب فتوى رسمي صادر عن أحد طلبة مدرسة بيروت للحقوق . وكان الجواب ان الطلاب معفون من الخدمة العسكرية او أي خدمة عامة الزامية قبل تخرجهما او بلوغهم سن الـ ٤٥ . ولدينا نصوص كثيرة حول حياة الطلاب في هذه المدرسة . وقد كانت الدروس في النهار ، عدا ساعات الليل المخصصة لدراسة الطلاب وكانت المدرسة تعطل بعد ظهر يوم السبت وطوال يوم الأحد من كل أسبوع .

ويبعدوا أن الطلاب كانوا يشكلون جمعيات في المدرسة . كما وان هناك الكثير من الحوادث الطريفة التي وقعت في المدرسة والتي ذكرتها النصوص التاريخية وكثيرين من طلاب المدرسة كانت لهم شهرتهم وقد ورد ذكر بعضهم في هذا البحث ، وذلك على مختلف مراحل تاريخ المدرسة . وقد قضى زلزال حدث في ٦/٦١ م على المدرسة وهدمها فوق طلابها وأساتذتها كما هدم مدينة بيروت وكانت ضحية الزلزال ثلاثة ألف شخص من سكان بيروت ومنهم عدد كبير من الطلاب الاجانب ابناء الاسر الثبالة .

ومما يذكر عن عظمة تأثير الشرق والعرب على الرومان ان قال جوفيات الروماني في نقد ساخر « ان العاصي - السوري - أخذ يصب في التبیر - الروماني » .

وبالختام فقد لاحظنا تأثير حضارتنا العربية على المصادر التي اخذت منها الحقوق الرومانية وكيف كان لنا دور كبير في تطوير وتوسيع الحقوق الرومانية في مختلف مراحلها ومختلف مصادرها كذلك رأينا مدى اسهامنا في بنن الحقوق الرومانية التي وصلتنا وأخيراً رأينا دور العرب والسوريين خاصة في تجميع هذه الحقوق حتى صدرت أخيراً مدونة جستنيان .

والآن . اليمن من حقنا ان نقول ان الحقوق الرومانية التي جاءت في مدونة جستنيان هي من تأثيرنا ووضعنا ؟

وبالتالي فان قانوننا السوري او المصري او العراقي وكل من اخذ عن القانون الفرنسي انما جاء من صنعنا وما هي الا دورة التشريع قد اعادته اليها ؟

فالقانون المصري الذي هو أساس القوانين العربية انما وضع ربعة من الشريعة الإسلامية الفراء وتلثة أرباعه من مدونة جستنيان التي كان لنا الأثر الأكبر في صنعها كما رأينا اذ كانت الفقرات التي من وضع عربي او من وضع طلاب عرب او طلاب استاذة عرب قد بلغت ٧٣٤ فقرة من أصل ٩١٤ .

الآن تهدم المدرسة لم يوقف نشاط المدرسة فنقلت الدراسات الى مدينة صيدا ريثما يتم بناء الجامعة من جديد ولكن حدثت كارثة قبيل تدشين أبنية الجامعة الجديدة في عام ٥٦٠ م اذ التهمت النيران البناء باكمله . وبعد هذا لم نعد نسمع أي خبر عن مدرسة او معهد بيروت للحقوق .

بعد هذا الاستعراض للاثر الشرقي والعربي على الحقوق الرومانية نجد هنا يثير قضية مخالفة تماما هي اثر الحقوق الرومانية على الشريعة الإسلامية مدعيا بأن الشريعة الإسلامية قد اخذت من الحقوق الرومانية .

وقد أشييع هذا الموضوع بحثاً اعتباراً من القرن التاسع عشر وبالتحديد بعد اكتشاف الكتاب السوري الروماني عام ١٨٦٦ على يد الاستاذ لاند، وقد ايد اولاً المستشرقون نظرية اخذ الشريعة الإسلامية كثيراً من احكامها عن الحقوق الرومانية ولكن تراجع الكثير من المستشرقين عن هذا الرأي نتيجة تدقير الابحاث ودراسة نظريات المشرعين العرب والفقهاء وأصحاب الاجتهداد وبمقارنتها بالقانون الروماني وكذلك سائر الفقهاء وأصحاب المذاهب الإسلامية بما فيهم الاوزاعي الذي سكن قرب بيروت وكذلك انقضاء اثر مدرسة بيروت للحقوق قبل ظهور الاسلام .

وبالعكس فقد اتجهت الانظار الى اثر الشريقي والعربي على الحقوق الرومانية وكان من اهم الباحثين في هذا الموضوع كولينه .



القعقاع بن عمرو

محمد أمين الميداني

الصحابي الجليل ، العربيص على دينه ، الشديد في الدفاع عنه ، المجاهد لاء الله رايه .

أخرج ابن حجر المقلاني في كتابه الإصابة نقى تمييز الصحابة (ج ٣ ص ٢٢٠) . ما يفيد سجدة القعقاع للرسول ، فقد سال رسول الله صلى الله عليه وسلم القعقاع ذات يوم : ماذا أعددت للجهاد يا قعقاع ؟ فنأباه : طاعة الله ورسوله والخييل ، فاستحسن الرسول الكريم هذا الجواب وقال له : تلك الفتية .

على انس لاتنسى بان الفموض قد اكتفى ولادة هذا الفارس ، ونشأته الأولى ، وتضاربت الآراء حول حضوره لوفاة الرسول الكريم ، فقد قيل بأن القعقاع شهد وفاة الرسول وانه اطلق ليخبر المهاجرين بأمر تجمع الانصار في سقيفة بني ساعدة لمبايعة زعيمهم سعد ابن عبادة ك الخليفة المسلمين .

وقد انتهى هذا الخلاف الذي كاد ان يعصف باركان الدولة الإسلامية في اولى عمودها ، باختيار أبي بكر الصديق ، خليفة المسلمين ، بعد ان رضي به الانصار والمهاجرين .

وكان مهد الخليفة الاول ، المعهد الذي بُرز فيه القعقاع ، وتوضح دوره ، ولفت النظر المؤرخين اليه .

فأول مابدأ دور القعقاع يتوضّح في تاريخ حربنا وماركنا ، بدأ حين وجه الخليفة الأول أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) ، الجيوش لمحاربة اولئك

حين نقلب صفحات التاريخ :
نبحث عن أولئك الذين ساهموا
بصنع مجدنا وحضارتنا ، وعملوا
على نشر تعاليم الدين الحنيف ،
يطالعنا وجه فارس عربي ، بملامح
صارمة ، ونظارات ثاقبة ، تقرأ عن
شجاعته النادرة ، وبطونه الفاتحة ، ونجيبه كيف أهل
المؤرخون الحديث عنه حتى بدأت الجيوش الإسلامية
الفاتحة تطلق شرقاً وغرباً ، لتوقّد مصابيح الهدى في
تلك الراجمة ، وتحرر أراضيها مما كانت تعانيه من جهل
وضلالة وكفر ..

عندما فقط التفت اليه المؤرخون وبدأوا يلوّهون اهتمامهم ، ويتحدون عن شجاعته وبطونه ، ويسرون تفاصيل الماراثة التي اشتراك بها ، والفتوحات التي
ساهم فيها ، فحفظت لنا كتبهم بعضاً من تفاصيل
حياته ، ولكن ليس بالقدر الذي يرضي فينا حب المعرفة
والاستطلاع .

فارسنا هو القعقاع بن عمرو ، من قبيلة تميم ،
تميم بن مر ، تلك القبيلة التي قدمت الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم في العام التاسع للهجرة بعد فتح
مكة ، لتعلن اسلامها ، ويقال بأن القعقاع كان ضمن
وفد قبيلة تميم تلك التي اتت الرسول الكريم ، وبذلك
نرى بأن القعقاع تربى في الحضرة النبوية الشريفة ،
وصاحب الرسول وتعلم من دروسه العظيمة ، وكان

وبعد أن توطدت أركان الدولة الإسلامية بالقضاء على المرتدين ، فكر الخليفة الأول بتوجيه الجيوش لفتح العراق ، وكان أن عقد لسيف الله خالد بن الوليد (رضي الله عنه) – والذي ألبى بلاء حسنا في حروب الردة – لواء فتح العراق .
وكتب له يتكلمه بهذه المهمة على أن تكون مدينة الأبلة – ثغر الفرس على الخليج – وجهته الأولى ، وحدد مدينة الحيرة هدفاته .
على أن أبو بكر أجاز لمن شاء من جيش خالد بالرجوع إلى بلده ، وطلب منه أن لا يصحب معه إلى العراق كاره للقتال . وفوجيء خالد حين قرأ رسالة الخليفة على جنده ، بالكثير منهم يمودون غير راغبين معه لفتح العراق . فكتب إلى الخليفة يعلمه بما جرى طالبا منه أن يمده بجنود بدل الذين افضوا عنه .

فأرسل أبو بكر إلى خالد بالقمعان بن عمرو !
وحين سأله أصحابه مستغربين : أتمند رجلا قد أرافق عنه جنوده برجل ! قال أبو بكر : لا يهزم جيش فيه مثل هذا !!! (٢) .

انها شهادة كبيرة من الخليفة ، وثناء عظيم للقمعان ، وايجاز بلغ يصف هذا الفارس المقدام .
لقد اشتهر عن أبي بكر ، معرفته بأنساب كل قبيلة ، ومنخر أبطالها ومثالب أفرادها . ولا بد من أنه عرف القمعان في حياة الجاهلية شجاعته ، وبطوله ، وكان هو أول من كلفه بمهمة بعد ان شرح الله قلب القمعان للإسلام ، فكان توجيهه لقتال « علقة بن علابة » وهو هو يهد خالدا به هذه المرأة ، وهو على يقين بأن خالدا سيجد فيه السند والمعونة ، وسيكون الجندي الشجاع في جيشه ، والمجاهد الذي لن يهزم جيش أنفس الى صفوته .

الذين ارتدوا عن دين الاسلام ، وفروا بتعاليمه وأرتكا ، واتبعوا قادة مشركين ، ادعوا النبوة وجاهروا بها .

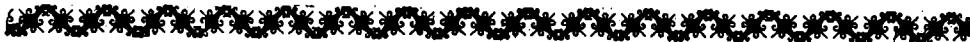
لقد حرص أبو بكر على تثبيت أركان الدولة الإسلامية الفتية ، ولم يكن ليتم له ذلك الا بالقضاء على المرتدين والعودة بهم الى دين الاسلام ، لذلك وجه أبو بكر الجيوش لمحارتهم ، وبعث بالقمعان على رأس سرية من المسلمين لتأديب « علقة بن علابة » الذي خرج فيبني كلاب مرتدًا .

وكان علقة قد أسلم ثم ارتدى في زمان الرسول صلى الله عليه وسلم . ثم خرج بعد فتح الطائف حتى لحق بالشام فلما توفي النبي ، اقبل علقة مسرعا حتى عسكر في بني كعب . مقدما رجلا ومؤخرا أخرى ، وكان ذلك في السنة الحادية عشرة للمigration النبوية الشريفة .

وعلم بذلك أبو بكر فبعث له بالقمعان ، وقال له : ياقمعان ، سر حتى تغير على علقة بن علابة ؛ لعلك أن تأخذه لي أو تقتلنه ، واعلم أن شفاء الشق العوص (١) ، فاصنع ما عندك (٢) .

فأغار القمعان على الماء الذي عليه علقة ، فاستبي أمرأته وبناته ونساءه ، وقدم بهم وبعلقة أسيرا على الخليفة ، ولكن ولد علقة وزوجه انكروا أنهم جاروا علقة في ارتقاده ! وكان أن عاد علقة بعد ذلك عن ردهه وأسلم قبل منه الخليفة اسلامه .

كانت مهمة بسيطة تلك التي اضططلع بها القمعان في حروب الردة ، ولكنها كانت كافية لتذللنا على مبلغ ثقة الخليفة الأول بالقمعان ، واعتماده عليه ، في تلك الظروف المصيبة التي عانت منها الدولة الإسلامية في أولى عهودها .



كانت أولى معارك المسلمين في أرض المعركة ، معركة « ذات السلاسل » – نسبة للسلاسل التي ربط الفرس جنودهم بها قبل بدء المعركة – والتي جرت بين المسلمين والفرس في شهر محرم من السنة الثانية عشرة هـ / 31 مبردة ٠

كان يقود جيش الفرس في هذه المعركة القائد الفارسي « هرمز » ، الذي عرف عنه الخبرة والخديعة وكانت منطقة (الكافاظية) على الخليج هي ساحة القتال بين الجيشين ٠

وقد أضمر هرمز لخالد الخديعة ، فاوعز لبعض جنده بأن يتربصوا بخالد وما أن يروه مشغولا بالقتال معه ، حتى يسرعوا فيقتلوه غدرًا ، فيفت ذلك في عهد جيش المسلمين ويدد شملهم ٠

وخرج « هرمز » من بين صفوف الفرس ونادى لخالد ليخرج لبارزته ، فخرج خالد ، وتقاتلا وهما راجلان ، ثم رمي السيف وتصارعا ، وحانَت الفرصة التي يتظاهرها جند هرمز للقدر بخالد ، فأسرعوا إليه ليقتلوه ٠٠٠ ولكن صفوف المسلمين اشتبكت عن فارس مقدم يسرع والسيف بيده يلحق بخالد ، وقد رأى جند الفرس يخفون للقدر به وهو مشغول عنهم بصراعه مع « هرمز » ٠

كان هذا الفارس المقدم القماع ، الذي لم يجد وقتاً لتبني أصحابه لنذر الفرس ، فأسرع بنفسه ليتندّ خالدا ، ووصل إليه قبل أن يتمكن منه جنود « هرمز » ٠ فأثبت القماع وهو لا يزال في أول معاركه ، قسوة ملاحظته وسرعة بديهته وحسن تقديره ، فكان أن خف لا نقاذ قائد و الدفاع عنه ورد كيد الفرس ٠ ورأى المسلمون صنيع القماع ، فعرفوا بأن الوقت قد حان

للهجوم ، فاندفعوا نحو الفرس بقوة وشجاعة وسرعاء ما التحريم الجيshan وسكن خالد في هذه المعركة من قتل قائد الفرس « هرمز » . لتنتهي المعركة أخيراً باتصار المسلمين وهزيمة الفرس ، وبهذا زرقتها نجم القماع يتلذّل في ساء المعارك ، والفتح الإسلامية ، مسجلاً أروع المفاخر : وأكبر الاتصالات ٠

وبعد هذا الاتصار المظفر ، انطلق خالد بجيش المسلمين نحو مدينة (المدار) ، على نهر دجلة ، ليتلقى بجيش فارس آخر كان ملك الفرس « أردشير » ، قد جهزه ووضع على رأسه القائد « قارن » ، لساندة جيش هرمز ، إلا أن هزيمة جيش هرمز ، جعلت « قارن » يحط الرحال في المدار ، بانتظار جيش المسلمين ٠

والتقى الجيshan ، وكان النصر حليف المسلمين ، وقد أنسد القماع بعد هذا الاتصار ، وكان بين صفوف المجاهدين :

فنحن وطننا بالكواظم (هرما)

وبالثني قرنى (قارن) بالجوارف (٤)

وتاتبعت اتصالات جيش المسلمين – وبين صفوفه فارستنا القماع – في أرض العراق ، والحق بالفرس العزيزة في معركة الولجة ، ومعركة اليسين وقد انضم للفرس في هذه المعركة عرب التماري الذين كانوا لا يزالون على ولائمهم للفرس – ، ثم انضموا إلى أبناء جلدتهم من العرب ٠

وقد استخلف خالد القماع على مدينة الحيرة ، وانطلق للقضاء على مقاومة الفرس في بقية أرض المعرق ٠

و هنا يلعب القمعان دوراً جديداً في تاريخ الدولة الإسلامية ، فهو أمير على مدينة الحيرة ، يحكمها و يدير شؤونها طبقاً للشروط التي استسلم عليها أهلها للمسلمين .

ولو لم يكن للقمعان الامكانيات والصفات التي تؤهله لحكم هذه المدينة الكبيرة من مدن العراق ، فما كان خالد ليختلف علىها ، وقد أثبتت الحوادث التي جرت فيما بعد صواب رأي خالد في استغلاله للقمعان على الحيرة .

على أن كتب التاريخ أغلقت هذه المرة أيضاً الحديث عن القمعان في خلال وجوده في الحيرة ، ولم يصر الفترة التي بقي فيها هناك والتحاقه بجيش خالد في فتوحاته المتتابعة بعد ذلك ما يبرر هذا الإغفال .

ووصلت للقمعان وهو في الحيرة أباء تجمع الفرس من جديد في الحصيد والختافس ، فكلفت « عبد بن مذكي » ، و « عروة بن الجند » ، بأن يطلقوا مع جندهما ليرصدوا تحركات الفرس في هاتين المنطقتين و يقياً على تعاشر معمم وقال لهما : ان رأيتكم مقدماً فأقادمًا^(٥) .

وكف خالد القمعان بعد ذلك بمحاربة الفرس في الحصيد ، وقد ارتجز القمعان بعد اتصاره على الفرس في هذه الموقعة :

الابلقا أسماء أذ خليلها
قضى وطرا من روزهر الأعاجم
غداء صحبنا ، في حصيد جموعهم
بمندية تفري فراغ العاجم^(٦)

واشترك القمعان بعد ذلك مع جيش المسلمين في قتال الفرس و حاميتهم ، في الميغ ، والثني

والزيل ، وحارب مع خالد حامية الروم على تخوم الامبراطورية الفارسية . وانتقل بعدها مع جيش خالد من العراق إلى الشام وبناء على أوامر الخليفة الأول في تلك الميرة المحفوظة بالمخابر التي تعجبها خالد وجنه في سبيل اللحاق بآخواتهم في الشام ، الذين بدأوا ببناؤه قوات الروم .

وكان أن نجح خالد وجيشه بالوصول إلى أرض الشام ، متبعين الأصطدام بحاميات الروم في طريقهم ، مختصررين مسافتات طويلة .

وببدأ خالد وجيشه - وفي القمعان - معاركم الأولى في أرض الشام ، بالاغارة على قرية « سوي » ، ثم مدينة « أرك » وتم لهم الاتصال على الحاميات الفارسية فيها ، وتمت المصالحة بين وبين أهل تدمر على دفع الجزية ، وأغار بعدها على « القربيتين » ، إلى أن وصل إلى مدينة البصرى ، ليشتراك مع جيش « شرجيل بن حسنة » ، في فتح هذه المدينة الهامة من مدن الشام . أما أولى أهم المعارك بين المسلمين والروم في أرض الشام ، فكانت معركة « أجنادين » ، التي جرت في شهر جمادي الأول من السنة الثالثة عشرة للهجرة ، وفيها انتصر المسلمون على الروم وشردوا جموعهم ، وقتلوا قائدهم (وردان) ، ومعاونه (القبلاز) .

وكانت هذه المعركة آخر المعارك التي جرت في حياة الخليفة الأول أبو بكر الصديق الذي توفي ودفن بجانب صاحبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتسلم الخلافة بعده عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ، بناء على عهد كتبه أبو بكر للمسلمين باستخلاف عمر .

وفي خلافة عمر ، جرت المعركة الكبرى بين المسلمين ، معركة اليرموك .

أرض الشام ، فكانت معركة فحل ، التي انتهت بانتصار المسلمين وهزيمة الروم ٠

على أن أكبر المعارك التي اشتركت فيها القمّاع بن عمرو ، كانت معركة القادسية ٠

كتب عمر الخطاب ، الخليفة الثاني للMuslimين ، إلى قائد جنده في الشام أبي عبيدة بن الجراح ، يأمره أن يعيد جيش العراق الذي قدّم به خالد بن الوليد بناء على أوامر الخليفة الأول في أولى معارك المسلمين على أرض الشام ، أن يعيده إلى العراق ليضم إلى جيش المسلمين الذي يستعد لملاقاة الفرس في القادسية . وامتثل أبو عبيدة لأوامر الخليفة وجهز الجيش وأمره بالعودة إلى أرض العراق ٠

وكان تعداد الجيش المائة ستة آلاف مجاهد ، وضع أبو عبيدة على رأس هذا الجيش « هاشم بن عتبة ابن أبي وقاص » ، وعلى مقدمته « القمّاع بن عمرو ، وعلى مجنبيته « قيس بن هبيرة بن يفوث المرادي » ، « والهزاز بن عمرو العجلي »^(٩) ٠

ولم يتمكن القمّاع من الاشتراك في معركة القادسية في أولى أيامها ، بل وصل إلى أرض المعركة في ثاني أيامها حتى استعد الجيشان - جيش المسلمين وجيش الفرس - للقتال من جديد ٠

فاليوم الأول اتّم وكلا الجيشين لايزالان في مواقعهما الأولى ، وقد ترك هجوم الفرس يومها على جناح المسلمين الأيسر الذي ترکرت فيه قبيلة (بعيله) ، وكان يقود هجوم الفرس قائد جناح ميمنة جيشهم « هرمزان » وجئنه ، يسانده « جالتوس » وجئنه ،

واشترك القمّاع مع جيش المسلمين في هذه المعركة ، وكان هو وعكرمة بن أبي جهل في مجنبي قلب جيش المسلمين ، وأوزع اليهما خالد - قائد جيش المسلمين - بيده ، القتال بعد أن مضت خمسة أيام على بدء المعركة والمناوشات والمبادرات مستمرة بين المسلمين والفرس ، فأثبت القمّاع القتال وهو يرتجز :

يالتنبي القاك في الطراد
قبل اعتراص الجحفل الوارد
وأنت في حيلتك الوارد^(٧)

وكان النصر حليف المسلمين في هذه المعركة الحاسمة ، فقد في قائد جيش الروم (باهاون) ٠ وقتل معظم قادتهم ، وسقط الكثير من جندهم في وادي الرقاد ، وقتل أكثرهم قبل أن يلوذ البقية بالفرار ٠ وساهم القمّاع بعد هذه المعركة ، في فتح مدينة دمشق ، وقد تصور مع خالد وعدي بن حاتم الباب الشرقي لسور مدينة دمشق ، وقضوا على حراس هذا الباب ، ليفتحوه لجند المسلمين الذين كانوا قد رابضوا أمامه ٠

وأشد القمّاع بعد فتح مدينة دمشق :
أقينا على داري سليمان أشهر
بحالد وما قد حموا بالصوارم

فضضتها بها الباب العراقي عنوة
فدان لنا مستلما كل قائم
أقول وقد دارت رحانا بدارهم
أقيموا لهم جز الذرى بالglasim
فلما زادنا في دمشق نحورهم
وتدمروا عضوا منها بالإباهم^(٨)
أما آخر المعارك التي اشتركت فيها القمّاع في

وأشتباك القمقاع مع «البيزان» ، وضربه ضربة قوية أطاحت برأسه ، وتمكن «الحارث بن ظبيان» ، من قتل «البندواز» أيضاً .

ووصلت بقية جند مقدمة جيش العراق الى أرض المعركة ، فازداد استشار المسلمين ، وقويت عزيمتهم ، ووقف القمقاع يقول لهم : «امعشر المسلمين ، باشرواهم بالسيوف ، فانما يقصد الناس بها ، وابتكر القمقاع في هذا اليوم حيلة ذكية ، فقد عد الى بعض إبل جيش المسلمين فألبسها وجللها بأقمشة مبرقة وجمل عليها بعض الفرسان ودفع بها الى أرض المعركة ، فكانت بتعركها تثير الفزع في قلوب الفرس ، وتتجفل خيولهم ، وأصاب الفرس بذلك ما أصاب المسلمين في أول أيام المعركة .

ولما رأت بقية القبائل أثر حيلة القمقاع ، حذرت حذوه فألبست بعض إبلها وجللتها بأقمشة مبرقة مما جعل خيل الفرس تفر من أرض المعركة ، مثيرة البلبلة والفزع بين الصنوف .

لقد حمل القمقاع في هذا اليوم من أيام المعركة ثلاثين حملة ، كلما لحق به عشرة من أصحابه ، يحمل حملة جديدة وهو يرتعز :

أزعجم عمداً بها ازعجا
أطمن طعنًا صائبًا ثاججا
أرجو به من جنة أفواجا

وفي كل حملة حلما القمقاع كان يقتل فارساً من فرسان الفرس وكان آخر من قتلهم : بزر جمجم المذاني ، وأنشد القمقاع في ذلك :

جبوته جياشة بالنفس
هداة مثل شعاع الشمس

وقد أزعج - في ذلك اليوم - منظر الفيلة التي استخدمها الفرس في هذه المعركة ، خيل المسلمين ، فكانت تفر من أرض المعركة ، ولا يملك الفارس المسلم عناها ، إلا أن «عاصم بن عمرو» (شقيق القمقاع) ، استطاع مع زملائه قطع الأربطة التي شد بها الفرس الصناديق المحشدة برماتهم على ظهر الفيلة .

وصلت أولى طلائع جيش العراق والعايد من أرض الشام مع اشارة شمس ثاني أيام المعركة ، وكان على رأس جند الطلائع القمقاع بن عمرو .

كان تعداد جند المقدمة ألف مقاتل ، قسمهم القمقاع الى عشرات ، وأمرهم أن ينطلقوا بهذا الشكل كلما بلغ عشرة منهم مدى البصر لحق بهم عشرة أخرى وهكذا .

وكان القمقاع على رأس أول عشرة ، وما أن وصل الى أرض المعركة حتى استبشر جند المسلمين وتشجعوا ، ووقف هو فيهم يشرهم بعزيزهم من المدد ويساوي من عزيمتهم ويقول لهم : يا أيها الناس ، إني قد جئتكم في قوم ، والله أأن لو كانوا بمكانتكم ، ثم أحسوكم حسدوكم حظوها ، وحاولوا أن يطيروا بها دونكم ، فاصنعوا كما أصنع .

وسرعان ما بدأ بعدها القتال ، وخرج القمقاع من بين الصنوف ونادي : من ييارز؟ فخرج اليه ذو العاجب ، فقال له القمقاع : من أنت؟ فأجابه : أنا بمن جاذبية ، فصرخ القمقاع : يا أئارات أبي عبد وسلط وأصحاب الجسر ، ووقف نعم بمن ، وأشتباك به ، وسرعان ما قتله ، ووقف لينادي من جديد : من ييارز؟ فخرج له هذه المرأة اثنان من فرسان الفرس : البيزان والبندواز ، فأنضم الى القمقاع «الحارث ابن ظبيان» ، ليكفيه أحد الفارسين .



في يوم أغوات غليل الفرس

أنفس بالقوم أشد التحسر

حتى تغيب مشرقي ونبي (١٠)

واستمر القتال في هذا اليوم من أيام المعركة .
حتى بعد غروب الشمس ، وكان سعد بن أبي وقاص
ـ قائد جيش المسلمين في القادسية ـ يستدل على
ـ سير المعركة من أصوات المسلمين التي تعلو مكثرة
ـ وبصدها في ظلمة الليل .

وفي ثالث أيام المعركة ـ يوم عباس ـ عمد القتال
ـ إلى حيلة جديدة يشد بها أزر المسلمين ، ويقوى من
ـ معنوياتهم ، ويجدد نشاطهم . فقد أوزع القتال لجنه
ـ الذين قدموا معه من الشام ، لينطلقوا إلى المكان
ـ الذي أنزلنا منه في ثاني أيام المعركة وأمرهم أن يقضوا
ـ ليثتم هناك وما أن يطلع الصبح حتى يعودوا إلى
ـ أرض المعركة ، وكانتهم مدد جديد وصل من أرض
ـ الشام ، ليساعد جند المسلمين في القادسية ۰۰۰

وقال القتال لأصحابه : إذا طلعت الشمس ،
ـ فأقبلوا مائة مائة ، كلما توارى عنكم مائة ، فليتبعوها
ـ مائة ، فان جاء هاشم فذاك وإلا جددتم للناس رجاء
ـ وجدا (١١) .

وانطلق جند القتال تنفيذاً لأوامرها إلى ذلك المكان
ـ وما أن اشرقت الشمس على أرض المعركة ، حتى
ـ لاح في الأفق فرسان المسلمين يتجمرون إلى أرض
ـ المعركة ، وكانوا جند القتال ، فكبّر المسلمون في
ـ القادسية ، وقد حسبوا بأن بقية جيش هاشم القادم
ـ من أرض الشام قد وصل ۰

ـ وأمر عاصم بن عمرو (شقيق القتال) ، جنده

ـ بمثل ما أمر القتال جنده ، فكان جند عاصم يهدون
ـ إلى أرض المعركة ، فيبعث مرآهم في قلوب المسلمين
ـ القوة ، ويشد من عزيمتهم ۰

ـ وما أن عاد جند القتال إلى أرض المعركة ، حتى
ـ وصل جيش هاشم من أرض الشام ، وعلم هاشم بما
ـ فعله القتال فعید هو أيضاً إلى تقسيم جنده إلى
ـ جماعات كل جماعة تضم سبعين رجلاً ، وأمرهم أن
ـ ينطلقوا إلى أرض المعركة ، وما أن رأهم جند
ـ المسلمين في القادسية ، حتى ازدادوا استثاراً وفراحة ،
ـ وبدأوا يهدون العدة لملائكة الفرس ۰

ـ وقد قدر الطبرى في كتابه تاريخ الرسل والملوك ،
ـ بأن صناعة القتال في اليومين الثاني والثالث من أيام
ـ المعركة ، قد أسهمت في ترجيح كفة المسلمين ، وساعدتهم
ـ على انتصارهم ۰

ـ دفع الفرس بأفاليهم من جديد إلى أرض المعركة
ـ في هذا اليوم ، بعد أن صنعوا أربطة جديدة ، وربطوا
ـ الصناديق عليها ، وملؤها بالجنود ، وأحاطوها بالفرسان
ـ متراكماً تكراراً محدث في أول أيام المعركة . وبعث سعد
ـ إلى بعض أسرى الفرس ، الذين أسلموا وانضموا إلى
ـ جيش المسلمين ، يسألهم عن مقتل الفيلة ، وقال لهم :
ـ هل لها مقابل ، فقالوا له : نعم ، المشافر والعيون لا ينتفعون
ـ بعدها ۰

ـ فأرسل سعد إلى القتال وشقيقة عاصم وقازان
ـ لهما : أكيانى الإيض . يعني أن يقتلا له الفيل الإيض ،
ـ لأن معظم الفيلة تألف هذا الفيل وتسير بازائه دائماً ۰

ـ كما أرسل سعد إلى « حمال بن مالك » و « الريل
ـ ابن عمرو » ، وقال لهما : أكيانى الفيل الأجرب ۰

وبدأت المعركة ، وانطلق القماع وشقيقه عاصم نحو الفيل الأبيض ، وعزم على النيل من عينيه في البدء ، فأختارا رمحين لينين ، وانطلق نحوه ، يحوط بهما أصحابهما ، ليكفوهما فرسان الفرس الذين يدافعون عن الفيل ٠

وسرحت الفرصة للقمعاع وشقيقه عاصم ، والفيل الأبيض متشاغل بالفرسان الذين يقتلون من حوله ، فرضعا رمحيهما في وقت واحد في عيني الفيل ، فماج الفيل واتنفس ، ورمى سائمه من على ظهره ، وأسرع القماع بعدها ليستل سيفه ليقطع خرطوم الفيل ، فوقق الفيل على جبه وسقط الجنود الذين كانوا في الصندوق من على ظهره ، فهمج عليهم أصحاب القماع وقتلوهم ٠

وكان أن ادنى كل من « الربييل بن عمرو » ، و « جمال بن مالك » ، مهمتهما ، ففقاً عن الفيل الأجرب ، وقطعاً خرطومه ففر الفيل من أرض المعركة ، وكان في أثناء فراره يصيب جند الفرس ويدوسهم ويبعث الذعر في قوسهم ، أما الفيل الأبيض فقد بقي مطروحاً على أرض المعركة ، يناله المسلمون بسيوفهم ورماحهم ، وهو عاجز عن الحركة لا يتصور ماحوله ولا يستطيع أن يدفع عنه أحداً ٠

وما أن بدأ الشمس تغرب ، حتى كانت أرض المعركة خالية من فيلة الفرس ، وأنشد القماع في ذلك اليوم :

خنس قومي مضرحي بن يصر
فلله قومي حين هزوا المواليا
وماخ عنها يوم سارت جموعنا
لأهل قدس يمنعون المواليا ١٢)

فإن كت قاتلت العدو فلت
فاني لالتي في الغروب الدواهيا
فيولا أراها كالبيوت بغيرة
أسمل أعينا لها وما قا ١٣)

واستمر القتال يومها الى بعد غروب الشمس ،
وطوال الليل ، وبات سعد قلقاً ، يرهف السمع لصوت
يصله ، ليطمئن على سير المعركة ، وكان أن وصله
صوت القماع أخيراً في النصف الثاني من الليل
وهو ينشد :

نحن قتلنا معشا وزائداً
اربعة وخمسة وواحداً
تحب فوق البد الاسودا
حتى اذا ساتوا دعوت جاهدا
الله ربى ، واحتزرت عاماً ١٤)

وفي آخر أيام المعركة - يوم القادسية - خاطب
القماع أصحابه وقد قدر بأن الساعات الحاسمة في
المعركة قد أذفت ، فقال لهم يشد من أزرهم ويبعث
فيهم الهمة والنشاط :

إن الدبرة بعد ساعة من بدأ القوم ، فأصبروا
ساعة ، واحملوا ، فإن النصر مع الصبر ١٥)

وعزم القماع على الوصول الى رستم في معسكره ،
فعجم اليه بعض فرسانه ، وشنوا هجوماً قوياً باتجاه
معسكر رستم ، - قائد جيش الفرس - والسير
الذي يجلس عليه ، ولم يمض وقت طويل حتى استطاع
القماع وفرسانه شق طريقهم من بين صفوف الفرس ،
واقربوا من معسكر « رستم » . ورأيت بقية القبائل
ما فعله القماع وفرسانه ، فتادوا فيما بينهم ، وحملوا
دفعه واحدة على الفرس . وما أن توسرت الشمس

الاكسرة في المدائن والذى كان يدعى الاييض ، فنادى ضرار بن الخطاب وقد رأى ذلك القصر على الشففة الشرقية لنهر درجة : الله اكبر ! ايض كرى ، هذا ما واعد الله وبسوله ^(١٧) .

عبر المسلمين نهر دجلة الى الضفة الشرقية ، نحو
المدائن ، وفي اثناء هذا العبور سقط أحد فرسان
المسلمين ويدعى « غرقدة » من على ظهر فرس لهشارة
فرآه القمّاع ، الذي عبر مع جند المسلمين النهر
باتجاه المدائن ، والذي يبدو أنه كان قريبا منه ، فهب
النجدة بكل المروءة والشهامة والنجدة التي عرفت عنه ،
وأخذ بيده وسجه حتى تبع كلّاهما في عبور النهر ،
فقتل الباري أحد فرسان المسلمين ، وقد رأى نجدة
القمّاع لأحد زملائه : أحجز الأخوات أن يلدن مثلك
يافققاع^(١٨)

ونجح المسلمون في عبور النهر، وأصطدموا بالفرس الذين تجمعوا في الضفة الشرقية لوقف تقدم المسلمين، واستطاع المسلمون التغلب على حامية الفرس ليتابعوا طريقهم نحو قصر كسرى ، ليدخلوه بعدها وقد استحوذت الحامية المدافعة عن الدفم العزبة .

وقد شارك القمعان بعد فتح (المائن) بمعركة جلواء، حيث حفر الفرس حول هذه البلدة خندقاً وتحصنا خلفه ليمنعوا المسلمين من الوصول اليهم، وسوروا الخندق بالاخطاب مدينة الرؤوس وجعلوا لهم منفذًا عبر الخندق لثلاثة يحصروا وأثسمهم خلف سور الخندق.

وكان تخرج من خلف الخندق كتيبة للفرس لقتال المسلمين ، وتدخل لتخرج واحدة غيرها لتابعة القتال، فهمال ذلك المسلمين ، وللحقيقة على وجوه أصحابه الفرقان والانزعاج فقال لهم : أهاتكم هذه ؟ فردوا

كبد السماء حتى تراجع جناح الفرس الأيمن الذي يقوده القائد « هرمزان » ، تحت ضغط هجوم جند المسلمين واندفعهم ، كما تراجع جناح الفرس الأيسر الذي يقوده القائد « البيزان » والقمقاع وفرسان المسلمين بزداده من اقتراها من مسكن رستم القائم في قلب الجيش الفارسي .

وانتهت المعركة أخيراً بمقتل قائد الفرس «رستم»، وهزيمة جنده ومقتل الكثيرين منهم.

وكانت هناك مهمة أخرى تتضرر الواقع بعد انتهاء المعركة واتصار المسلمين ، فقد أوكل سعد إلى القتال مهمة مطاردة فلول جيش الفرس المهزوم ، وقد صحب القتال شقيقه عاصم في هذه المهمة . وهكذا ساهم القتال بالنصيب الأكبر في تلك المعركة ، ونجح فيما ابتكره من حيل في شد عزيمة المسلمين وتشجيعهم ، ودب الذعر والخوف في قلوب جند الفرس ، كما قضى مع شقيقه عاصم على أكبر فيلة الفرس ، وأطعمها (الفيل الأبيض) ، وفي ذلك ما سكن المسلمين من الذهاب في أرض المعركة والقضاء على مشاة الفرس .

حقا ، كانت معركة القادسية ذروة أمجاد القعاع
ومناخره وبطولته .

وشارك القتال بعد هذه المعركة بعصار مدينة (بهر سير)^(١١) ، الذي اتهى بقرار الفرس منها عبر نهر دجلة ، إلى الضفة الشرقية إلى (المدائن) ، ليدخلها المسلمون ويجدواها خالية من أهلها حتى السفن التي كانت تستخدم لمبور نهر دجلة ، استخدموها الفرس ككراوة وإغاثة ، مما يقابله (سهيل)^(١٢) ، لأنها

لقد أشرف السلمون من هذه المدينة على نهر دجلة وعلى المدائن القائمة في الضفة الشرقية فلما لهم قصر

عليه : نعم ، نحن متكلمون وهم مريضون ، والكلال يخاف العجز إلا أن يعقب ، فقال لهم القعقاع باثاث فيهم الشجاعة والمهمة : إننا حاملون عليهم ولما جاهدوهم وغيرهم كانوا ولا مقلين حتى يحكم الله بيننا وبينهم ، فاحملوا عليهم حملة رجل واحد حتى تخالط طوهم ، ولا يكذبون أحد منكم ^(١٩) .

ونجح القعقاع في أن يجد له منفذًا نحو الطريق الذي أقامه الفرس على الخندق ، وطلب من أحد أصحابه أن ينادي : يامعشر المسلمين ، هذا أميركم قد دخل خندق القوم وأخذ به فأقبلوا إليه ولا يمنعكم من ينتكم وبينه من دخوله .

وشن ذلك النداء من عزم المسلمين وهو يحسبون أن أميرهم « هاشم بن عبدة » قد نجح في اجتياز الخندق — وكان الذي نجح في ذلك فعلا هو القعقاع وليس هاشم — وعليهم أن يهموا لنجدته ومساندته ، وأفلح القعقاع في بث الشاطئ والهمة في جند المسلمين بذاته ذلك ، وهو يعرف بأن جند هاشم لن يتركوه وقد عرفوا بأنه قد اجتاز الخندق ولا بد أنهم سيرعون لنجدته ومعهاته ، وكان ذلك فعلا ، تحمل المسلمين حملاتهم الأخيرة على جند الفرس الذين بدأوا يسترجمون من شدة ضغط المسلمين عليهم ، ووصلوا أخيرا ليجدوا القعقاع وأصحابه قد نجحوا في السيطرة على الطريق الذي أعده الفرس لاجتياز الخندق ، فتعاونوا سوية ودفعوا الفرس للمزيد من التراجع . واتهت المركبة باتصار المسلمين وتفرق شمل الفرس .

وأشد القعقاع بعد اتصار المسلمين على الفرس في جلواء :

ونحن قتلنا في جلواء اثابرا
ومهران اذ عزت عليه المذاهب

ويوم جلواء الواقعة افت بنو فارس ، لما حوتها الكتائب ^(٢٠)

وكانت آخر المعرك التي اشتركت بها القعقاع في حياة الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ، معركة نهاوند . ففي محاولة أخيرة لوقف المسلمين في أرض فارس ، جمع الملك الفارسي (يزدجرد) ، جيشاً فارسياً في نهاوند ، بلغ تعداده مائة وخمسين ألف فارسي ووضع على رأسه القائد (الميزان) وكان خليفة المسلمين عمر ، قد عزم على قيادة جيش المسلمين بنفسه لمحاربة الفرس في نهاوند ، إلا أن الصحابة الكرام أقنعوا بأن يولي أحد غيره قيادة هذا الجيش ، وإن في بقاءه في المدينة منفعة أكبر للجيش الحارب ولجمع المسلمين ، واستقر رأي الخليفة أخيراً على توليه « النعمان بن مقرن الوني » ، قيادة الجيش .

والتقى الجيشان في نهاوند ، كان على مقدمة جيش المسلمين ، « نعيم بن مقرن » ، وعلى جناحيه « حذيفة ابن اليمان ، وسويد بن مقرن » ، وعلى المعبر (الخليل) القعقاع بن عمرو ، وعلى الساقية (المؤخرة) مجاشع ^(٢١)

واثتبك المسلمون مع الفرس ، واستمر القتال طوال اليومين الأولين بเดنه ، وكلا الجيشين على موقفهما ، وفي مواجهة الأولى ، إلا أنه في اليوم الثالث ، و نتيجة لضغط المسلمين تراجع الفرس ليتحمروا بالخنادق التي حفروها حول مدينة نهاوند ، ويختبئوا خلفها .

وتشاور النعمان مع أصحابه حول التسken من الفرس بعد أن اختنروا بالخنادق ، فشارط عليه أحد أصحابه بأن يكلف ثلاثة من فرسان المسلمين بمناجزة الفرس ومناؤتهم ، ليخرجوهم من خلف خنادقهم ، ومن ثم يتراجع أولئك الفرسان من أمامهم ، فيظن

الفرس بأن المسلمين قد تكسروا على أعقابهم ، وانهم لا ذروا بالقرار . فيتحقق بهم الفرس ؛ ليفارقوا بعد ذلك بالسلمين وقد استعدوا لهم وخرجوا لقتالهم بالقرب من معسكرهم .

وأعجب النعمان برأى صاحبه ووافق عليه ، وكان أن وقع اختياره على فارسنا القعقاع ، لقيادة فرسان المسلمين الذين سيكلفو بمناجزة الفرس ومناوشتهم .

وانطلق القعقاع مع ثلاثة من فرسان المسلمين لتنفيذ المهمة ، وبقي لفترة من الوقت يقاتل الفرس الذين خرجوا له من خلف خنادقهم ، تراجع بعدها مع فرسانه من أمامهم ، وظل على تراجمه ، فحسب الفرس أن الفرصة واتهم ، فلحقوا بالقعقاع وأصحابه فرسان ، بعد أن غادروا إسكنthem خلف الخنادق ، ظنا منهم أنهمتمكنوا من جند المسلمين ماسلحاقوا بهم

المزيد . وكان أن عاد القعقاع وأصحابه فرسان إلى معسكر المسلمين الذين كانوا قد استعدوا للقتال وتجهزوا له ، وأمر النعمان جند المسلمين بـلا يغادروا مواقعهم ولا يقاتلوا حتى يأمرهم بذلك فامتنعوا لأوامرها ، واستر واعن أيدي الفرس . وكبر بعدها النعمان لجند المسلمين ، مؤذنا بيده القتال ، فاشتبك الجيشان ، وكان القتال شديداً والمركة حامية الوطيس ، والنظام يحمل راية جيش المسلمين يدافع عنها لتبقى مرفوعة خفاقة ، وغابت الشمس عن أرض المركة ، وببدأ الليل ينشر رداءه على صفحة السماء ، وكثر عدد القتلى من الفرس ، وملاط جثثهم ودمائهم أرض المركة ، حتى باتت الأرض لزجة ، ينزلق عليها الجنود والخيل من كثرة ماعليها من دماء ، وكان أن ازلى فرس النعمان في أرض المركة يومها ، وتسبب ذلك في مقتله ، وتناول راية جيش المسلمين من النعمان قبل أن تقع ، « نسيم بن

مقرب » ، وأخرج النعمان بعيداً عن أرض المعركة ، وغليبي بشوبه ، وكتم متنه عن جند المسلمين لثلاثيؤثر ذلك على معنوياتهم .

رغل النatal معتدماً بين المسلمين والفرس حتى أغلقت السماء ، تسكن عندها المسلمين من اختراق صفوف الفرس وتشتيت جويعهم ، فدب الذعر في قلوبهم ، وعدوا إلى القرار من أرض المعركة ، فلحق بهم المسلمون وتسكعوا من قتل الكثرين منهم قبل أن يلوذ البقية بالقرار .

وكان مننجا وفر من أرض المعركة « الفيزان » قائده جيش الفرس الذي انطلق نحو (همدان) ، فلحق به « نسيم بن مقرن » وبسبقه في ذلك القعقاع ، على أن « الفيزان » ترك فرسه ، وصعد العبيل القريب من أرض المعركة ، فترك القعقاع فرسه أيضاً ، ليلحق به ، وتمكن منه وقتله (٣٢) .

أما في خلافة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) ، كان القعقاع مقيماً في الكوفة ، ومن هذه المدينة انطلقت أول بوادر الفتنة والثورة على الخليفة ، وعامله « سعيد ابن العاص » .

وقد استغل أولئك الذين أرادوا عزل سعيد لسياسته المعرفة في الكوفة ، فرصة غيابه عن الكوفة ، فشاروا مطالبين بعزله وخلع الخليفة عثمان ، فخرج « يزيد بن قيس » ثائراً ودخل مسجد المدينة ، وجلس فيه واجتمع إليه أولئك الذين يتبعونه ، فما كان من القعقاع الذي كان حاضراً يومها إلا أن قام وانتقض على يزيد ، وأخذه منكراً عليه ما يطلب به من خلع الخليفة ، وعزل سعيد ، فقال له يزيد : إننا نستفي من سعيد . فرد عليه القعقاع بكل حزم وشدة : هذا مالا يعرض لكم فيه ، لاتجلس لهذا ولا يجتمعن إليك ، واطلب حاجتك ، فلموري لتعطينها (٣٣) .

فالقعقاع لم يرد أن يستغل أولئك الثنائيين فرصة غياب سعيد عن الكوفة ، ليعلنوا ثورتهم ، وبيتوا الفرقة والفتنة بين أهل الكوفة ، سعيد عامل الخليفة عثمان ، وطالما أبقاء عثمان فلا يحق لأحد أن يمزقه إلا بأمر الخليفة ، وعرض القعقاع على يزيد أن ينتظر عودة سعيد ، ولا بد من أن سعيد سيقضي له حاجته إن كان له حاجة ، أما الثورة والفتنة فهذا ما لا يرضاه القعقاع ولا يقبل به .

وفي رواية أخرى للطبرى : أن يزيد وقد اجتمع إليه أصحابه قال للقعقاع : ما سبلك عليَّ وعلى مؤلاه ! فوالله إني لسامع مطيع ، وإنى للازم لجماعتي إلا أنا استغنى ومن ترى من إمارة سعيد ، فرد عليه القعقاع متكرأً ما يطالب به ومستقره في الوقت نفسه : استغنى الخاصة من أمر رضيته العامة ؟ فقال يزيد : بذلك إلى أمير المؤمنين (٢٤) أي أن أمير المؤمنين هو الحكم في هذا الموضوع فإن قبل بعزل سعيد فهو الذي نعم إليه .

وكان أن استجاب الخليفة لمطالب أهل الكوفة ، وعزل عامله سعيد ، واستبدله بأبي موسى الأشعري . ولما استعرت الفتنة من جديد ، واتجه الشوار من أهل بعض الأمصار إلى المدينة ليناظروا وعشان في سياساته مره ، وليضربوا الحصار حول منزله في المره الثانية ، كتب عثمان إلى أهل الأمصار ليهموا لنجدته وكان أن خرج القعقاع من الكوفة لتجده الخليفة مع من خرج منها ومن بقية الأمصار .

على أن القعقاع تأخر بالوصول إلى المدينة ، وكان أن قتل عثمان . وأريق دمه الظاهر على صفحات القرآن الذي تتحم بين يديه يقرأ فيه . وفي خلافة علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه)

خرج القعقاع للانضمام إلى جيش علي . بعد أن تحدث لأصحابه في مسجد الكوفة حين قدم عليها الحسن ابن علي ، ليطلب مناصرة أهل الكوفة لأبيه ، قال القعقاع يومها : إني لكم ناصح ، وعليكم شقيق ، أحب أن ترشدوا ، ولاقولن لكم قوله هو الحق ، أما ما قال الأمير - يقصد الحسن بن علي - فهو الأمر لو أن اليه سيللاً ، وأما ما قال زيد - زيد بن صوحان ، الذي قدم من البصرة ، رسولًا للسيدة عائشة والزبير وطلحة إلى أهل الكوفة ، ينصحكم بعدم الانضمام إلى علي ، فزيد في الأمر فلا تستصحوه فإنه لا يتزع أحد من الفتنة طعن فيها وجري إليها ، والقول الذي هو القول أن لا بد من إمارة تنظم الناس وتزع الظالم وتعز المظلوم ، وهذا علي يلي بما ولـي ، وقد أنصف في الدعاء وإنما يدعوا إلى الاصلاح ، فانفروا وكونوا من هذا الأمر بررأي وسمع (٢٥) .

وكان القعقاع رسول علي إلى السيدة عائشة والزبير وطلحة الذين خرجوا مطالبين بالثأر لمقتل عثمان واختيار خليفة للمسلمين .

فقد أرسل علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) القعقاع رسولًا إلى البصرة لمقابلة السيدة عائشة والزبير وطلحة وقال له : ألق هذين الرجلين يابن الحنظلية ، فادعهما إلى الألفة والجماعة ، وعظم عليهمما الفتنة ، وسألة : كيف أنت صانع فيما جاءك منهما مما ليس عندك فيه رصاصة مني ؟ فرد عليه القعقاع : نقاهم بالذى أمرت به ، فإذا جاء منها أمر ليس عندنا منك فيه رأى اجتنبنا الرأى وكلمناهم على قدر ما نسمع وفرى أنه ينبغي . فأتى عليه علي قائلاً : أنت لها .

وخرج القعقاع حتى قدم البصرة ، وببدأ بالسيدة عائشة ، فاستدند ثم دخل عليها وقال لها : أى أمـة ،

التي قل متعها ونزل بها ما نزل ، فإن هذا الأمر الذي حدث أمر ليس يقدر ، وليس كالأمور ، ولا تقتل الرجل ، ولا النفر الرجل ، ولا القبيلة الرجل . فوافقوه الرأي وقالوا : نعم ، إذا قد أحسنت وأحييت المقالة ، فارجع فإن قدم على وهو على مثل رأيك صلح هذا الأمر . فرجع القمّاع إلى علي وأخبره ما كان بينه وبين السيدة عائشة والزبير وملحة .^(٣)

ولكن المفاوضات لم تمر ولم تصل بالفريقين إلى التسوية المرجوة ، فكان أن اقتلا ، في موقعة الطلاق عليها اسم موقعة الجبل ، نسبة إلى الجبل الذي كانت تربه السيدة عائشة ، وقد قاتل أصحابها من حونه بشدة واستبسال ، ولكن المركبة اهتمت بمقتل الزبير وملحة ، وبهزيمة أصحاب السيدة عائشة .

أما آخر ذكر للقمّاع ورد في كتب المؤرخين ، فكان ما أورده بخصوص ما قاله القمّاع عن معركة صفين وقد اشتراكه مع علي ضد معاوية وأصحابه ، وقد قال : ما رأيت شيئاً أشبه بشيء من قتال القلب يوم الجبل بقتال صفين ، لقد رأينا ندفعهم بأستنا وسكنى ، على أرجنتا ، وهو مثل ذلك حتى لو أن الرجال مشت عليها لاستقلت بهم .^(٤)

تلك هي حياة القمّاع بن عمرو ، فارس بنى تميم ، تلك حياته بكل شجاعة صاحبها وبطولة وعظنته .

لقد سطر القمّاع انصع الصفحات ، وخلف أطيب الذكر ، وترك أفضل الأثر ، فهو من أولئك الفرسان الذين سيقون مخرة عظيمة لنا ، لأمة العرب والإسلام ، التي ما بخلت على الدنيا بإنجاب خير الرسل ، وأعظم الأبطال ، وأشهر القواد .

كان القمّاع من صحابة رسول الله صلى الله عليه

ما أشحصتك وما أقدمك هذه البلدة ؟ قالت : أي بني ؛ أصلاح بين الناس ، قال القمّاع : فابعثي إلى طليعة والزبير حتى تسمعي كلامي وكلامها ، فبعثت إليهما فباء ، فقال لهاما القمّاع : إني سألت أم المؤمنين : ما أشخاصها وأقدمها هذه البلاد ؟ فقالت أصلاح بين الناس ، فما تقولان أتنما ؟ أتابعان أم مخالفان ؟ قالا : متبعان ، قال القمّاع : فأخبراني ما وجه هذا الاصلاح ؟ فواه لن عرفنا لصلحن ، وللن أنكرناه لا نصلح ، قالا : قتلة عشان رضي الله عنه فإن هذا إن ترك كان تركاً للقرآن ، وإن عمل به كان إحياء للقرآن . فرد عليهمما القمّاع : قد قاتلنا قتلة عشان من أهل البصرة ، وأتقى قبل قتلهم أقرب إلى الاستقامة منكم اليوم ، قاتلتم ستة إلا رجلاً ، فقضى لهم ستة آلاف ، واعتزلوكم وخرجوا من بين أنظركم ، وطلبتم ذلك الذي أفلت - يعني حرقوص بن زهير - فمنعه ستة آلاف وهم على رجل ، فان تركتموه كتم تاركين لما تقولون ، وإن قاتلتموه والذين اعتزلوكم فاذليوا عليكم فالذى حذرتم وقربتم به هذا الأمر أعلم مما أراكم تكرهون ، وأتقى أححيتم مضروريه من هذه البلاد ، فاجتمعوا على حربكم وخذلانكم نصرة لهؤلاء كما اجتمع مؤلاء لأهل هذا الحدث العظيم والذنب الكبير . فقالت أم المؤمنين : فتقول أنت ماذا ؟ قال القمّاع : أقول هذا الأمر دواؤه التسکن ، وإذا سكن اختجروا ، فإن أتقى بایتمونا فلامة خير وتبشير رحمة ، ودرك بشار هذا الرجل ، وعافية وسلامة لهذه الأمة ، وإن أتقى أیتم إلا المکابرة هذا الأمر واعتضاfe كانت علامة شر ، وذهباب هذا الثار ، وبعثة الله في هذه الأمة هزازها ، فأثاروا العافية ترزقها ، وكونوا مفاتيح ، وإن الله أني لا أقول هذا وأدعوكم إليه وإنني لخائف إلا يتم حتى يأخذ الله عز وجل حاجته من هذه الأمة

وسلم ، ومن أولئك الذين اعتمد عليهم الخلفاء
الراشدون فكانوا من قوادهم ورسلهم ، وجنودهم
الآوفياء ٠

وقد اكتفى الفموضع تاريخ ولادة القمعاع
ونشأته الأولى وكذلك اكتفى نهاية حياته ، وتاريخ
وفاته !!!

فمعركة صفين هي آخر المعارك التي اشتراك
فيها القمعاع وكان مع جند علي بن أبي طالب (رضي
الله عنه) وقتل بعد انتهاء هذه المعركة الى (الكونفة) ،
ليقيم فيها معتزلاً الأحداث ، ويقفي آخر أيامه وفي
خاطره ذكرى المعارك والفتورات والأمجاد التي سطّرها
بأحرف مضيئة من شجاعة وبطولة ونبل ٠

توفي القمعاع في السنة الأربعين للمجرة التبوية
الشرفية أي هذه السنة وصل القمعاع الى نهاية المشوار ،
وانتقلت روحه الى جوار ربها . إذانا بانتهاء حياة
صاحبها .

على أنا وقبل أن نختم هذه المقالة . لا بد أن
تحدث عن جانب آخر من جوانب شخصية القمعاع ،
تحدث عن القمعاع الشاعر .

لم نشر للقمعاع على أشعار قبل إسلامه ، وكل ما
نسب اليه من شعر كان بعد إسلامه ، وفي معرض
الحديث عن معارك المسلمين، واتصالاتهم وفتوراتهم
لقد كان شعر القمعاع مرآة صادقة عكست كل
ظاهرات البطولة والشجاعة التي ابدتها وقومه في
المعارك ، وسجلاً دقيعاً لتفاصيل الأحداث وتتابع
الاتصالات التي اشتراك فيها مع جيش المسلمين في
العراق والشام ٠

لم يترك القمعاع مناسبة لتصوير حبها والمسلمين ،

وحسن بلائهم ، وعظمة تضحيتهم ، إلا وصورها
وتتحدث عنها ، كان اتصار المسلمين لا يكتفى إلا برسم
هذه الصورة ، وجهادهم لا يوف حقه إلا بالإشارة بما
فعلوه في ساحات القتال ٠

وعلى الرغم من كثرة ما أنشده القمعاع من
أشعار . إلا أنها لم نثر له على قصائد متكاملة ، وكل
ما ذكره المؤرخون ، أبيات شعرية ، ارتجزها في المارك
وعند اتصار المسلمين على أعدائهم ٠

وقد اقتصر شعر القمعاع على غرض واحد ،
غرض تصوير المارك والاشادة بشجاعة المجاهدين
وبطولتهم . ورثاء من استشهد منهم ، حتى لستطيع
أن نطق على شعره شعر الفتوح بالدرجة الأولى ٠

فنحن لا نثر للقمعاع على شعر الحنين مثلاً ،
وقد عزاه بعضهم لوجود جموع كبيرة من أبناء عمومته
معه في حرب العراق . ووجود زوجته معه كذلك ٠

كما لا نثر على شعر يتحدث عن حياته الخاصة ،
أو عواطفه الشخصية ، ولمل حياة الجهاد التي أرادها
القمعاع لنفسه لم تترك له المجال ليتفتت الى حياته
الخاصة وعواطفه الشخصية ٠٠٠

كان شعر القمعاع ، واضحاً ، بسيطاً صادقاً لا
غموض فيه ولا تقييد ، ينساب بكل هدوء وجزالة ،
يؤثر في النفوس ولا يتكلّفها أي جهد أو عناء ٠

وهذه بعض من أشعار القمعاع نسوقها لتكون
الصورة متكاملة عن هذا الفارس الشاعر ٠

فيعد اتصار المسلمين المظفر على جيش الروم في
معركة اليرموك ، يقف يشد مفاجراً باتصاله جيش
المسلمين مذكراً باتصالات هذا الجيش في أرض

القمعان مفاخرًا بقومه ، بأجداده ، وأبائه الشجعان ،
وكيف أنه سار على خطاه في طريق العد والبطولة
والشجاعة ؛ وكيف أن قبيلته تطلقت خلف قائدتها في
زحف جرار لا آخر له ٠٠٠

وفي فعل كانت مأساة الروم ، فقد هزموا شر
هزيمة : وتناثرت جموعهم في مياه المستنقعات .
والملائكة ينالون منهم بالسيوف والرماح ، وأنشد
رسول :

كم من أب ورثت فعاله
جسم المكارم بعره ييار
ورث المكارم عن: أسوه وحدة

ورث المكارم عن أبيه وجده فبنى بناءهم له استبصار

فَبَنِيتْ مَجَدِهِمْ وَمَا هَدَتْ
وَبَنِي بَعْدِي أَنْ بَقُوا عَمَار

مازال منا في الحروب مروس ملك يفبر وخلفه جرار

**بطل اللقاء اذا الشفاعة توكلت
عند الشفاعة مجريب مظفار**

وَغَدَةٌ فَحْلٌ قَدْ رَأَوْنِي مُعْلِمًا
وَالخَلَاءُ تَحْطَطُ وَالبَلَاءُ أَطْلَمَا (٣٣)

يُنْدِي بِلَائِي عَنْهَا مَتَكْلِفٌ سُلْطَانُ الْمَاسِرِ عُودَةٌ خُوارِ

سلس المياسر ما تسامى ما قطا
عن $\text{\textcircled{z}}$ الهازن معه عن ا. (٣٤)

مازالت الخيل العراب تدوسم
فـ حـمـ فـ حـلـ وـ الـ هـاـ مـ اـ رـ)٣٥(

العراق . متحدثاً عن تابع الفتوحات وسقوط معاقل الروم ومدنهما أمام زحف جيش المسلمين ، راسماً صورة بطلية لهذا العشير الذي تباهت انتصاره .

وكيف انتهى الحال بجند الروم . وقد لحقت
هم المهزيمة ، وسقطوا في وادي الرقاد (الواقعية) ،
لنسق ذكر هذه اللحظة التاريخية مسطراً أبداً الدهر :
نقوش :

السم ترنا على اليرموك فزنا كما فزنا ب أيام العراق

فتحنا قبلها بصرى وكانت
محرمة الجناب لدى العناق (٤٨)

وَعَذْرَاءُ الْمَدَائِنِ قَدْ فَتَحْنَا
وَمِمَّ حِلَالٌ الصَّفَرُ بْنُ عَلِيٍّ الْعَتَاقُ (٢٩)

قتنا من أقام لنا وفتنا
نعيشه بأساف رقاق (٣٠)

قتلنا الروم حتى ما تساوى
على الله به كثرة وفاة العادة

ففضلا جمعهم لما استمالوا
على المأومة التي ألقا

غداة تها فتوافيهها نصاردا

وكانت موضوعات الفخر هي أكثر ما انشد فيها القمعان الشعر ، كيف لا ، والنصر كان حليفه في كل الملاك التي اشتراك بها . واعظم التوحاش الإسلامية وبابدها أثراً قد أسمم فيها ، فحق له بعد ذلك أن ينفر بسيطرته وشجاعته ، وبصنيع قومه .

فعد اتصار المسلمين في معركة فحل ، نشد

ابن عبد الله الليثي ، وعتبة بن فرقد السلمي ، وسماك
ابن خرشة الانصاري . لخطبة أروى ابنة عامر الملاية .
فسألت أروى شقيقها زوجة القمّاع أن تستشير لها
زوجها وقالت لها : استشيري زوجك أيهم يراه لنا ،
وحين استشارت زوجها قال لها : سأضعهم في الشعر
فاظترى لأختك وأنشد يقول :

إذ كنت حاولت الدارهم فانكعي
سماكاً أخا الأنصار أو ابن فرقد

وإن كنت حاولت الطعام فيسي
بكيراً إذا ما الخيل جالت عن الردى
وكلام في ذروة المجد نازل
نشانكم إن البيان عن الغد

الهوامش والمصادر :

- (١) الموسوعة :
١) تاريخ الرسل والملوك : للطبرى ج ٢ ص (٢٦٢)
الناشر دار المعرفة بمصر .
- ٢) تاريخ الرسل والملوك : للطبرى ج ٢ ص (٢٤٧)
الناشر دار المعرفة بمصر .
- ٣) تاريخ الرسل والملوك : للطبرى ج ٢ ص (٣٦٥)
الناشر دار المعرفة بمصر .
- ٤) تاريخ الرسل والملوك : للطبرى ج ٢ ص (٣٧٩)
الناشر دار المعرفة بمصر .
- ٥) مجمع البلدان : ليافوت الحموي ج ٢ ص (٢٦٧)
الناشر دار صادر بيروت .
- ٦) تاريخ الرسل والملوك : للطبرى ج ٢ ص (٣٩٨)
الناشر دار المعرفة بمصر .
- ٧) تاريخ مدينة دمشق : لابن عساكر . المجلدة الاولى
من (١٨٥) . الناشر المجمع العلمي العربي بدمشق .

حتى رمين سراهم عن أسرهم
في روغة ما بدها استمرار

يوم الرداع بعيد فعل ساعة
وخر الرماح عليهم مدرار

ولقد برأنا في الرداع جمومهم
طرا ونحوه تشخيص الابصار

وفي الرثاء ، نجد القمّاع يهتز لقتل أحد أصحابه
في معركة القادسية . والمسلمون لا يفلون شيئاً سوى
انتظار تكبيرة سعد ايذاناً ببدء القتال ، فيثورون وينقضون
ويحملون على الفرس ، عليه يُشفى غليله ويثار لصاحبه ،
ليرثيه بعد انتهاء المعركة وهو ينشد :

سقى الله يا خروصاء قبر ابن يمر
اذا ارتحل السفار لم يرحل

سقى الله ارضاً حلها قبر خالد
ذعاب غسود مدجنات تجلجل

فاقتلت لاينفك سيفي يحسم
فاذ زحل الاقوام لم ازحل

وفي الوصف ، نلمس مهارة القمّاع في رسم الصورة
الواضحة البلينة المبررة ، فتقرا شره وينخل لنا بان
ما يصفه مائل امامنا يكاد أن ينطق
٠٠٠

ومن أطرف ما قاله في الوصف ، وصفه ثلاثة من
خرسان المسلمين تقدموا لخطبة شقيقة زوجه ، فبعد
اتهاء معركة القادسية تقدم أولئك الفرسان وهم : بكير

- (٢٢) تاريخ الرسل والملوك : للطبرى ج٤ ص (١٣٣) .
الناشر دار المعارف بمصر .
- (٢٣) تاريخ الرسل والملوك : للطبرى ج٤ ص (٣٢١) .
الناشر دار المعارف بمصر .
- (٢٤) تاريخ الرسل والملوك : للطبرى ج٤ ص (٣٤٦) .
الناشر دار المعارف بمصر .
- (٢٥) تاريخ الرسل والملوك : للطبرى ج٤ ص (٤٨٤) .
الناشر دار المعارف بمصر .
- (٢٦) تاريخ الرسل والملوك : للطبرى ج٤ ص (٤٨٩) .
الناشر دار المعارف بمصر .
- (٢٧) تاريخ والرسل الملوك : للطبرى ج٤ ص (٥٣٢) .
الناشر دار المعارف بمصر .
- (٢٨) ويقال لدى العناق . والعنانق النجم الاوسط من
بنات نعش الكبرى وهي توصف بالبعد والخفاء . يقصد
انها في اشتغالها وبعدها على الفرازة كانها عند العناق .
- (٢٩) يقصد بالعنانق : عنانق الخيل
- (٣٠) رفاق : الرقيقة . والمقصود انها سيف رقيقة
ناظمة الحد .
- (٣١) البشر : المقصود بها السيف .
- (٣٢) الدواو : الابلاء والتجربة .
- (٣٣) معلما : ذو علامة . تحاط تحط نحيطا : زمز .
والحط صوت الخيل من التقل والاعياء
- (٣٤) الماقط : المصيق في الحرب .
- (٣٥) المبا : الفبار . او ما يشبه الدخان .
- (١) تاريخ الرسل والملوك : للطبرى ج٢ ص (٥٤٢) .
الناشر دار المعارف بمصر .
- (٢) تاريخ الرسل والملوك : للطبرى ج٢ ص (٥٤٧) .
الناشر دار المعارف بمصر .
- (٣) تاريخ الرسل والملوك : للطبرى ج٢ ص (٥٥١) .
الناشر دار المعارف بمصر .
- (٤) خام : تكعى وجبن . قديس : اسم حصن في
القادسية ، كان سعد يشرف منه على ارض المعركة .
حيث لم يشترك سعد في المعركة . راجع كتاب
التعقان بن عمرو ، لكاتب المقالة .
- (٥) تاريخ الرسل والملوك : للطبرى ج٢ ص (٥٥٧) .
- (٦) تاريخ الرسل والملوك : للطبرى ج٢ ص (٥٦٢) .
الناشر دار المعارف بمصر .
- (٧) القادسية : احمد عادل كمال . ص (١٧٦) .
الناشر دار النفائس - بيروت .
- (٨) بهر سير : من نواحي سواد بغداد قرب المدائن .
- (٩) تاريخ الرسل والملوك : للطبرى ج٤ ص (٨) .
الناشر دار المعارف بمصر .
- (١٠) تاريخ الرسل والملوك للطبرى : ج٤ ص (١٢) .
الناشر دار المعارف بمصر .
- (١١) تاريخ الرسل والملوك : للطبرى ج٤ ص (١٥٦) .
الناشر دار البلدان . لياقوت الحموي ج٢ ص (١٥٦) .
الناشر دار صادر بيروت .
- (١٢) تاريخ الرسل والملوك : للطبرى ج٤ ص (٢٧) .
الناشر دار المعارف بمصر .
- (١٣) معجم البلدان . لياقوت الحموي ج٢ ص (١٢٨) .
الناشر دار المعارف بمصر .



المظاهر الاجتماعية قاموس الصناعات الشامية

كتاب الفراس

جامعة البتانية

ولكن الصناعة ، اينما كانت ، وحيثما قامت ، مظهر كبير من مظاهر الحياة الاجتماعية . ولهذا رأينا في ثنايا هذا القاموس فوائد كبيرة تتعلق بالمجتمع الشامي ، فحاولنا احصاءها ، وجمعنها ، وربتها ، وصنفناها ، وانا لنرجو ان تكون قد بلغنا من ذلك بعض الخدمة لهذه المدينة العظيمة التي تشرفنا بالولادة على ارضها وبالانتماء اليها .

نصف الى ذلك ان هذا المعجم قد تضمن وصفا لاربعمائة وسبع وثلاثين صناعة . وقد اجريت احصاء تقريبيا ، فوجدت ان كثيرا من هذه الصناعات قد زال ، لما اصاب البلاد من تطور غير معاملها ، وقضى بان يستبدل ببعض الصناعات صناعات جديدة ، او ان تموت الى الابد . وهذا تخليد لما كانت عليه الحال قبل وقوع التطور الجارف ، فضلا عن انه يفسر كثيرا مما يغمض علينا من تسميات ما زالت قائمة حتى اليوم . مثال ذلك انه توجد في دمشق اسرة كريمة هي آل المحاييري ، فما هذه النسبة ؟ انها نسبة الى المحارة ، التي كان يمتنعها الحاج ، وتتوسط على

ليست هذه الدراسة استقصائية لظاهر الحياة الاجتماعية في بلاد الشام ، في فترة معينة فذلك ما تقتضي له غير ظروف هذا البحث والزمامته والاحاطة ، وانما هي دراسة معاودة في كتاب بعينه ، هو كتاب : قاموس الصناعة الشامية : الذي يقع في جزئين ، الف الجزء الاول منه محمد سعيد القاسمي المولود (١٩٥٩ - ١٨٤٣) والمتوفى (٢٣ شوال ١٣١٧ - ٢٢ شباط ١٩٠٠) . والجزء الثاني منه محمد جمال الدين القاسمي المولود (٨ جمادى الاولى ١٨٤٣ - ١٧ ايلول ١٨٦٦) بمدينة دمشق ، والمتوفى (٢٣ جمادى الاولى ١٣٣٣ - ١٨ نيسان ١٩١٤) بالاشتراك مع خليل العظم المولود (١٨٤٦ - ١٨٧٠) والمتوفى اواخر عام ١٩٣٦ .

طبع هذا الكتاب في دمشق عام ١٩٧٠، بعنابة المعهد التطبيقي للدراسات العليا . وهو كما ترى معجم لصناعات دمشق ، وليس كتابا في التاريخ، ولا في التاريخ الاجتماعي ،



ان لا يكون أول داخل الى السوق ولا آخر خارج منه .

وفي فصل آخر سماه « في الاشارة الى امهات الصناعات » صنفها فقال :

- الضروري : كالزراعة والبناء والخياطة والتجارة والحياة .

- وأما الشريفة بالموضوع : فكالتوليد والكتابة والوراقة والفناء والطب . وما سوى ذلك فتابعة وممتهنة في الغالب .

والذي يستدعي الانتباه هو ان يعمد المؤلف الى اعتبار صناعة « الفنان » الشريفة بالموضوع ، كالطبع والكتاب ، ولا سيما في ذلك العصر الذي كان الناس يتذمرون فيه الى الفنان نظرة ازدراء ، ولا يرتضون ذلك لوالدهم . ولكن اذا عرفت ان المؤلف كان موسيقيا وكان جميل الصوت ، وكان شاعرا ، اي انه كان فنانا عرفت لماذا اعتبر الفنان من الصناعات الشريفة بالموضوع ، مع انه لم يكن في حفل عام قط ، ولا في حفل خاص ، ولم يعرف انه كان جميل الصوت الا خاصة الفاسدة من الاصدقاء .

٤ - ما جاء في المقاموس

١ - الصناعات الخاصة بالنساء

في كل مجتمع صناعات خاصة بالرجال ، وأخرى للنساء ، وثالثة مشتركة بينهما . وقد احصيت الصناعات التي لا تتعاطاها الا النساء : فكانت :

١ - اسطه (٢) : وهي امرأة تغسل رأس النساء بالحمام .

الابل ، ويصنفها المحاييري ، وامثال ذلك كثير .
لا جناح علينا اذا نحن جهلنا التاريخ الدقيق الذي وضع فيه الكتاب ، لأن التاريخ الاجتماعي ، لا يحدد باليام والأشهر والستين ، وانما يشمل فترات وحقباً ممتدة . ومهما يكن من أمر فان مؤلف الجزء الاول قد أشار في بعض المواضيع من كتابه الى انه كتبها عام (١٣٠٩) (١) ، فالوصف الوارد في الكتاب اذن لا يبعده اوآخر القرن التاسع عشر المنصرم ، لأن مؤلفه توفي عام ١٩٠٠ م .

اما الجزء الثاني فقد ألف بعد وفاة مؤلف الجزء الاول ، قام بذلك ولده جمال الدين وصهره خليل العظم . وقد توسعنا في هذا الموضوع في مقدمة الجزئين المطبوعتين فارجع اليهما .

ان الدراسة التحليلية لهذا الكتاب يمكن ان تؤدي بنا الى بعض حقائق وواقع التاريخ الاجتماعي لبلاد الشام . ولنضرب أمثلة على ذلك :

١ - ما جاء في المقدمات

عقد المؤلف فصلاً سماه : « في ذكر بعض أداب الكسب والمعاملة » مبنية كلها على أحكام الشريعة الإسلامية وبعضها صلة وثقى بالتاريخ الاجتماعي . فهو يحدد أولاً الذين لا يجوز التعامل معهم ، وهم : الصبي ، والجنون ، والعبد ، والاعمى . وثانياً : ان يتحرى عند العقد الإيجاب والقبول . وثالثاً - ان يتمتنع عن الاحتكار . ورابعاً - ان ينصح في المعاملة . وخامساً - ان يحتنع عن الغبن الفاحش . وسادسها - الورع . وسابعها - ذكر الله تعالى في السوق . وثامنها -



« ثم يصنعون وليمة يوم الاسبوع ، ويدعون
الاهل والاحباب ، و يجعلون بها حلواء ، وتسمى
« كراوية » في مصطلح اهل الشام ... وهذه
المكرواوية من لوازم اسبوع المولود غالبا ، فهن لم
تصنعوا له ، لا يعترض به غالبا ، وينسب الى
الشمع ... وغالب الفقراء مع فقرهم يصنعنوها
يوم الاسبوع ... » .

ويوضح المؤلف عن واجبات الداية ، وواجبات
أهل المولود نحوها حين ختامه ، وحين ختمه
للقرآن الكريم ، وحتى زواجه ...

٤ - رسام (٥) ، اسم ملن يرسم القماش
المنسوج رقيقا كان او غير رقيق ، اي يطبعه
الطابع ، اي بقالب من خشب محفور بنقوش
مختلف الاشكال ، على حسب رغبة طالب الرسم
... ويشغل على الرسم بالحرير الملون ، وهو
المسمى بـ « التطريز » ، او القصب المسمى
بـ « الصرما » ، او بالصوف الملون ويسمى
« كناوشا » ... وغالب هذه الاشغال الان هي من
حرف النساء المخرجات من المدارس الرسمية ...
واظن ان هذه الصناعة قد انقرضت في
زماننا ...

٥ - غسالة : هذه الحرف مختصة بالنساء
الفقيرات : تدعى لبيوت الاغنياء لاجل غسل
وتنظيف الثياب ، فيأتين ويغسلن ما يكون لازما
غسله ، ثم يعطين اجرة على نسبة المفسول ...
ذلك اظن ان هذه الصناعة قد انقرضت ...

٦ - لطامة (٦) : هي من حرف النساء
المتهتكات . وفي الزمن السابق كانت رائجة جدا .

٢ - بلانة (٧) : من تخرج الاوساخ من
ابداتهن ، بنحو كيس وصابون . وغالب فقراء
النساء يغسلن بعضهن .

٣ - داية (٨) : هذه اللحظة ، في اصطلاح اهل
الشام ، اسم لامرأة عندها معرفة ومهارة في
صنعة التوليد ، وتسمى في اللغة « القابلة » .
وهذه الصنعة مختصة بالنساء في غالب الامر .

وبعد ان يصف الطلاق ، ويتحدث عن اشتداده
بعلامات تعرفها الداية يقول :

« تضعها الداية على الكربسي المخصوص ،
وتجلس أمامها ، وتدعو لها كثيرا بالخلاص
وخلقة الناس ، وتقول لها الداية : يا بنتي عيني
ولدك ، واحذرى على كيدك .. ثم ان انت بذكر ،
اي صبي ، قامت الافراح على ساق ، واظهرت
انوارها الليلية الملاحة بالاشراق ، وذهب البشير
لأخذ البشرة ، وأسمعت الزغاريت اهل الحارة ..
وان انت بانثى ذات الخدر والستر ، استوجبت
الهجر بلا اجر ، واستولى عليها الكرب في كل ليلة
إلى طلوع الفجر ، ولا يزالون في العناء والحضر ،
اكثر من مدة شهر .. » .

وبعد ان يوضح المؤلف ما تفعله الداية مع
النساء والمولود ، من مبادرات واحتياطات يقول:
« وهذه كلها ادواء نجد الديايات ابصر بدوائها .
وكذلك ما يعرض للمولود مدة الرضاع من ادواء في
بدنه الى حين الفصال ، اي الفطام ، نجدهن
ابصر بها من الطبيب البارع ... » .

ويمضي المؤلف بعد ذلك ليتحدث عن اكرام
المضيوف المهنيين فيقول :



واما الان فقد اصبحت كاسدة ، قليل محترفاتها :
 لانصباغ الزمن بغير الصبغة الماضية ، تمدنا :
 وعادة وتقلیدا . ومع ذلك ، فلا يزال طوائف منهن
 يذبن للندب فيندبن . وذلك عندما يموت أحد
 الاغنياء فيأتي أهله باللطمات ... وهن مؤلفات
 من أربع الى عشر نساء ، يلبسن الثياب السوداء ،
 ويسخمن وجههن وأيديهن بمسحوق الفحم :
 ويحللن شعورهن على أكتافهن ، ويدرن بأطراف
 الدار ، وهن كالرئيس ، واهل الميت حولهن
 كاللاميذ فيأخذن باللواويل والصراخ والبكاء
 والنحيب والتسب ، ويعددن صفات الميت
 ومحاسنه ، وما كان عليه في حال حياته من بره
 واكرامه وعطائه ، واحسانه للقراء واليتام ...
 ويساعدن على ذلك أهل الميت ، الى أن يبرج
 بالميته من الدار . وهذا مما نهي عنه في الشرع
 أشد النهي ، وأوعد فاعلات ذلك بالوعيد الشديد .
 وقدمنا ان في هذا الزمن قل هذا العمل جدا ،
 وأصبح نادرا وقوعه الا من اراذل الناس ...

كان هذا عام ١٣٤٥ هـ أما اليوم فقد بطل
 بالكلية .

٧ - ماشطة (٧) : هي الداية ، يطلق عليها
 هذا اللقب في وقت خاص هو ليلة زفاف الزوجة الى
 بعلها ، فان للداية ليلاً مركزاً مهما ، وعملاً
 وخدمة خاصين بها ، متوارثاً من الزمن
 السابق . وذلك ان كل بنت تزوجت ، تأتي ليلة
 الزفاف ذاتها معها ، لا تفارقها ابداً ، وهي التي
 تمشطها ، أي : تسريح شعرها ، وبذلك سميت
 «ماشطة» ، وتلبسها ثيابها ، وتزيينها باصناف
 الحل والحلبي والشكول . وما كان في تلك الايام

يقوم بهذه الامر الا الماشطة . وسببه عدم تنبه
 النساء لدقّة التزين بانفسهن وتغفلهن اما في
 زمننا هذا فقد أصبح المتكلف بتزيين المرأة اهلاً لها
 واقاربها ، وذلك لعموم التمدن ، واضمحلال
 التغلل . بل ربما تعد الان الماشطة عندهن
 مغفلاً ، اذ ترى تلك المسكينة منهن مالا تعهد به
 في غابر الزمانة الا الحضور يوم العرس فقط ،
 لاجل ان تستأنس بها العروس ، اذ بعد ان تزف
 الى زوجها ، وينصرف اهلوه عنه ، تكون على
 باب المدخل ، منتظره لندائها ، لغرضن لها ، من
 شرب ، او احضار امه او اخته او عمتها ، او
 الذهاب بالعروsoس الى قضاء حاجة ، او فرش
 الفراش ، وامثال ذلك . ولا تزال على باب
 العروسين الى الصباح ، ويكرّمها الزوج بمجمع
 انواع الحلوي ، مع شمعة عسلية ، ويضيف الى
 ذلك دراهم ، على قدر ثروة أصحاب العرس .
 ثم عقب المؤلف على ذلك بتتبّيه ، اشار فيه
 الى بعض العادات القبيحة وبعض الاعفاليّة
 التي كانت تقوم بها الماشطة ، منها معونة
 الزوج على غشيان اهله ، وكل ما يتعلق باسمور
 تلك الليلة ، ولا سيما المنديل الملوث بالدم وغير
 ذلك من القبائح ، التي تخالف الشرع والعقل ،
 ونهى عنها نهيا شديدا ، ونقل عن كتاب «كنوز
 الصحة» فصلاً كاملاً يتعلق بهذه الموضوع ، فيه
 ابصراح كامل للعادات القبيحة ، وجزء عنها ،
 ونهى عن ارتكابها .

٨ - محمرة (٨) : هذه الحرفة من حرف
 الفلاحة ، وتحتخص بالنساء ، وليس بحرف
 دائمة ، بل مؤقتة ، في أيام معلومة ، فان العادة



الى زوجها لابد ان تنقش يديها ورجلهما .
ويشتراك معها من يرغب من اهلهما وذويها ،
فيؤتى بالنقاشة قبل يوم الزفاف فتبأشر اولاً
بت نقش العروس وبعدها من يرغب من اهلهما ..
وكذلك زمن الاعياد يوجد من النساء والصفار من
ينقشون ايديهم ، وكذلك حين ختان الاولاد ايضاً .

ب - الصناعات الخاصة :

أورد أصحاب القاموس ، ذكر بعض
الصناعات ، وأشاروا الى أنها - على الأغلب -
من بعض فئات المجتمع العربي في الشام . وقد
عللوا لهذا الاختصاص حيناً ، وأهملوا التعليل
حين آخر ، من ذلك .

(- ترجمان (١)) : اسم لم يترجم اللغة
العربية الى التركية مثلاً ، او الى الفرنجية ، وهي
حرفة رائجة عندنا ، لا سيما من يترجم العربية
بالفرنسية ، واستعدون لهذه الحرفة فئة
عندنا في الشام . وذلك لكونهم اتقنوا تعلم
الالسن ، كالروماني ، والطلياني ، والافرنسي ،
والإنكليزي ، وغير ذلك .

وقد جاء المؤلفون على اصطلاح لا يعرف
الشام وهو « أبو خديجة » وذلك بقصد العمولة
التي يتقاضاها الترجمان حين شراء السباق بعض
ال حاجات من الاسواق ، فقالوا : « ومثله السمسار
ويسمى باصطلاح الباعة : أبو خديجة » . ومن
المؤكد ان هذا الاصطلاح ليس مرادفا للسسار ،
وانما هو العمولة التي يتقاضاها السمسار او
الترجمان ، وما زال الاصطلاح شائعاً على الالسن
حتى اليوم .

٤ - حلاق (٢) الحلاق حرفة كانت مشتركة

بدمشق ، في العاشر من شهر آذار ، يباشر أصحاب
الكرم في قرى دمشق بتحمير غصون الكرم .
والسبب في ذلك : انه يخرج في ذلك الوقت دود
صغرى من أصل العرائش ، حيث تكون طلعت عين
الكرم ، فتدخل تلك الدودة في محل عين العمل
فتأكله ، ويبقى الورق فقط ، فيأتي أصحاب
الكرم بالحرم .

ثم يوضع المؤلف طريقة المكافحة .

٩ - معشبة : هذه الحرفة من حرف الفلاحة ،
تختص بالنساء ، وليس بدائمة ، بل مؤقتة في
زمن الربيع ، عند خروج المزروعات ، يخرج منها
أنواع من العشب ، فيأتي أصحاب المزروعات
بالمعشبات ، ويأخذن بتعشيب تلك المزروعات .

١٠ - مقبة : هو اسم لامرأة تطبب رؤوس
القراع الذين يتقرح جلد رؤوسهم من الدمام .
والغالب يكونون من الأولاد الصغار . . . وهي
معالجة صعبة ، مؤلمة جداً ، يكاد الجمام يقتدر
للاقع من كثرة عوile ونحيبه حينما يعالج بها .

١١ - مسددة (٣) : هذه الحرفة في الغالب ،
يتلقنها القوابل . وأمر التمسيد مصطلح عليه
بدمشق ، حيث يحصل مع الأطفال سوء هضم ،
وقيء زائد ، مع عدم رغبة الطفل بتناول الثدي ،
فيستحضرون له الدایة ، ويحضرون لها قليلاً من
الزيت الطيب ، فيأخذن قليلاً من ذلك الزيت ،
فتطلي به معدة الطفل . . . والبعض من النساء
بدمشق قد اتخذن هذه الحرفة لهن مهنة ومعاشاً .

١٢ - نقاشة (٤) هذه الحرفة من حرف
النساء . وهي التي تنقش ايدي وارجل النساء ،
وذلك ان من العوائد بدمشق ان كل عروس زفت



الذين كانت ومازالت محلاتهم في الدرويشية ، ولا سيما في الطابق الأرضي من جامع السbahية فهم من غالبية الفئات .

٦ - صوفاناتي ^(١) : يائع الصوفان . والصوفان مشهور يأتي به التجار من البلاد الأجنبية ، فالبعض من الولاد . . . يحملون صندوقا من خشب . . يملؤونه من ذلك الصوفان ، وينادون عليه في الأسواق . . والغالب من الفلاحين يشترون من الصوفان ، ويرغبونه أكثر من الكبريت ، وذلك أولا لرخصه ، وثانيا لعدم انطفائه في البرية خصوصا اذا كان موجودا هواء .

٧ - عواد ^(٢) : هو من يضرب على العود بأصوله المعروفة مع اتقان الانغام . . والمحترفون بها الآن كثيرون : من كافة الفئات العربية يدعوهם من كان عنده وليمة للقيام بما يطلب المدعين .

ثم تطرق المؤلفون الى دور العود في المجتمع فقالوا : « والآن كثير من الاكابر والمتوسطين تعلموا الضرب على العود وأصبحوا يضربون عليه في بيوتهم » . .

٨ - قنواتي ^(٣) - شاوي ^(٤) : هو المحافظ على طوالع الماء ، وسير الدمنه . ويعرف في دمشق الشام بـ « الشاوي » . يفتش على الطوالع التي تحت نظره ومراقبته ، ويتعهد بها . . وهي حرفة مهمة ، لا يتعاطها الا البعض ، ولهم بها مهارة تامة . .

٩ - قهوجي ^(٥) : . . والبعض من يتعاطى

بين مختلف فئات المجتمع في الشام ولكن المؤلف حصن البعض بقوله : « وغالبهم من أهل الكتاب ، وهم الذين ترققا وأبدعوا في هذه الصنعة ، وتبعد عنهم غيرهم في التحسين » .

٣ - بويه جي ^(٦) : « وغالب أصحاب هذه الحرفة من الفقراء الشباب ، يدورون في الأسواق ، ومجتمعات الناس ، حاملين صندوقا من خشب ، ضمنه أنواع الفرشيات والبوبية المتنوعة الألوان كأسود وأصفر وأبيض ، وأنواع الزيوت ، كزيت السمك ، اللوز ، ويسخون النعال من أراد فيعطيهم كل على قدره . . »

٤ - خرقي ^(٧) : هو من يحترف بلقط الخرق من المزابل ، وأفنية البيوت ، والحارات ، فيأخذها ، ويغسلها وبعد ذلك يفرقتها ، فما يصلح لأن يخاطب بعضه ببعض فانه يخاطب ويعمل أكياسا وتتباع للطاريين . . وما لم يصلح للخياطة يباع للصرمائياته فيجعلونه حشو للصرامي .

والممتهن نفسه بهذه الحرفة القذرة يدورون في الازقة والحارات في الصباح . .

٥ - سمكري ^(٨) : هذه الصنعة في صنف التنك وقزازير الغار ، وهي تنطوي على عمل اشياء متعددة ضرورية : من عمل كيلات ، وأباريق ، ومصالح ، وفوانيس ، ودولات قهوة . . وسماورات الى الشاهي ، على . . وما أشبه ذلك . . واذا هي ليست بشريقة كما وضعها المؤلف في عصره .

قلت : كان هذا أيام المؤلفين ، أما الذي ادركته في دمشق ، فإن أصحاب هذه الصنعة



- وفي مادة خباز (١٤١/١) أشار المؤلفون الى « من يخرب سوقيا ، ومن يخرب بيتي » ، ولم يعد في المدن الكبرى خبز بيتي الا نادرا جدا .
- وفي مادة خزان (١٤٤/١) اشارة الى من يدخل الاقواب من الحبوب كالقمح وغيره وقد زالت هذه الصناعة بحصر ذلك في الدولة .
- رشاش (١٥٦/١) هو من يرش الماء في الاسواق التي أرضها من التراب ، ائلا يصعد الغبار الخارج من الأرض .. وله على كل دكان شيء معلوم يجمعه في كل شهر ...
- قلت : زالت هذه الصناعة منذ زمان بعيد ، وقد ادركتها في طفولتي .
- سائق (١٧٥/١) اسم من يؤجر نفسه لاحظ الطحانة بشيء معلوم كل يوم .
- وظيفته : نقل الطحنة والطحين على الحمير الى الطاحون ...
- قلت زالت لأسباب شتى ، أهمها حصر مادة الطحين بالدولة .
- ساعي (١٧٦/١) اسم يطلق على من يرسل بكتاب او غيره من بلد الى بلد ...
- قلت : زالت منذ زمان بعيد .
- سقاء (١٨٥/١) : اسم من يتعاطى نقل الماء أيام الانقطاع عن الدور ، فيأتي الناس بما يحتاجونه من الماء في كل يوم ... وفي سنة ١٩٣٢هـ - ١٩٠٧ قللت : واليوم لم يبق حمار ، ولم يبق عربات بعد ان منعت منذ أكثر من ثلاثين سنة ، واستعاض الناس عنها بالسيارات .
- المسكرات - والعياذ بالله تعالى - يذهب لجهة الباب الشرقي من مدينة دمشق ، حيث يوجد هناك قهاوي متعدد تعرف بالجتاين ، في باب توما ، وقادصودها يتعاطون القهوة مع الأراكيل والمسكرات ...
- ١٠ - مرابي (٢١) : هو من يقرض الناس بالزاید ، وكانت هذه الحرفة بدمشق قبل ، قليل محترفوها الموسويون وغيرهم . والآن مما عمت بها البلوى - نسأل الله السلامة - فقد أصبح كثير من الناس ، على اختلاف مللهم ، يحترفون بهذه الحرفة الخبيثة ...
- ١١ - نحات (٢٢) : هو من ينحت أنواع الاحجار ، حسب المرغوب وأصحاب هذه الصنعة بدمشق من المشهورين .

ج - صناعات زالت

- بعض الصناعات زال او كاد أيام المؤلفين ، وبعضها زال في أيامنا هذه او قبلها بقليل .
- وسنرى ما جاء في القاموس في الاسطر التالية :
- حجام (٩٥/١) : والحجامة باخراج الدم ، الآن قد ندرت جدا ، الا لضرورة شديدة لمنع الاطباء الناس في هذا الزمن عن اخراج الدم ...
- حمّار (١٠٦/١) وهذه الحرفة كانت قبل ظهور العربات كثيرة ورائجة جدا ... فلما ظهرت انربات استغنوا غالب الناس عن ركوب الحمير، وصاروا يستأجرون العربات ...
- قلت : واليوم لم يبق حمار ، ولم يبق عربات بعد ان منعت منذ أكثر من ثلاثين سنة ، واستعاض الناس عنها بالسيارات .



قلت : المراد بجلب ماء الفيجة هو السبلان العامة التي وجدت في الشوارع ، لا مده الى البيوت بذلك كان عام ١٩٣٦ ، هذا من جهة ، ومن جهة اخرى فان السبلان التي اقيمت في الشوارع ، أي المناهل العامة ، لم تكن تكفي في حي المهاجرين ، ولذلك بقىت فيه حرفة السقاء الى عام ١٩٣٦ كذلك في أيام انقطاع الماء عن البيوت بسبب تعزيل الانهار وكربيها ، لم تكن السبلان تكفي بذلك كان السقاون موجودين ، وقد ادركت ذلك بنفسها في جميع احياء دمشق .

- شعال (٤٥٦/٢) : يستخدم في الجوامع ، واكثرهم يستخدم في البلدية ٠٠٠ يسلم اليه كمية وافرة من القناديل ، فعند الصباح يتقدّمها بما يلزمها من : غسل ، ومسح ، وتزييت ، وقص فتائلها ، وعند الغروب يباشر في تنويرها ، وغبة صلاة العشاء في الجوامع ، وطلع الفجر في البلدة يطفئها ٠٠٠

قلت : قضى عليها تمديد الكهرباء .

- شيال (٤٦٣/٢) : هذه الحرفة تطلق على من كان عنده بعض من الجمال ، يحمل عليها من أزاد الحج في موسمه ٠٠٠

قضت عليها السيارة والطياره .

- الصوجي (٤٧٣/٢) : بائع الماء ٠٠٠

انتهت بوصول مياه الفيجة الى الدور .

- طبال (٤٨٨/٢) ويقال له «المطلب» ، وهو بن يضرب على الطبل بكيفية معروفة ، يتوارثها أهل بالتعلم من المهرة فيها . ويعرف به «بالمرمجي» ٠٠٠ يدعون في الاعراس والختان لاجل الدق في الطبل طربا ، وجمعا لاهالي القرى

وما جاورها ٠٠٠ و «ابو ناعسة» - وهو أحد النور - يلقي لهم أصناف السخريات المضحكه والالاعيب ، وأيضا في أيام الاعياد ، وأيام جمع ثمر الزيتون والزبيب ، وقيام الاغلال من البيادر ، يدورون يطبلون وينغون ، فيعطيهم أصحاب الرزق ، كل على قدره ٠٠٠

زالت من المدن ، وبقي لها بعض الآثار في القرى .

- طرابيشي (٤٩٢/٢) : بائع الطرابيش ، والقائم بكيفها .

لم يبق منها الا القليل .

- طنبرجي (٤٩٤/٢) : هو سائق الطنبر . وقد زالت بسبب المركبات الآلية الحديثة .

- طيان (٤٩٦/٢) : في هذه المسادة أشار المؤلفون الى «الزريقة» و «العدسة» . وقد قضى عليها الاستمنت .

- عربيجي (٣٥٠/٢) الغيت العربات منذ أكثر من ثلاثين سنة في دمشق ، ولم يبق لها أثر . وكان من المستحسن أن يبقى فيها على عدد محدود ، كما هي الحال في العاصمة الكبرى ، كباريس وروما ولندن .

- عشار (٣١٠/٢) : هو من يشتري اعشار القرى من الحكومة (متلزم) . وقد زالت بعد تنظيم دوائر الجباية في وزارة المالية .

- عكام (٣١٨/٢) : هو رجل من أهل الجلد والقوة على المشي في القفار والاوغار ، يستخدم باجرة معلومة عند المقوم في سفر الحاج ، يسلمه



قال المؤلفون : وكانت في الزمن السابق رائجة جدا ، وذلك قبل وجود الماكنات التي تخرج الحب ، الحادثة منذ خمس عشرة سنة (أي عام ١٣٠) على الأقل ، ان لم يكن ذلك قبل () .

- **مقوم (٤٦٥/٢) :** هو من يتعهد بمشال الركب الحجازي حين قصده السفر لجهة الحرمين الشريفين . وصاحب هذه الحرفة يكون مستعداً لوجود عدد واخر من الجمال تكون عنده ، مع جميع ما يلزمها من عدد ، وهي : الخيم ومعداتها والخيوت ، والمحاير ، والشباري وغيرها ، للركوب بها ، مع وجود أنواع الخدمة ، والتخطوت ، من عكامة وغلمان ، وطباخين ، ومهاترة ، وسقاية ، وغير ذلك .
زالت كما زال غيرها من حرف الحجج البري القديم .

- **مكارى (٤٦٦/٢) :** هي اسم ملن يكون عنده دواب ، من خيل وبغال يؤجرها للركوب ، وحمل البضائع عليها من بلد الى بلد . وكانت هذه الحرفة في الزمن السابق رائجة جدا ، وذلك قبل حدوث الشمندوفير (القطار) بدمشق () . فهذا اجمعه أصبح مفقوداً .

- **منادي (٤٧١/٢) :** هو اسم ملن يرفع صوته بالنداء ، بما يرغب مستأجره في الاسواق ، فتارة يستأجره من يكون فقد له طفل صغير ، او حاجة مهمة ، او دابة ، فيدور صاحب الحاجة والمنادي معاً في الاسواق والارقة ، وينادي المنادي بما اصطلاح عليه من النداء () .
زالت مع تطور وسائل الاعلام : الصحف ، والاذاعة ، والتلفزيون ، وغيرها .

جمالاً ، وعليه المحارة ، يركبها شخصان ، يسحب الجمل بهما في الطريق ، ويتولى خدمتها ، وكل ما يلزم الراكبين المذكورين من طبخ وغيره في اثناء سفرهما () .

زالت بزوال الحج على الجمال .

- **قولجي (٣٧٣/٢) :** من يحافظ على بيادر الغلال ، يستأجره العشار () .
انتهت بتولي الدولة الجباية مباشرة .

- **قاوووجي (٣٧٣/٢) :** هو صانع «القاوويق» التي انقرضت من نحو نصف القرن الماضي ، وانقرض صناعوها ، ولم يبق الا رسمها () .
هذا ما قاله المؤلفون .

- **مزركش : مزركش (٤١٩/٢) هذه الحرفة أصبحت في عصرنا هذا مفقودة بالمرة () .**
ذلك أن الاقدمين كانوا يرغبون بوضع عروق وقطع مصنوعة من خالص الفضة على المفروشات - **جهازات العرسان** - فرب أن يصنع الصانع تلك العروق الفضية وينقتها ، تسلم الى المزركش مع وجوه الفرش ، فيوضع عليها تلك العروق الفضية وينقتها ويغطيها () .

- **محايري (٤٤٠/٢) :** هو من يصنع المحاير وهي من الخشب ، على صفة السرير ، تعمل محامل الحجاج حين سفرهم للحجاج ، وتسمى الواحدة محارة ، تسع الشقة () .

- **من المحارة فراش شخص واحد ، مع ما يلزمها من الثياب ، ومطرة للماء ، وغيرها () .**
انتهت بحدوث الوسائل الحديثة لنقل الحجاج .
- مدري : (٤٤٤/٢) : هو من يخرج الحب من التبن () .



- مهتار (٤٧٤/٢) : المهتار يستخدم عند المقوم حين موسم الحج .. ووظيفته القيام على خيم الحجاج الموجودين عند المقوم، من أمر نصبها عند النزول الحجاج إلى الراحة ، وفكها عند سير الركب ..
- انتهت مع ما انتهى من حرف الحج البري القديم .
- نخاس : هو من يتجر بالرقيق .. وهذه الحرفة كانت رائجة ، أما الآن فقد بطلت بحمده تعالى ، وأصبح من يختلس الاتجار بالرقيق نادرا جدا .. ومتى شعر به يجازى ، ويحرر ذلك الرقيق .
- لا لا (٤٩٩/٢) : هو مربي أولاد الوزراء والامراء والكرياء .. انتهت بتعميم التعليم الابتدائي .
- ياسرجي (٥٠١/٢) : هو دلال العبيد والاماء .. قال المؤلفون : وبهذا الزمن نسخت بالمرة .
- د - شؤون متفرقة**
- في الكتاب شؤون كثيرة متفرقة نشير إلى بعضها ، في حدود المختصر الوافي :
- ففي مادة اجير أوضح المؤلفون أن الصناعات في دمشق كان للمختلفين بها ثلاثة مراتب : المعلم ، والمصانع والاجير . وأوضحاوا صفات كل واحد منهم (٣٥/١)
- وفي مادة اسكافي (٣٨/١) وهو من يخصف النعل القديمة اشار المؤلف إلى أن حصر تركيبة اسكاف ، اخرجوا من بين المتروكات كيسا فيه



- دمشق المسماى بـ « الدقائقين » ، وقد ازيل منذ سنوات ، وصار مكانه قهوة . وبسبب ازالته ان الجيرة تضجرت من كثرة الدق ، وزعم رؤساء البنائين بمجلس البلدية ان هذا الذي يضر بالبنيان والجدر ، فازير لهذا السبب . ثم تفرقت اهل هذه الحرفة الى خانات مخصوصة .
- وفي مادة ديمجي (١٤٨/١) اشار الى انها حرفة رائجة جدا ، الا انها كسوة اهل بلدنا وغيرها من القراء .
- وفي مادة دهان (١٤٨/١) ذكر الى حدوث تزيين جدران البيوت بالصور .
- وفي مادة راعي (١٥٦/١) خص المؤلف ذكرها ومنافعها .
- وفي مادة رمال (١٥٧/١) ذكر مساوىء ضرب الرمل ، الذي يعيش به هؤلاء الدجالون .
- وفي مادة زجاج (١٦٤/١) ذكر قيام أول معمل للزجاج عام ١٣٢٨ - ١٩١٠ تم التأمر على هذه الصناعة الوطنية العظيمة ، واغلاق المعمل .
- وفي مادة زمار (١٦٨/١) تحدث عن الجعيدي الذي يلعب القرود وي Zimmerman لها .. (٢٣٨/٢)
- وفي مادة زهوراتي (١٦٩/١) اشار المؤلف الى شرف هذه الصناعة ، واشاد بذوق اهلها ، وبذوق الشاميين في تزيين بيوتهم بأنواع الزهور ، وعنياتهم بها ، وان اكثير القائمين بهذا العمل ، هم من اهل الصالحة .
- وفي مادة سائنس (١٧٦/١) ذكر ان اكثير السياس من المصريين .
- وتوسيع في الموضوع في مادة ضر ضرمجي (٤٨٢/٢) ، وذكر انها محدثة ، وكيفية صنعها .
- وفي مادة حبال (٩٠/١) ذكر اصل المثل القائل : « طالعة على قنب دوما » وهو المثل الذي يضرب حينما يخون احد الشركين شريكه الآخر ، ويطهر الشركة بمظهر الخاسر .
- وفي مادة حمامي (١١٢ - ١٠٧/١) اشار الى اوصياع الحمامات وعمالها ، وعدد هم ، وأوضح عمل كل واحد منهم : الناطور - والتبع - والمصوبن - والقهوجي - والاجير - والوقاء - والزيال .
- وتحدث عن حمامات النساء وعائلاتها وهن : المعلمة - الاسطة - والبلانة - وزقة البارد - والناظورة .
- واشار الى تحول حمام القيشاكي الى سوق . وهو من اجمل حمامات دمشق وأشهرها . وكان تحوله عام ١٣٦٥ .
- وفي مادة حكواتي (١١٢/١) اشار الى ان غالبية الناس ينكرون على استماعه اكثير من اكتباهم على العلم . وانه كان الناس يأتون بالحكواتي الى البيوت ليؤنسهم بقصصه بأجرة مخصوصة . وقد بطل ذلك من زمان بعيد .
- وفي مادة خياط (١٣١/١) تحدث المؤلف عن آلة الخياطة (الماكينة) وما احدثت من ثورة في عالم الخياطة ، وهي من اشعار الفرنج ، ذات دولاب ، ولات ، مما يبهر العقول .
- وفي مادة دقاق (١٤٤/١) قال المؤلف : ولهذه الحرفة السوق الكائن برأس البزورية من بلدة



- وفي مادة سائل (١٧٧/١) تحدث المؤلف عن أنواع السألة وأقسامهم ، وتوسيع في سرد احوالهم وأوضاعهم ، وكشف حيلهم ودسائسهم ، اسلوب مسجع جذاب ، فكان مما قال :
- فمنهم من يظهر المشيخة والتلبيس ، ويأخذ مالهم بحيلة التكبيس .
- ومنهم من يدعى الأفلاس ، ويظهر ورقة تحكي انه من ابناء الناس .
- ومنهم من يدخل على الكبار بمجمع تمر او مجموعتين ، ويدعى انه من اكابر أهل الحرمين .
- ومنهم من يأخذ بالسفه والغدور ، وهي من افظع الامور .
- ومنهم من يأخذ بتنكيس رأسه ، وبتصعيد نفاسه .
- ومنهم من يأخذ بالخشوع والخضوع ، وكثرة بكاء والدموع .
- ومنهم من يأخذ بالتخليط والرجف ، ويظهر انه من أهل الولاية والكشف .
- ومنهم من يحتال على كثير من الناس كشف البدن والرأس .
- ومنهم من تراه كالعلوج ، يظهر للناس انه قد امفلوج .
- ومنهم ... ومنهم ...
- قلت : وربما كان هذا البحث جديرا بدراسة ستقلة .
- وفي مادة اشناني (٤١٢/٢) اشارة الى ن بعض الفقراء يغتسلون بهذه النبتة (الاشنان) .
- وفي مادة برازقي (٤١٨/٢) اشارة الى عنابة الناس بالبرازق في شهر رمضان .
- أما مادة تهالجي (٤٢٢/٢) فقد اوضح المؤلفون فيها ما هي « المهللة » ؟ انها عنوان على الاجتماع على قراءة القرآن والاذكار التي تقام بعد وفاة المتوفى .. وشرح المؤلفون ما يقدم فيها من الحلوى كالعوامة (يراجع قلا العوامة ٣٤٤/٢ ، وعواماتي ٢/٣٦٢) وذكر أنواع ما يقرأها كأناشيد الششتري والاكرامية ومنظومة الدردير او البكري ، ووصف ضجة الذاكرين ، وأوضاعهم whom قعود او لهم قيام .
- وفي مادة شعباني (٤٤٤/٢) اشار المؤلفون الى هؤلاء الذين يدخلون على الناس بلعفهم بالشعبين ... (راجع أيضاً : عقاربي ٣١٥/٢) .
- وفي مادة جرادقي (٤٤٧/٢) أكد المؤلفون انها لا تصنع الجرادق ولا تباع الا في رمضان .
- وفي مادة حميياتي (٤٢٩/٢) تحدث المؤلفون عن هؤلاء الذين يطيرون الحمام (راجع ايضاً مادة طيوراتي (٤٩٧/٢) .
- وفي مادة راقى والمكبس (٤٣١/٢) اشاروا الى حيلهم ومساوئهم .
- وفي مادة سفره جي (٤٣٧/٢) ذكروا انه لا يوجد الا عند الاكابر في اللوكنفات .
- وفي مادة شحاذ (٤٥١/٢) اضافوا الى ملفات مؤلف الجزء الاول في مادة سائل (٤١٧/١) .
- وفي مادة شربتجي (٤٥٦/٢) اوضحوا صنعة الذي يحمل الحق ويدور في الاسواق يسقي الناس الشرابات .
- وفي مادة شماع (٤٥٨/٢) ذكروا ان اهل الزوج يحضرون ليلة العرس شمعة كبيرة .

- وفي مادة قواد (٣٦٩/٢) تحدثوا عن عرصة الاكابر وعرصة العامة .
- وفي مادة فوال (٣٧٠/٢) اشاروا الى ان غالب الفوالين من المصريين .
- وفي مادة قاوقجي (٣٧٣/٢) وصف لجميع انواع البدلة الرأس التي كانت معروفة في دمشق .
- وفي مادة قلبيجي (٣٧٩/٢) وصف للقلب .
- وفي مادة كركوزاتي (٣٨٤/٢) وصف لعمل خيال الظل الظريف .
- وفي مادة كلاب (٣٩١/٢) حديث عن كلاب الحبائز وأفاعيلهم .
- وفي مادة كندرجي (٣٩٤/٢) حديث عن دخول الكناندر الى مدينة دمشق .
- وفي مادة مجلخ (٤١٦/٢) اشاره الى ان الذين يتعاطون هذه الحرفة في دمشق هم فقراء الافغان .
- وفي مادة مجرى (٤١٧/٢) وصف لعمل يوم هتان الطفل .
- وفي مادة مزعبر (٤٣٤/٢) تعداد لانواز العبرة كالسيمية والترنجيات وغيرها ، وتحديد عن غزو المزعبرين الافرنج لمدينة دمشق وأعمالهم .
- وفي مادة مسحر (٤٣٩/٢) وصف لواجبة في رمضان .
- وفي مادة مشتب (٤٤٣/٢) حديث عن عزفه على الناي .
- وفي مادة صناديقي (٢٧٤/٢) تحدثوا بفصل عن تجهيز العرائس .
- وفي مادة صيدلاني (٢٧٩/٢) بينوا الفرق بينه وبين الاجزاجي - اذ ذكر يهتم بالعقاقير العربية القديمة ، والثاني عالم يهبيء العلاجات الاوروبية التي يصفها الابطاء .
- وفي مادة عجائب عجائب (٣٠٤/٢) يصف المؤلفون صندوقه وما فيه واقبال الصغار عليه خاصة .
- وفي مادة عراف (٣٠٤/٢) يتحدثون عن المنجمين وأباطيلهم (رابع مادة رمال ١٥٧/١) .
- وفي مادة عشا (٣١١/٢/١) اشاروا الى انه لا يوجد الا عند الذاوات وفي اللوكنات .
- وفي مادة عطري (٣١٣/٢) اشاروا الى كسداد هذه الصناعة بعد ان زاحمتها (اللاوندة) الاوروبية .
- وفي مادة علبي (٣١٨/٢) تحدثوا عن الماجامع التي يصنعنها العلبي لوضع اصناف السكاكر الهدايا والاعراس والاولاد المختونين .
- وفي مادة غرابيلي (٣٢٦/٢) اشاروا الى ان صنع الغرابيل من اختصاص النور .
- وفي مادة قانونجي (٣٤٦/٢) تحدثوا عن الافراح في البيوت وعن نوبية الالات .
- وفي مادة قباقيبي (٣٤٨/٢) ذكروا انواع القباقيب التي زالت ، سوق القباقيبة ، وان القبقاب الحالي مقتبس عن الشركس .



- وفي مادة مصور (٤٤٥/٢) اشارة الى تاريخ التصوير بالفوتوغرافيا .

- وفي مادة ضحكة (٤٤٩/٢) حديث عن المهرج وعن المسخن ، وعن نفاق امره عند الاكابر .

- وفي مادة مغني (٤٠٩/٢) حديث عن رواجه في الربيع والصيف في المنتزهات وكذلك في البيوت شتاء .

- وفي مادة مقرئ (٤٦٤/٢) حديث عن واجباته في المأتم .

- وفي مادة ممثل الروايات (٤٧٠/٢) حديث طوبل عن رواج هذه الصنعة عام (١٥٩٥ - ١٨٧٧) هذا ما استطعت العثور عليه من الفوائد في كتاب قاموس الصناعات الشامية فيما يتعلق بالتاريخ الاجتماعي لمدينة دمشق ، وربما فاتني شيء يمكن ان يعثر عليها غيري من الباحثين .

(١) راجع على سبيل المثال مادة بوابجي ٥٧/١ .
 . ٣٧/١
 . ٣٧/١
 . ١٣٤/١ وما بعدها .
 . ١٥٤/١
 . ٤٠٢/٢ وهي المانحة الواردة ذكرها في ٧٨/٢ .
 . ٤٠٨/٢
 . ٤٢١/٢
 . ٤٦٩/٢
 . ٤٨٧/٢ (١٠)
 . ٦٩/١ (١١)
 . ١٠٣/١ (١٢)
 . ٢٢/٢ (١٢)
 . ٢٣٠/٢ (١٤)
 . ٢٣٩/٢ (١٥)
 . ٢٧٤/٢ (١٦)
 . ٢٢٣/٢ (١٧)
 . ٣٦٤/٢ (١٨)
 . ٢٤٩/٢ (١٩)
 . ٣٦٧/٢ (٢٠)
 . ٤٢٩/٢ (٢١)
 . ٤٧٩/٢ (٢٢)

يصدر قريباً عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق

عدد خلاص من مجلة

الآداب الأحسية

« عن الحركة الشعورية في العالم »

وتنوجه المجلة الى الاساتذة المترجمين في الوطن العربي
لما فاتها بترجمات وابحاث حول هذا الموضوع

الوَحْدَةُ فِي الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ

د. عَفِيفُ بِهِلْسِي

المديريَّةُ العامَّةُ لِلآثارِ والمتاحف

وتترکب شخصية كل أمة ليس من التكوين العرقي لأفرادها ، بل من مجمل عطاءات هذه الأمة وعوائدها ، فالدين والفن والعلوم والسياسة والتركيب الاجتماعي هي صورة الأمة المشخصة . ومن هنا كان التلازم قوياً بين الأمة والحضارة ، فالامة قوية وعظيمة ليس بنقاوة سلالاتها ولكن باتساع وعمق حضارتها وثبات هذه الحضارة . فلقد كانت الحضارة المصرية عظيمة لأن الطبيعة والانسان اندمجاً في صورة خالدة تجسدت في أوابد راسخة تحدى الفناء ... وكانت الحضارة الرافدية والسورية خالدة لأنها مستمدّة من قوة الانسان المؤمن بالمستقبل المتمثل بالآلهة السماوية ... أما الحضارة الاغريقية والرومانية فلقد كانت عظيمة بمقدار ما كان السبب عظيمًا ، فهي نتيجة دائمة للسؤال الفلسفى والبحث المنطقي او نتيجة للرخاء المادي ، ولقد زالت بزوال الاسباب العارضة ، واذا استمر شكلها فلان ورثة الفكر الاغريقي كانوا يبحثون عن ملجاً لافكارهم المكرورة والملووقة عن سابقיהם . وهكذا فإن الحضارة العربية قد خضعت لفكرة

عندما نتحدث عن الحضارة فان المعنى يشمل آثار الانسان في مجموعة بشريّة معينة نطلق عليها اسم الامة . فالحضارة عطاء قومي له شخصية وطابع الامة التي ينتمي اليها، سواء أكان هذا العطاء معماريًا أو تشكيلياً أو فكريًا أو عقائديًا .

ان حضيلة هذا العطاء عبر العصور أو عبر الحضارات المتعاقبة يشكل ما يسمى بالتراث وعلى اختلاف الظروف التاريخية والاختلاف التأثيرات الطارئة التي تسبّبها التحولات السياسية فان هذا التراث يرتبط برباط قوي بمعنى الامة ، بل ان خصائص الامة وشخصيتها أصبحت تعرف من خلال مفردات هذا التراث الذي يتجلّى على سطح او باطن رقعة معينة من ارض كانت في فترة معينة مهدًا لامة من الامم .

ولسنا من القائلين بالتفوق العنصري لامة من الامم ، ولكن لا بد من القول بأن لكل امة خصائص مميزة تتجلى في تاريخها وحضارتها .

العربية تتسم بصفة الاستثمار والمقدرة الخارقة على البقاء ، على الرغم من جميع ظروف التخلف والجمود ، ويكفي أن تكون هذه الحضارة ، أقدم حضارة وبدت على الارض ، وأنطلاع الحضارات عمراً ، وأقدّرها على التغلب على عوامل الانحطاط والاندثار .

ومن حسن حظ الأمة العربية أنها تحافظ على إرث حضاري كشفت عنه الآثار المعروفة أقل ما يقال فيه أنه يمتاز عن غيره بالامور التالية :

أولاً - الاصالة :

تمتاز الحضارة العربية بارتباطها بأمة أصيلة ما زالت قائمة حتى اليوم ومنذ بداية التاريخ ، محتفظة بخصائصها وتقاليدها وعقائدها ولغتها وبلامحاتها العرقية .

ففقد سكن بلاد الرافدين وسورية شعوب
عربية أطلق عليها اسم الاكاديين والبابليين
والعموريين والاشوريين ، ثم الاراميين والمانذرة
والغساسنة والعرب المسلمين . وجميعهم من ارومة
واحدة لا مجال للطعن فيها ، وهم يتكلمون لغات
ذا لم تكن واحدة ، فهي أشبه باللهجات ، فيها
من الكلمات الموحدة أكثر ما بينها من الكلمات
المختلفة .

وهذه اللغات او اللهجات ، اذا كتبت بالخط
المسماري اولا ، فاننا نرى تطورها عبر الكتابة
الاوغاريtie الى الكتابة الازرامية ، والنبطية
بل مصدر الاساسي لكتابتنا العربية القائمة حتى
لآن ، وقد بلغت من العمر حوالي الفي عام على
لاقل ، واما دققنا في اسلوب العمارة والفن ، فاننا

المصير وليس مبدأ العلية . ولنست فكرا المصير بعيدة عن مفهوم الحضارة في العصر الحديث ، بل هي تأخذ شكلاً أكثر وضوحاً ، ذلك أن المصير بتفسيره الحديث هو وحدة الفرد مع الكون . أي أن المصير ليس الكون كما هو ، بل هو كما يمكن أن يكون بفعل الإنسان ، لذلك فإن المصير هو عمل ابداعي مستمر ، وبهذا المعنى يمكن أن نفسر الحضارات والحضارة العربية بصورة خاصة والتي قامت على موقف الإنسان من الكون وما وراء الكون وعلى التعامل مع هذا الكون عن طريق الحدس والروح وليس عن طريق المنطق الرياضي والقوانين العليّة ، انه يتعامل مع الكون على أساس أن الفرد هو جوهر الكون لأن الفرد هو الزمان ، وكل ما عداه هو المكان أو ما يقرب من المكان ، حتى الحيوان فإنه يخرج عن معنى الزمان لأنّه لا يدرك دوره في الحياة . ومع ذلك فإن الإنسان يخشى وبهاب الزمان الحقيقي ، والزمان بذلك فالإنسان العلية للتجاوز المقدرة البشرية . ولذلك فإن الإنسان يسعى وراء المثل العليا لمتجسد بمفهوم الربلكي ينتخطي تحدي الزمان . ونستطيع القول أن الحضارة العربية منذ نشوئها في بلاد الرافدين وحتى اليوم ، إنما ترتبط بمثل أعلى ، أو بمعنى آخر ، هي من صنع الإنسان الذي يسعى وراء المثل العليا الذي يتصوره من خلال الله في السماء ، والذي يسمى على كل قوة ووارادة ، وهو فوق الزمان والمكان وعلى ذلك فإن المصير ذاته مرتبط بالله أي بالمثل العليا ، والانسان في الحضارة العربية ما هو الا القوة التي تتفاوت ارادته الله ، ولأن الله قوة سرمدية خالدة غير قابلة للفناء والضعف ، فاننا نرى الحضارة

صغيرة تمثل آلة الخصب ، وعلى أواني من الطين المشوي . وهذا يعني أن العبادات كانت موجودة منذ أحد عشر ألف عام ، وان صناعة الطين المشوي كانت قائمة قبل التاريخ ، وان ثمة فنونا على غاية من الروعة الابداعية كانت قائمة ، كل هذا يدل على أن هذه الأرض تبقى أكثر مناطق العالم عراقة وقدمًا .

ثالثاً - وحدة التاريخ :

ان هذه الحضارة الأصلية العربية ، تمتد بوحدة عبر الزمان مهما اختلفت العصور ومهما تباعدت المناطق ، ويكتفي القول ان المنشآت التي تنتشر اليوم في شمالي سوريا وهي قباب عالية من اللبن ، هي نفسها بشكلها ومادة انشائتها ، القباب التي كانت تقام قبل خمسة الاف عام ، كما ان مفهوم البيت بانفتاحه الداخلي ، ومفهوم الزيورقة الذي تطور الى مئذنة وأساليب التغطية التي تطورت فيما بعد بشكل عقد او قوس او قبة ، او مفهوم التمثال الرمزي الذي وجدهناه عند الاكاديين والاموريين والكنعانيين ، كل هذا يعطينا الدليل على الوحدة التراثية الواضحة بين الآثار على اختلاف اساليبها التي تتناسب السى عصور النطوف او عبيد او تل حلف او الورقاء او الى عصور البرونز اللاحقة .

رابعاً - التشكيل الكاذب :

ان هذه الحضارة تحتوي شواهد وأثار كانت قد وفدت مع السلطة المحتلة او المحاكمة ، وقد ادى هذا الادهتواء الى تعطيم الفنون والمعماريات المستوردة بالشخصية القومية ، نرى ذلك واضحا

نرى أن تقاليد الفن الرافي استمرت قائمة حتى يومنا هذا مؤثرة ايضاً في الفنون الساسانية والبيزنطية ذاتها ، التي كثيراً ما تردد تأثيرها على الفن الإسلامي ، دون أن يخطر في ذهننا الحديث عن مصادرها العربية الرافية القديمة .

اما العقبة فلا بد من القول ان العبادة لسماوية كانت قائمة منذ عهد الاكاديين في الالف الثالث ، وان ابراهيم الخليل الذي ولد في اوركان نقلها الى البلاد المقدسة واصبحت اساساً لعبادة التوحيدية في الديانات كلها .

ثانياً - القدر :

لقد كانت آثار الرافدين ومصر فاتحة للتاريخ ، وان الحضارة التي وصلت اليها هذه المنطقة العربية كانت من الضخامة والتقدم حتى ننا نعجز اليوم عن مضافاتها في غناها وتنوعها التفنن فيها .

ولقد كان على الغرب ان ينتظر الاف السنين حتى يقيم ما يسمى بالحضارة الاغريقية لرومانيّة التي تجمدت في قوالب نظرية وهندسية لم تستطع الخروج عنها والتطور الى ابعد منها حتى القرن الماضي .

ويكتفي القول أن الحفريات الاخيرة التي جريت على ضفاف الفرات في سوريا قد أثبتت ان التجمع السكاني البشري وجد منذ الالف تاسع قبل الميلاد . فلقد عثر على مستوطن بنى من اللبن المدعم بالخشب في موقع المريبيط ، تبين أن جدران هذه المساكن كانت مطلية بالفريسك الملون ، وعثر في الانقاض على تماثيل



سكان الرافدين على الطين لفقدان الحجر
ويتعرضون إلى الطوفان الساحق كل عام . ولقد
كان لهذه الظواهر اثراً على العقيدة ، فالناس
في العراق القديم يراقبون السماء ويستجلون
الأنواء ويسبحون بحمد الكواكب التي تكشف له
أسرار الغيب ، أما الناس في مصر فيتأملون النيل
الذي يغمرهم بخيرات ثابتة فiron فيه حبات
دموع أيزيس باكية على زوجها أرليس .

وتأثير العبادات بهذا الواقع الطبيعي ، كـ
تأثير العمارـات والفنـون ماـ يكون شخصـيتـير
متـميـزـتين . عـلـى انـ اللـقاءـ لمـ يـنـقـطـعـ بـيـنـ هـذـاـ
وـتـلـكـ ، سـوـاءـ عـنـ طـرـيقـ الـحـرـوبـ اوـ عنـ طـرـيقـ
المـاصـاهـرـةـ وـتـبـادـلـ الـهـدـاياـ وـالـتـجـارـةـ ، وـتـشـهـدـ عـلـىـ
ذـلـكـ الـلـقـىـ الـكـثـيرـ مـنـ جـرـانـ وـأـثـاثـ وـتـمـائـياـ
مـصـرـيـةـ عـثـرـ عـلـيـهـاـ فـيـ سـوـرـيـةـ كـمـ تـؤـكـدـ ذـلـكـ
كتـابـاتـ وـرـسـومـ عـثـرـ عـلـيـهـاـ فـيـ وـاجـهـاتـ وـجـدـارـاـ
الـمـعـابـدـ الـمـصـرـيـةـ .

كـماـ يـشـهـدـ عـلـىـ ذـلـكـ التـقـارـبـ فـيـ الـاسـلـوـدـ
الـفـنـيـ الذـيـ نـرـاهـ وـاضـحـاـ فـيـ كـثـيرـ مـنـ الـاعـمـاـ
الـقـدـيمـةـ اوـ التـأـثـيرـ الواـضـحـ بـالـفـنـ الـمـصـرـيـ الذـيـ
كـانـتـ سـوـرـيـةـ وـسـواـحـلـهاـ الـغـرـبـيـةـ حـيـثـ اـسـتـهـ
الـأـوـغـارـيـتـيـوـنـ وـالـفـيـنـيـقـيـوـنـ الـكـثـيرـ مـنـ مـظـاهـرـ الـفـنـ
الـمـصـرـيـ . وـكـانـواـ نـقـلـتـهـ إـلـىـ غـيرـهـمـ مـنـ الشـعـوبـ

سابعاً - وحدة اللغة :

إذا كان الإسلام ذرة من ذرات الحضارـ
الـعـرـبـيـةـ ، فـانـ هـذـهـ الـحـضـارـةـ كـانـتـ قـائـمـةـ مـنـذـ
كـانـ الـوـجـودـ الـعـرـبـيـ ، بلـ مـنـذـ أـنـ اـنـطـلـقـ اـسـلـافـ
الـعـربـ مـنـ جـزـيرـتـهـمـ الـعـرـبـيـةـ إـلـىـ بـلـادـ الرـافـدـيـنـ

فـيـ الـحـضـرـ (ـ الـعـرـاقـ)ـ وـتـدـمـرـ (ـ سـوـرـيـةـ)ـ وـفـيـ لـكـاـ
(ـ الـكـوـيـتـ)ـ وـفـيـ مـعـابـدـ دـنـدـرـةـ وـفـيـلـةـ (ـ مـصـرـ)ـ حـيـثـ
ظـهـرـ الـتـأـثـيرـ الـهـلـنـسـتـيـ وـالـرـوـمـانـيـ بـقـوـةـ الـسـلـطـةـ
مـكـوـنـاـ تـشـكـلاـ كـاذـبـاـ ، وـلـكـنـهـ لـمـ يـلـبـثـ أـنـ أـخـذـ طـابـعـ
الـشـخـصـيـةـ الـمـلـحـلـيـةـ الـتـيـ تـمـيـزـ عـنـ مـفـهـومـهـ
الـكـلاـسـيـكـيـ الـمـعـرـفـ .

خامساً - وحدة الإسلام :

لـقـدـ اـعـطـتـ هـذـهـ الـحـضـارـةـ الـعـرـيقـةـ خـصـائـصـهـاـ
لـىـ الـحـضـارـةـ الـعـرـبـيـةـ الـإـسـلـامـيـةـ الـتـيـ
استـطـاعـتـ فـيـ فـتـرـةـ وـجـيـزةـ جـداـ أـنـ تـصـلـ إـلـىـ أـعـلـىـ
عـهـودـ الـزـدـهـارـ وـالـىـ أـنـ تـكـوـنـ شـخـصـيـةـ جـدـيدـةـ
تـأـخـذـ مـبـادـئـهـاـ مـنـ خـصـائـصـ الـأـمـةـ الـعـرـبـيـةـ ، وـمـنـ
مـعـانـيـ الـدـيـنـ الـإـسـلـامـيـ ثـمـ تـشـعـ عـلـىـ أـكـبـرـ رـقـعـةـ
تـمـتدـ مـنـ الـفـانـجـ إـلـىـ الـاطـلـسـ ، تـدـيـنـ بـدـيـنـ وـاحـدـ
وـتـنـتـسـبـ إـلـىـ مـفـاهـيمـ فـنـيـةـ وـاحـدـةـ ، وـتـتـفـذـيـ مـنـ
مـصـدرـ قـومـيـ عـرـبـيـ ، فـلـقـدـ وـصـلـ الـفـنـ الـإـسـلـامـيـ
إـلـىـ أـسـمـيـ آـيـاتـهـ فـيـ بـلـادـ فـارـسـ وـبـلـادـ الـإـنـدـلـسـ ،
حـامـلـ مـعـهـ هـوـيـةـ الـأـمـةـ الـتـيـ رـفـعـتـ لـوـاءـ الـإـسـلـامـ
وـنـشـرـتـهـ بـلـغـتـهـ وـخـطـوـطـهـ الـتـيـ تـرـسـخـتـ فـيـ كـلـ
مـكـانـ .

سادساً - وحدة الأرض :

إـنـ هـذـاـ التـرـاثـ الـحـضـارـيـ الـذـيـ تـكـشـفـ عـنـهـ
الـأـلـاثـارـ قـدـ نـشـاـ عـلـىـ أـرـضـ مـحـدـدـةـ تـمـتدـ مـنـ الرـافـدـيـنـ
إـلـىـ الـنـيـلـ ، وـهـوـ أـذـ جـلـىـ بـشـخـصـيـتـيـنـ مـتـمـيـزـتـيـنـ ،
الـشـخـصـيـةـ الـرـافـدـيـةـ - وـالـشـخـصـيـةـ الـمـصـرـيـةـ
الـقـدـيمـةـ ، فـانـمـاـ يـرـجـعـ ذـلـكـ لـاـخـتـلـافـ الـظـرـوفـ
الـجـفـرـيـةـ وـالـطـبـيـعـيـةـ فـيـهـ تـوـجـدـ مـقـالـعـ الـفـرـانـيـتـ
وـتـزـدـهـرـ السـهـولـ بـخـيرـ الـنـيـلـ الـعـظـيمـ ، يـعـتمـدـ

سعيا وراء الماء والمكلا فأنشأوا فيها الحضارات المتتابعة التي ما زالت آثارها قائمة حتى الآن ، فالحضارة العربية لم تبتديء في القرن السابع بل هي موجودة منذ الالف الثالث ق.م واستمرت نحمل جميع خصائص امة العربية حتى يومنا هذا . وتتجلى شخصية هذه الحضارة الموجدة في عاملين : عامل وحدة اللغة وعامل وحدة العقيدة .

فلقد تبين بعد أن تمكن راولنسون من حل موز حجر بهابفستون أن الكتابة المسماوية قد سخدمت للغات أخرى غير اللغة السوميرية . وإذا كانت هذه اللغة ما زالت مستقلة ، فإن اللغات الأخرى التي كتبت بالمسماوية كالاكاديمية الآشورية والعمورية والأوغاريتية لم تكن في الواقع الا لهجات اللغة واحدة استمرت شائعة عند الكلعنانيين والأراميين والحباش ، وتعتبر اللغة العربية الحالية ، أكمل هذه اللغات وهي اللغة بلقياس تحديد العلاقة بين هذه اللهجات التي تختلف فيما بينها ببعض المفردات وتتقارب في ذر الأفعال وصيغ الماضي والحاضر والضمائر الأعداد وأسماء أعضاء الجسم ، وقد استطاع لاؤغاريتيون والفينيقيون ابتكار الأبجدية ، ثم ئلفة من اثنين وعشرين حرفاً مسمارياً ، ثم تنقل الحرف من الشكل المسماوي إلى الشكل اللين لقد سرت اللغة الأرامية في بلاد آشور وطافت على لغة التي كانت شائعة وهذا ما دعا إلى تسمية لغة الأرامية باللغة السروانية نسبة إلى آشور .

م أصبحت الأرامية لغة الهلال الخصيب كله الممتد من رأسين البصرة شرقاً وطيبة في مصر ربما . واستمرت هذه اللغة إلى عهد المسيح وما

زالت قائمة حتى الآن في بعض المدن والقرى العراقية والسورية والمصرية ولكن بلهجات مختلفة . واللغة الأرامية هي تطور للغة الأكادية والعمورية وقريبة من اللغات الكلعنانية وهي مرحلة إلى اللغة العربية الحالية ، بل إن كتابتها هي أصل الكتابة العربية المعروفة .

وعندما ظهر الإسلام وتحقق التوسيع العربي الكبير انتشرت اللغة العربية في كل مكان كان العرب فيه هم السادة ، بل لقد استمرت مع استمرار الإسلام والعروبة في فارس والهند وأذربيجان وتركيا وفي بلاد الاندلس . فكان انتشار اللغة العربية رمزاً لانتشار الثقافة العربية .

ولقد تغلب العرب على الفرس في حملات ضمت أربعين ألفاً من الرجال والنساء والاحداث واحتلوا دولة الفرس وسلطانهم وقصورهم وحلت العروبة محل الفارسية وأصبحت اللغة العربية هي السارية وأصبحت لسان الأدباء والعلماء ولغة الثقافة ، بل هي لغة أكثر العوام . وعلى الرغم من ظهور النزعة الفارسية في عهد العباسيين وظهور قوى فارسية معادية كالفرامطة ، فإن الاعلام من الفرس كانوا يفخرون بانتسابهم إلى العربية وما كانوا يكتبون ويؤلفون إلا بلغة القرآن ، وأصبحت العروبة كما يقول ايتناوسن مرادفاً للحضارة التي نشأت في الإمبراطورية الإسلامية الواسعة في القرون الوسطى وكانت في البداية قوة عسكرية وسياسية في الجبيرة العربية والتي ارتبطت إلى حد كبير برباط اللغة العربية ، (لغة الدين ، والإدارة ، والعلم ،

والبرتغالية ذات الاصل العربي ويذكر سيديو Sedillot « أن اللهجات السائدة لولاية اوفرن وولاية ليمون الفرنسيتين مليئة بالكلمات العربية، وان اسماء الاعلام فيها ذات مسحة عربية » .

ثامناً - وحدة العقيدة :

اما وحدة العقيدة فانها تتجل في العبادة التوحيدية التي وجدت جذورها الاولى منذ بداية وجود الرافدين .

منذ الالف العشرين قبل الميلاد تعرضت الجزيرة العربية للتغيرات المناخية جبست عن اجزاء خصبة منها المطر ، تم توالت الفترات الجافة على هذه المنطقة مما ادى الى هجرات متواصلة نحو الشمال لعل احد ثناها هجرات قبائل شمر وعنترة ، وكانت قبلها قد نزحت قبائل اخرى عرفت بالمناذرة والفساسنة وقبيلهم الانتاط ، والتي شكلت حضارات مازالت آثارها واضحة في الحيرة (العراق) وبصرى (سورية) وبالبراء (الأردن) . على أن الهجرة الاكثر أهمية كانت في الالف الثالث ق.م حيث استطاع الاكاديون الذين نزحوا من أطراف الجزيرة العربية الشرقية ان ينجبوا وادي الرافدين ، حيث وجدوا شعباً اطلق عليه اسم سومر ، كان قد وصل الى مستوى جيد من الحضارة منذ منتصف الالف الرابع قبل الميلاد ، فقد عرف الزراعة والرعى ، وعرف صناعة المعدن والتجارة مع مصر ووادي السندي ، وقد عرف السومريون الكتابة التي اطلق عليها اسم المسماوية وهي حفر على الواح الطين بمسمار كما عرف السومريون التقويم والحساب والموازين وأقاموا المعابد على شكل صوامع

والشعر) ، وهذه الحضارة لم تكون استناداً لعصبية قومية ، وإنما بوجودوعي واضح بين المسلمين في العصور الوسطى على اختلاف قومياتهم، وهو وعي مؤكّد بانتماهم الى حضارة عربية قدسية المنبع ، وربما هذا الامر هو الذي عبر عنه العالم الكبير البيروني (المتوفى ٤٠٤م) والذي جاء من منطقة متاخمة هي خوارزم (التي تقع اليوم في جمهورية قرقش باك السوفياتية المتمتعة بالاستقلال الذاتي) والذي قال : ان ديانتنا وابراطوريتنا عربستان وتواستان ، الاولى تحميها قوة الله ، والثانية تحرسها يد السماء فطالما حاولت طوائف من الرعايا ان تتألف سوية لاضفاء الصفة غير العربية على الدولة لكنها لم تنجح في هدفها ذاك . لقد كانت اللغة العربية بالنسبة له هي لغة الدين والعلم ، وهي اعظم وسيلة للتماسك ، وقد اعرب عن غيرته على هذا العنصر الحيوي في حضارته بقوله « من الافضل له ان يشتتم بالعربية من ان يمتدح بالفارسية » ولقد استمرت الكتابة العربية سارية في اسبانيا بعد نزوح العرب عنها وكان المسلمين المغاربة (الموريسك) يتداولون هذه الكتابة في نطاق الادب والتعاليم الدينية وقد اطلق عليها اسم الادب الاعجمي او الجبيادو Literatura aljamiado ، وقد عثر على مخطوطات كثيرة جداً في ارغن وهي محفوظة حالياً في مكتبة في مدريد ، وتضم هذه المخطوطات وثائق قانونية وشعارات في مدح الرسول وصلوات واساطير وقصصاً كتبت كلها بحرف عربية ولكن بلغة اسبانية، وترسخت المصطلحات العربية في اللغة الاسبانية وما زالت حتى اليوم ، فلقد ألف دوزي وانغلمن معجماً لالفااظ الاسبانية

الحادي والعشرين والتي انشأها العرب العموريون أنفسهم وكان حمورابي ١٩٤٨ ق.م ثاني حاكم عربي عظيم بعد صراغون اشتهر بطول حكمه (٥٧ عاماً) وبعده العادل الذي قام على قوانين موضوعة ما زالت مصدراً لجميع القوانين حتى اليوم .

ومنذ منتصف الالف الثاني ق.م أقام الآشوريون دولتهم شمالى الرافدين على أساس حربى دفاعي لصد عدواوات البابليين والحيثيين والميتانيين ، وكان الآشوريون من العرب الذين نزحوا من الجنوب واختلط بهم الأزراميون العرب الذين كانوا قد انتشروا في أنحاء سوريا وبخاصة في الفرات الأوسط وفي الساحل السوري . وكانت المدن العربية الكنعانية قد اشتهرت بملاحتها الواسعة التي قامت على صناعة السفن الضخمة، فانتقل التجار الفينيقيون الى شواطئه بعيدة وسيطروا على طرق الملاحة في البحر الابيض المتوسط وكانت لهم مراكز في قبرص ومقلية وسردينيا وكورسيكا وفي مالطا واسبانيا وعلى طول الساحل الشمالي الافريقي وكانت مدينة قرطاج في تونس أهم مركز فينيقي أو بونيقي كما هو معروف في شمالي افريقيا . كما وصل الفينيقيون الى شواطئ الخليج العربي وما زالت قائمة مدن تحمل اسمها الفينيقي القديم . ومن الفينيقيين أخذ الاغريق التهتم واستندوا من فلاسفتهم وادبائهم ومشعرיהם وعلمائهم ويدركن هيرودوت أن الفينيقيين هم الذين اكتشفوا ليبيا عندما طافوا حول افريقيا عام ٦٠٠ ق.م . ويتحدث المؤرخون عن رحلة حانون القرطاجي في غربى افريقيا .

(زيقورة) ذات طبقات في أعلىها حرم لاله الهواء انليل ولقد عثر على آثار هذه الزيقورة في نيبور . وما زالت البحاث جارية للتأكد من هوية السومريين وتحديد منشأهم ، وتفيد البحاث الأخيرة التي نتبت عن حفريات في المنطقة الشرقية في العربية السعودية عن احتمال هجرات في الالف السادس ق.م اي في نفس العصر الذي ازدهرت فيه حضارة عبيد في جنوب العراق ولقد استطاع الاكاديون فيما بعد السيطرة على بلاد سومر بقيادة صراغون الذي وصل بتوسيعاته من الخليج العربي الى شواطئ البحر الابيض المتوسط وقام حفيده نرام سين بمتابعة فتوحاته في الفرات الاعلى ولعل صراغون كان أقدم زعيم عربي أكادي استطاع ان يقيم حضارة واسحة أصبحنا نعرف عنها الكثير من خلال الرقم والاختام والحفريات الاثرية ، وكان مركزها الأساسي مدينة اور . وفي مناطق مختلفة من بلاد الشام ، كانت شعوب عربية تعيش منذ الالف الخامس ق.م أطلق عليها فيما بعد اسم العموريين (اي سكان الغرب) ولقد أثبتت الحفريات الأخيرة في تل العريري (ماري) وفي تل مرديخ (ابيلا) وفي تل عطشانة (اللاح) وفي عمريت وغيرها على حضارة متقدمة وبعيدة المدى ولعل المكتشفات المقلبة ستتبين حقائق مدهشة ، ففي عام ١٩٧٤ عثر الاتري مورتغارت في تل خويرة (شمالي سوريا) على كتابة أبجدية ترجع الى الالف الثالث فإذا تأكد ذلك فان هذا سيقدم الدليل على عراقة الحضارة السورية القديمة مما يجعلها تسبق الحضارة السومرية . ثم ظهرت دولة بابل في منتصف القرن

وعلى ضفاف العاصي وفي الجبال كانوا قد جعلوا
(ايل) في مرتبة سامية بين الآلهة .

ولقد اتخد الهكسوس وهم من العمالقة العرب
البائدة الله (ايل) ولعلمهم نقلوا ذلك الى مصر
حيث تبناء أختانهن على شكل الله الشمس آتون
الواحد الرحيم ويؤكّد ذلك أن ايل عند السوريين
القدماء كان مقره الشمس في حالة الغروب وكان
ايل اقرب الى مفهوم الله . ولقد امن الاشوريون
باليهم التقليدي آشور وهو باعتقادهم الله
الشمس ايضا ولقد رمزوا اليه بصورة الشمس
المجنحة ، وكانوا قد أخذوا ذلك عن المثينيين الذين
أخذوه بدورهم عن مصر ، كما أخذوا الله العب
عشثار عن البابليين .

□ □

ولقد اتجه الراهفيون القدماء الى السماء
يراقبون الكواكب ويقدسونها ويستجلون اسرار
الكون من خلالها وكانت الزيقورات صوامع يسلكهَا
الناس صودا على طبقات كل طبقة تمثل كوكباً
مقدساً يتدرج في الاممية حتى يصل الى القمة
حيث يمثل الله شمس اي الشمس وهناك يقف
المتعبدون لتقديم الاضاحي الى السماء آتو وهي
اقدم اشارة للعبادة التوحيدية في الوجود . ولقد
كان الكنعانيون في رأس الشمرة وفي المقطاعات
الفينيقية والبونيقية (شمالي افريقيا) يعبدون
الله (ايل) وهو الله العلي العظيم الله الغيث
والملط والخصب القادر على كل شيء وارادته فوق
كل ارادة وهو يحمي البشر من الشر والقطط .

ويمارس الاوغارييون عبادة هذا الله ايضاً
كما أن الزراميين الذين عاشوا في داخل سوريا

صرح حيثاً

من اتحاد الكتاب العرب بدمشق

زمن الاحتلال

قراءات في ادب الارض المحتلة

خليل السواحري

دراسة

مَوَارِدُ الْوَهْمِ فِي تَخْطِيَّةِ الْكِتَابِ

صلاح الدين الزعبلاوي

النَّقَادُ عَلَى الْكِتَابِ الْأَخْذُ بِالأشْهُرِ وَالْأَفْصَحُ، وَالصَّحِّحُ
أَنَّهُ مِنْ أَخْذِ الْجَائزِ الَّذِي لَمْ يَنَاهِرْ حَدَّ الْكُثُرَةِ وَالشَّرْهِ،
فَقَدْ أَخْطَأَ الْمُشْهُورُ، لَكِنَّهُ لَمْ يَتَخْطَّى، الصَّوَابُ عَلَى كُلِّ
حَالٍ . وَلَيْسَ يَتَحَلَّ الْكِتَابُ عَلَى تَخْيِيرِ أَجْوَدِ الْلَّتَيْنِ
فِي سَائِرِ مَا يَتَقَرَّبُ لَهُمْ مِنْ صُنُوفِ الْكِتَابَةِ . وَدُونَكَ مَاجَاهُ
فِي الْمَرْهُرِ لِلْسَّيُوطِيِّ، وَفِي الْخَصَائِصِ وَالْمُحْتَسِبِ لِابْنِ
جَنِيِّ؛ حَوْلَ هَذِهِ الْمَسَأَةِ : فِي الْمَرْهُرِ (١٢٦/١))
(قَالَ ابْنُ دَرْسُوْيَهُ : وَلَيْسَ كُلُّ مَاتِرْكِ الْفُصَاحَاءِ
إِسْتِعْدَالَهُ بِخَطَا ، فَقَدْ يَسْتَرْكُونَ إِسْتِعْدَالَ الْفُصَاحَى
لَا سَتْنَاهُمْ بِفَصِّيحٍ أَخْرَى ، أَوْ لَمْتَهُ غَيْرَ ذَلِكَ) .

وَفِي الْخَصَائِصِ (١) (الْلَّفَاتُ عَلَى اختِلافِ
كَلْمَاهُ حَجَّةٌ ، وَالنَّاطِقُ عَلَى قِيَاسِ لَفَةِ مِنْ لَفَاتِ الْأَرَبِ
مَصِيبُ غَيْرِ مَخْطَىٰ) وَفِيهِ : (إِعْلَمُ أَنَّ الْمَذَهَبَ فِي هَذَا
وَنَحْوِهِ أَنْ يُعْتَقِدُ الْأَفْوَى مِنْهُمْ مَذَهَبًا ، وَلَا يَسْتَعِنُ بِمِنْ
ذَلِكَ أَنْ يَكُونُ الْآخَرُ مُرَادًا) ، وَفِيهِ : (وَالْقُولُ فِي
هَذِهِ وَاضِعٌ ، إِلَّا تَرَى أَنَّ الْعَالَمَ قَدْ يَجِيدُ عَنِ الشَّيْءِ
الْوَاحِدِ أَجْوَيْةً ، وَإِنْ كَانَ بِعْضُهُمْ أَقْوَى مِنْ بَعْضٍ ،
وَلَا تَمْنَعْ قُوَّةَ الْقُوَّى) مِنْ إِجازَةِ الْوَجْهِ الْآخَرِ ، إِذَا كَانَ
مِنْ مَذَاهِبِهِمْ وَسَتْ كَلَامَهُمْ) .. وَفِيهِ : (وَوَجْهُ الْحَكْمَةِ
فِي الْجَمْعِ بَيْنِ الْلَّتَيْنِ الْقَوِيَّةِ وَالْقَسِيفَةِ فِي كَلَامِ وَاحِدٍ ،

لَا شَكَ أَنَّهُ لِيْسَ عَلَى كَاتِبِ الْعَرَبِيَّةِ
أَذِنَكُونَ مِنْ جَهَابِذَةِ اللَّغَةِ ، الرَّاسِخِينَ
فِي عِلْمِهَا ، الْمُتَضَلِّعِينَ مِنْ فَوْنَاهَا ،
الْمُحِيطِينَ بِأَصْوَلِهَا وَفَرْوَعَاهَا ، لَكَمَّهُ
لَا مَعْدُلَ لَهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ ، أَنْ يَلْمِ بِأَهْمِ قَوَاعِدِهَا ، وَيَتَعَرَّفُ
أَظْهَرَ مَذَاهِبَهَا؛ وَيَتَسَيَّرُ أَشْهُرَ أَسَالِيْبَهَا ، ذَلِكَ لِتَبْرُأَ كَاتِبَهُ
مِنْ شَوَّافِ الْخَطَا ، وَتَسْرِهِ عَنِ الْاِبْتِدَالِ وَالْفَلُو ، وَإِلَّا
فَقَدْ يَنَأِي عَنِ الْفُصَاحَى ، أَيْ نَأِي ، وَيَدْنُو مِنِ الْعَامِيَّةِ
أَيْ دَنُو ! وَإِذَا اسْتَقَرَ هَذَا ، فَلَسْنَا مَعَ النَّقَادِ الَّذِينَ
أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ فَاعْتَرَّوا بِعِلْمِهِمْ وَإِحْاطَتِهِمْ ، وَقَطَعُوا
بِفَسَادِ كَثِيرٍ مَا جَرَتْ بِهِ أَقْلَامُ الْكِتَابِ ، وَطَاعَتْ بِهِ
الْأَسْتِيمَ ، بِلَا تَأْمُلُ ، أَوْ فَضَلَ ثَبَّتْ وَتَحْقَيقَ . فَقَدْ
اقْتَادُهُمْ هَذَا أَنْ يَجْبُرُوا مِنْ كَلَامِ الْكِتَابِ ، الصَّحِّحِ
الظَّاهِرِ ، وَيَسْعُوا مِنْ أَسَالِيْبِ الْمُسْتِيْمِ السَّائِنَ ، وَفِي
ذَلِكَ مَا فِيهِ مِنْ تَنَفِيرِ لِكْتَابِ بِلْقَمَمِ ، وَصَرْفِهِمْ عَنِ
إِنْقَاصِهِمَا ، وَثَيِّمِهِمْ عَنِ الْمَضِيِّ فِي تَدَارُكِ مَا يَنْبَغِي أَنْ
يُنْصُصُوهُ مِنْ مَسَائِلِهِمَا ، أَوْ يُسْتَبِطُوهُ مِنْ حَقَائِقِهِمَا ، مِنْ
حِيثِ قَصْدُوا إِلَى إِغْرَائِهِمْ بِهَا ، وَإِرْهَافِ عِزَّهُمْ عَلَى
تَحْصِيلِهِما .

— فَمِنْ مَوَارِدُ الْوَهْمِ فِي تَخْطِيَّةِ الْكِتَابِ مِثْلًا أَنْ يَوْجِبُ

أن يثروك أن جميع كلامهم وإن تفاوتت أحواله فيما ذكرنا وغيره ، على ذكر منهم ، وثبت في قسم ٠٠٠ وهذا يدلل أنهم قد يستعملون من الكلام ما هو آخر في نصوصهم منه ، سمة في النسخ وإرخاء للتنفس) .
وفي المحتب (٢٣٦/١) : (ليس ينبغي أن يطلق على شيء له وجع من العربية قائم ، وإن كان غيره أقوى منه : أنه غلط) .

— ومن موارد الوهم في التخطئة أيضاً أن يتعلق النقاد بظاهر النص ، المدرج في الماجم على قصد وإيجاب ، وعلى اختصار وتجريد ، وفي غير تبسط وتدقق وانطلاق . وظهور دلالات الكلم مرهون بالوقوف على قرائتها المختلفة ، والإلال على مناحيها المتعددة ، وتبين مواقعها المتباينة في التركيب والاستعمال . ومن هنا كان من الخطأ أن يظن ظان أن عددة اللغوي : ماجم اللغة وحدها ، وأن مظانه : نصوصها المقولة ، ومصادرها : كتب النحو ومطولات الصرف وما إليها ، وال الصحيح أن مراجع اللغوي : كل ما ذكر ، وهي إلى هذا وذاك : متون التفسير والحديث . وكتب الأدب ، ودواوين الشعر ، وصحف الرسائل والرّقّاع ، ومصنفات القوم في التاريخ والأخبار والأسفار ، بل مؤلفاتهم في مختلف العلوم والصناعات .

فعلى الناقد لا يتلمس معاني الكلم في نصوص الماجم وحدها ، بل عليه أن ينتفعها من معالمها الأخرى وينظر فيها من مآبيها المتباينة ، ويعوده هذا إلى البحث عن أوجه تصرف الكلم في متعدد النصوص المقولة ، وحدود دلالاتها في سائر الموضوعات المطروقة . كما يؤديه إلى التناس وجوه التقلب التي تلبسها على مرّ الزمن وصور التجدد في أغراضها ومراميها ، وتحوّلها عن أروماتها التي ابعت منها ثم تساءلت

ما يرد على الكتاب من صوره .

★ ★

هذا وأكثر ما يعيّب به النقاد كتابنا تصرّفهم في استعمال حروف الجرّ ، في غير تدبر أو تحقيق . وسترى أنهم قد أنكروا عليهم في ذلك ، سائنا لأشبه فيه لنظر ، وستقيّما لامعنون به لسامز ، وستنصر الكلام هاهنا ، على ما يحصل بهذه الحروف ، ونأتي



في الأول ، والمساعد عليه في الثاني ، فهو (الصعوبة) التي تفترض (الاشاءة والإدارة) غالباً وإنما اكتفى من ذكر (الصعوبة) بذكر متعلق يعني عنها ظهور الغرض به . ونحو ذلك ما جاء في التزيل : (وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر - الأقال / ٧٢) فإنه على الظرفية المجازية ، المستنصر عليه ها هنا أعداء الدين ، وقد حذف ظهور الغرض بما ذكر .

وانظر إلى قول الرسول الأعظم ﷺ : كل سلاقي عليه صدقة كل يوم يتعين الرجل في ذاته يعامله عليها ويعرف عليها متعاه ، صدقة) . قال الشيخ المدوبي الحمازوي في شرح صحيح البخاري : (قوله يعامله بالباء المهملة أي يساعدته في الركوب) .

وفي حديث الأضحية : (كانوا وأطموا وادخروا فان ذلك العام كان الناس جهد فاردت أن تميّنا فيها) . وقد قيل إن الضمير في (فيها) عائد إلى المثافة المفهومة من الجهد ، فيكون تحرير القول : (فأردت أن تميّنا القراء في المثافة) ، وهكذا قول علي رضي الله عنه : (فمن صدق بهذا فقد كذب القرآن واستغنى عن الإعانته يا الله في نيل المحبوب ودفع المكره) .

وغريب بعد هذا أن يمنع الأستاذ أسماعيل داغر قول القائل (يعاونهم في إثنائهما ، ويساعد هم في إدارة شؤونها) ، قال : (وتدعيه هذين الفعلين بغي خطأ صوابه بعلى) ؛ وال الصحيح ما ذكرناه ، وليس الأمر على ماقال ، فالظاهر إلى قول قيس بين الخطيم الأولي : وساعدني فيها ابن عمر بن عامر : زهير فادى نسمة وأناءها .

قال أبو علي المرزوقي في شرح ديوان الحماسة (١٨٦) : (ويكون المعنى ساعدني في هذه الطعنـة زهير بن عمرو ٠٠٠) . وليست (في) في العبارة بدل

بأشملة وشواهد وبيانات تتصحـح عـما أردنا وتبين عـما ذهبنا إلـي ، وسنجلـو في مقالات تالية ما يظهر مـكونـ ما عـولـنا عـلـيه ومـفسـونـ ما اـتـحـيـناـ فيما قدـمنـاـ من مـوارـدـ التـخلـطـةـ ، ليـتـبـينـ القـضـدـ ويـتـبـصـرـ الطـرـيقـ . فالقـاعدةـ فيـ استـعـمالـ حـرـوفـ الـجـرـ أنـ يـؤـخذـ فـيـهاـ بـالـسـاعـ وـالـقـيـاسـ جـيـعاـ . أمـاـ السـاعـ فـيـأـيـ النـصــ علىـهـ فـيـ المـاجـمـ ، وـهـيـ لـاتـجـاـزـهـ غالـباـ ولاـ تـعـدـاهـ . وأـمـاـ الـقـيـاسـ فـرـجـمـهـ كـتـبـ النـحـوـ وـالـأـمـهـاتـ الـلـفـوـرـيـةـ وـالـأـدـيـةـ ، فـقـيـهـاـ وـجـوـهـهـ تـصـرـفـهـذهـ الـحـرـوفـ فـيـ دـلـالـهـاـ الـمـطـرـدـةـ . فـإـذـاـ نـصـ المـجـمـ علىـ اـسـتـعـمالـ فـعـلـ بـحـرـفـ منـ الـحـرـوفـ سـعـاـ ، دـلـ ذلكـ عـلـىـ وـقـوعـ التـعـلـ علىـ الـوـجـهـ الـمـخـصـوصـ الـذـيـ حـتـمـلـهـ ، فـإـذـاـ أـرـيدـ لـفـعـلـ أـنـ يـتـصـرـفـ فـيـهـيـنـ عـنـ وـجـوـهـ أـخـرىـ فـلـاـ بـدـ مـنـ إـعـمـالـ حـرـوفـ اـسـتـقـرـتـ فـيـهاـ دـلـالـاتـ هـذـهـ الـوـجـهـ طـرـداـ وـقـيـاسـاـ .

وقد يكون من هذه الحروف المثلثة قياساً مانحي بالفعل إلى النحو الذي يتفضى إليه العرف النصوص عليه سعياً ، فيستعمل الفعل بحرفين قياسي وسماعي لقصدين متباينين .

فـأـنـتـ تـقـولـ سـعـاـ : أـجـبـتـ عـنـ السـؤـالـ ، وـلـكـنـكـ تـقـولـ إـلـىـ ذـلـكـ : أـجـبـتـ فـيـ الـكـتـابـ ، وـبـالـكـتـابـ ، وـأـجـبـتـ عـنـكـ ، وـعـلـىـ وـرـقـةـ بـيـضاءـ ، وـلـأـمـرـ هـمـ ، وـعـنـ الـأـسـلـةـ منـ أـوـلـاـهـ إـلـىـ آخـرـهـاـ ، كـلـ ذـلـكـ عـلـىـ جـهـةـ الـقـيـاسـ وـالـأـطـرـادـ .

وهكذا تقول : (أـعـاـونـهـ عـلـىـ إـنـشـائـهـ ، وـأـسـاعـدـهـ عـلـىـ إـدـارـةـ شـؤـونـهـ) عـلـىـ الـبـعـدـيـةـ الـسـاعـيـةـ ، وـلـكـنـكـ تـقـولـ قـيـاسـاـ : (أـعـاـونـهـ فـيـ إـنـشـائـهـ ، وـأـسـاعـدـهـ فـيـ إـدـارـةـ شـؤـونـهـ) وـ(فـيـ) هـاـ هـذـهـ الـلـفـرـفـيـةـ الـمـجازـيـةـ ، وـتـخـرـجـ الـكـلـامـ أـنـ (الـمـاـوـنـةـ) تـأـسـتـ فـيـ (الـإـشـاءـ) ، وـأـنـ (الـمـاـعـدـةـ) اـتـقـتـ فـيـ (الـإـدـارـةـ) . أمـاـ الـمـاـوـنـةـ عـلـيـهـ



على ما يقع فيه الليس أو الخفاء فتكتشف عنه . لكنها لا تعاب ولا تتقص بالتصور عن الاستيفاء اذا أغلقت القياس الظاهر المتقاد في الاصل . وانما يؤخذ القياس المطرد ويعرف مسراه بالاطلاع على ما قرره النهاة في اسفارهم بالبحث والاستفراء .

و اذا أريد الاستظهار على صحة القسول (يماونهم في إنسانيها) في المعاجم نفسها ، فانما يراجع فيها ما جاء عن معاني (في) ومصارفه . ففي الصحاح مثلًا : (في ، حرف خافق ، وهو الوعاء والظرف ، وما قدر تقدير الوعاء ، تقول : الماء في الإناء ، وزيد في الدار ، والشك في الخبر) . ذ (في) في قوله (الشك في الخبر) ، ك (في) في قوله (المعاونة في إنسانيها) ! وخلاصة القسول أنه لابد في الحكم على صحة تعرية الفعل بحرف من العروض ، من مراجعة كتب اللغة من أجل استفراء وجوه استعمال العروض العباره في المانوي المطردة قياساً ، واعتبار نصوص المعاجم والأمهات للوقوف منها على ما خص به الفعل من هذه العروض سعياً . ولا يمكن استعمال الفعل بحربة الساعي النصوص عليه في وجهه معينة ، أن يجيء بالعرف القياسي في منحي شابه الوجه المذكورة أو يدانها ، وكل ذلك يحتاج الى تروثه وتدقيق .

هذا وقد قضيت العجب كيف وقع الخلاف من التقاض على تعرية (أسف) ، هل يصح أن يعدى باللام كما يعدى بعلى ؟ فنص المعاجم أبدًا على تعرية (أسف) بعلى . قال صاحب الصحاح : (الأسف أشد الحزن ، وقد أسف على ما فاته ، وتأسف أي ثلث ، وأسف عليه أنساً ، أي غصب) وظيره قوله تعالى : (يا أسفًا على يوسف - يوسف / ١١١) . وكذا قول الشاعر :

(على) ، وإنما أثبتناها ، واظر الى قول المرزوقي أيضًا (١١٧٤) : (استعن بالصبر في كل ما تراوله وترواده ، فإن الأمور إذا اندسأت طرقها وأعيرت العيل في تحصيلها ، فإن الصبر يسهل مدارجها ، ويؤتى من موالجها ، ويفتح ما انفلق منها ، ويفتق ما ارتق من أسبابها) ، فإن (الاستعنة) بالصبر إنما أرادها : في كل أمر يزاول أو يراود ، فاغنى (في) في الكلام عن (على) واستقام القول .

وأغرب من ذلك وأذهب في العجب ، اعتراض الأستاذ داغر على قول القائل : (ويذل عناته في طبعها) ، قال : (والعنابة إنما تكون بالشيء لافيته) . ونحو لاعراض الأستاذ في أن تعرية الفعل إنما تكون بالباء ، لكننا ننازعه في تعليق الحكم بصحة قول القائل ، على استعمال التعرية الساعية ، ذلك أن تحرير القول يمكن أن يكون : (ويذل في طبعها عناته) فيكون تعلق (في) بـ (البذل) لا بـ (العنابة) ، قال الحريري في مقدمة مقاماته : (وبذلت في مطاعته جهود المستطيع) .

هذا وقد ذهب الدكتور مصطفى جواد عضو المجمع العراقي في رده على الأستاذ داغر المذهب الذي نحونا اليه في تصويب قول القائل (يماونهم في إنسانيها) لكنه قال : (فقال الناقد صوابه : على إنسانيها ، لأن لم ير تعرية عاون في المعاجم اللغوية ، وهي غير مستوفاة البحث ولا مستقصاة التعرير) .

أقول لا وجه ثمة لما عاب به الدكتور جواد ماجم اللغة في هذا ، لأن المعاجم لم تؤلف لتذكر القياس المتقاد في كل شيء ، وإنما قامت لتنص على الساع ، بل على ما لا يتأتى الاهتداء إليه بالقياس . وقد تشير إلى القياس لاستثنائه وجه من الوجوه ، أو التبيه



غير مأسوف على زمان

ينقضي بالمس والعمر

وقد اقتاد هذا كثرة الناقدين الى تخطئة القائل (أسفت له) وجعل الصواب (أفت عليه) . قال الاستاذ أسعد داغر : (ويقولون هذا مما يؤسف له ، وهو شائع كل الشيئ ، فيعدون أسف باللام ولم يسم تعديه عن العرب الا بعلى) . وقد تابعه في ذلك الدكتور مصطفى جواد فقال في كتابه (دراسات في فلسفة النحو) : (فإنه يقال أسف على الانسان وعلى الشيء لا أسف لها) . وقد أتى بشواهد من الشعر والنشر على تعدية الفعل بعلى . وخالق الاستاذ محمد العداني صاحب (معجم الأخطاء الشائعة) جواداً وداعراً فأتى بما يشير الى تعدية الآئمة الفعل باللام كقول أبي علي القالي في نواحه : (فوجد زوجته الثانية قد ماتت حزناً عليه وأسف لفراره) . فما صواب الملة اذا ؟

أقول اذا عدي الفعل في المجمع بحرف فليس يلزم من هذا الا يتعدى بسواه اذا انتضى معناه ذلك . وقد ودقفتنا القول بما قدمناه ، وأشارنا اليه غير مرقة في كتابنا (أخطاؤنا في الصحف والرسوارات) المطبوع عام (١٩٣٩) . ولتنقل هنا ما حكاه الإمام السيوطي في الأشباء والنظائر عن أبي نزار (١٧٦/٣) ، قال : (ان الفعل قد يتعدى بعده من حروف الجر على مقدار المعنى المراد من وقوع الفعل لأن هذه المعنى كامنة في الفعل ، وانما يشيرها وظاهرها حروف الجر) . فما معنى الأسف في الأصل ؟ الأسف بمعنى الحزن ثارة والغضب أخرى . قال ابن القوطة : (أسف أنسا حزناً ، وأيضاً اشتد غضبه) . وقال الراغب في مفرداته : (الأسف الحزن والغضب معاً ، وقد يقال لكل واحد

منها على الانفاس) . وجاء في محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني (٥٠٦/٤) : (سئل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، عن الحزن والغضب ، فقال : أصلاهما واحد وذلك وقوع الامر على خلاف المحبة ، وأما فرعاهما فختلفان ، فالملکروه من فوتك يتبع حزناً ، ومن دونك يتبع غضباً) وجاء فيه أيضاً : (قال يعقوب الكندي أسباب الحزن فقد محبوب أو فوت مطلوب) . ومثل ذلك الأسف ، فكما يكون مما اتفق على المرأة من فقد محبوب أو فوت مطلوب ، فقد يكون مما فرط منه من فعل فكرهه بعد أن فعله ، فيقع (أسف) موقع (ندم) أيضاً . ففي الاصفاح : (الندم الاسف ، ندم عليه يندم ندماً وندامة وتندم : أسف ، وندم على كذا : كرهه بعدما فعله فهو نادم) : وفي المتن : (ندم يندم ندماً وندامة : أسف ، فهو نادم وندمان) .

فإذا صع هذا ، وعديت (حزن) و (أسف) بعلى ساعاً ، كما عديت (تأسف وتلهف وتحسر وغضب وندم وتندم وصبر وجزع) ، وأنت تقصد أن تذكر الامر الذي كان الحزن والاستف بسبب فقده أو فوته فلك أن تخثار اسلوبياً آخر تقول به على القياس (حزنت لفقد فلان وأسفت لفراره) أي بسبب ذلك أو من أجل ذلك . فاقترن الى ما جاء في محاضرات الأدباء للراغب : (اذا أبصروا حالى ولم يأسفوا لها : ولم يأنفوا منها أهنت لهم مني - ٣٨ / ٣) وقوله : (التأسف لقلي حبيب له - ٣ / ٧٦) ، وما جاء فيه أيضاً : (قال الشاعر : فقد حزنت لفقدتهم الشهور - ٤ / ٥١٦) .

وتأمل ما جاء في شرح ديوان الحماسة لأبي علي المزوقي : (لا آسف لما أرى من الحرمان أسف من يككي ويكي غيره) وقوله : (الصدر من البيت تحسر



لما أصاب القراء واليامي بعد موته) قوله : (وهذا
الحزن الذي نهانا عنه ليس يريد به الحزن لنفسه ،
وانما يريد الحزن لسلامة الواتر / ٨٦٦) .

واظر الى قول مهيار ، وقد استشهد به المجم
الكبير ، على تهذية الفعل باللام :

أسفت لحلم كان لي يوم بارق
فآخره جهل الصباية من يدي

ومعناه أن الشاعر قد تحرر من أجل حلم كان له ثم
خرج من يده ، فبات يتلهف لنفسه .

هذا وليس العجب أن يلحظوا قول القائل (أسف
له) وهو القىاس المنقاد في استعمال اللام ، بل العجب
أن يحتاج لتصويب هذه إلى دليل يؤنسه وشاهديته .
فقرب أن يتحو المعجم الكبير هذا التحو فيتشهد
بشعر مهيار الجواز - أسف له . وأذهب في الغرابة
وأمضى قول الاستاذ محمد العداني في معجم
الاخطاء الشائنة : (وانفرد المعجم الوسيط بقوله :
أسف له : تالم وتندم ، دون أن يذكر المعجم أن مجمع
القاهرة وافق على ذلك .. ثم أصدر المعجم نفسه
الجزء الأول من المعجم الكبير ، وقال فيه : أسف له
أسفاً وأسفة تالم وندم ، واستشهد بقول مهيار :
أسفت لحلم .. ونحن لا نستطيع الاعتماد على قول
شاعر طرق الحمام : فيا عجبا من آسف لأمرىء ثوى :
وما هو للمقتول ظلماً بآسف ، لأن الفرورة الشعرية
قد تكون السبب في الاتيان باللام بعد آسف ، بدلاً من
على ، ولكننا نعتمد على قول المعجم الكبير ، وأبي علي
القالي) .

أقول إن (أسف له) عربي فصح لا غبار عليه ،
وليس هو في حاجة الى مجمع يقر صوابه ويبدل على

سداه ويشهد بصحته . واستعمال اللام فيه قياس لا
شأن فيه للسماع كما أسلفنا . وهو كقولك (تأسفت
له وحزنت له وجزعت له وأسيت له وصبرت له
وتوجهت له) ..

وقد أردف الاستاذ محمد العداني (ونعتمد أيضاً على
رأي ابن جني الذي أفرد بحثاً رائعاً في الخصائص عن
استعمال العروض بعضاً مكان بعض ، يحيى لنا أن
قول : أسف عليه وأسف له ، راجع مادتي : لا يخفى
على القراء ، واعتقد ، في هذا المعجم) . أقول ليس
لقولك : (أسفت عليه وأسفت له) صلة بالباب
الذي عقده ابن جني في الخصائص (٣٠٦ - ٣١٥)
على استعمال العروض بعضاً مكان بعض . وإنما يزيد
مضمون الباب المذكور إلى ما أسموه بحمل الكلام
على المعنى أو التضمين والاشارة . وليس شيء مما
ذكرنا أو بسطنا القول فيه هنا من قبل العمل على
المعنى أو التضمين الذي قصد إليه ابن جني في كلامه
أو عناء الاستاذ العداني بقوله : (راجع لا يخفى على
القراء ، واعتقد ، في هذا المعجم) . فالكلام الذي
قلناه في جواز (أسفت له) إنما هو في جملته وتفصيله
تصريف لغروف الجر مع الفعل في المعاني التي عرفت
بها ، واجراء لها في مجاريها التي رسماها النحاة
بالاستقراء ، وفصلوا القول فيها ، في مختلف المظان .

وشيء آخر لابد من التنبيه عليه . فقد عرف
المعجم الوسيط والمجم الكبير (أسف) ، فلم يأت
تعريفهما جاماً مانعاً كما يقول أصحاب المثلث ، وهما
معجمان حديثان أشرف على تأليفهما المعجم
القاهري . فقد جاء فيما (أسف له : تالم وتندم) ،
وهو تعريف فيه من القصد والاجمال ما يجب
اللبس ، فإذا قلت (أسفت للأمر : تالمت وتندمت)



و (حزنت له) شيء آخر . ذ (حزنت لفلان) يعني رقت له و عطفت ، وهو غير حزنت عليه ، فاظر الى ماحكاه الراغب في محاضرات الادباء (٤/٥٠٨) : (ولما مات ذرُّ بن عمر بن ذرَّ ، قام أبوه على قبره فقال : ياذرْ شفقتنا العزنُ لك عن العزن عليك ۖ اللهم انك قد أزمنته طاعتك وطاعتي ، فاني قد وهبت له ما فقر فيه من حقي ، فهو لي ما فقر فيه من طاعتك . اللهم ما وعدتني من الأجر على مصيبي به فقد وهبته له ، فهو لي من فضلك) . فكان حزنه على الرجل توج عليه وجزع ، فهو افعال ليس غيره ، أما حزنه له فهو رثاء لحاله و عطف عليه واهتمام بأمره ، فهو اشغال و فعل . وقد جاء في الأساس : (هؤلاء حزانتك أي أهلك الذين تحزن لهم و تهتم بأمورهم) ، و تحزن في الاصل صار حزينا . وليس كذلك حزنت لفقدك وعلى فقدمه ، فإن اللام هاهنا في موضع على كما قال المزوقي .

وفي اللغة : (أسي عليه اذا حزن) ، قال الفيومي : (أسي أسي من باب حزن فهو أسي مثل حزن) . فأت تقول : (أسيت عليه كحزنت) ، لكنك تقول أيضا : (أسيت للرجل اذا حزنت له اي رقت له فشئتله بأمره) . فاظر الى ما حكاه الراغب في المحاضرات (٤/١٦٥) : (قال الموسوي : يموت قوم ولا يأسى لهم أحد : واحد موته هم لأقوام) . فكان فحواه : يموت قوم فلا يهتم لهم أحد ، ويقضي فرد فيهم لموته أقوام .

واظر الى قول قراد بن سليمي بن ديسة : أولئك لو جزعت لهم لكانوا : أغز علي من أهلي .
ومالي .

(١) فاته الشيء يغلوته ، وفاته اياه غيرة .

لم يصح قوله دوما ، وإذا قلت (أسفت للرجل : تالم وتندمت) ، أشكل كلامك أيضا ، والا أفيصح قوله مثلا (أسفت لفلان أو أسفت لفراقة : تندمت) ؟ ذلك أن (التندم) لا يأتي الا من عمل قام به الآسف نفسه ، تقول : (أسفت لما فرطت مني أي تندمت) ، قال ابن القوطيه : (ندم ندما وندامة كره ما فعله) لا (ما فعله سواه) ! ففي كل (تندم) أسف أي حزن ، وليس في كل (أسف) تندم ، ومن هنا كانت نصوص الماجم (الندم : الأسف) كما نقلناه لك عن الانصاف والمن ، لا المكس .

ولنعد الى ما كنا عليه وبسيطه من الكلام على قياس استعمال (اللام) فيما جعلت له ، قياسا للينكرس ، فأنت تقول (صبرت على البلاء واصطبرت) ولكنك تقول أيضا (صبرت لما أصابني منه واصطبرت) ، قالت امرأة منبني عامر :

سيتركمها قوم ويصلئي بحرها
بنو نسوة للشكل معطرات

قال أبو علي المزوقي في شرح هذا البيت (٧٤٩) : (وقد تعود الشكل أمها them ، فلا يجعن لقلتم ، وألف الأئمة ناؤهم فلا يحزن لموتهم . ومعنى للشكل : من أجله) . وأردف : (وهذه اللام في هذا الموضع قد تؤدي معنى على فاعلها) . واظر الى قول المزوقي (٩٨٩) : (ولا شيء من أعلاق التي يحزن له اذا أفيت) (١) .

وإذا كانت تعدية (حزن) و (أسف) باللام قد تؤدي مؤدي تعديتها بمعنى اذا ذكر الامر الذي كان الحزن او الاسف لفقدده او فوتته ، فليس الحال كذلك اذا ذكر الانسان الذي كان مصدر الحزن وموضع الاسف ، فقولك (حزنت على الرجل) شيء ،



كما جاء في محاضرات الأدباء للراغب (٤٣٦) :
 (وغضب الرشيد على رجل فقال له جعفر : غضبت له
 فاطع الله في غضبك بالوقوف إلى حال التبيّن ، كما
 غضبت له) ٠ وفي شرح العمامنة للمرزوقي قول قرداد
 بن عياد (٦٧٠) :

(اذا المرء لم تغب له حين يغب
 فوارسٌ إن قيل اركبوا الموت يركبوا
 ولم يتحبّب بالنصر قومٌ أعزّةٌ
 مقاومٌ في الأمر الذي يتّسبّبُ
 تغضّه أدنى العدّة ولم ينزل
 وإن كان عصيًّا بالظلمة يُضرب)^(١)

ويحصل من ذلك أنك تقول أسفت على فلان اذا
 حزنت عليه أو غضبت ، وأسفت على الشيء اذا تلهفت
 أو تحسرت على فقده ، وأسفت على ما فرطت معي : اذا
 تندمت ، كما تقول : أسفت لفلان اذا حزنت او غضبت
 له ٠ وأسفت لفقدك اذا أسفت من أجل فقدك ، وأسفت
 لما فعلته : اذا تندمت ٠

وهذه أمثلة أخرى : تقول في (حد) على
 الأصل : (حسدت فلانا على نعمته) ، ولكنك تقول
 الى ذلك (حسدت فلانا لنعمته) وهو بمعناه ٠ فقد
 جاء في المحاضرات قول الشاعر : (لَا يَنْزِعُ اللَّهُ عَنْهُمْ
 مَا حَسِدُوا) أي ما حسدو لأجله وبسببه ، وهو
 ما حسدوه عليه . وقال الراغب في عنوان له (المحسود)
 لفضله ، أي بسبب فضله أو على فضله ٠

وفي (لام) ، تقول على الاصل (استحق فلان

(١) اي اذ غضب المرء ولم ينتصر له فوارس يطلبون
 الموت ، واعزة مقاومين لا يخشون الصعب . ظلمه
 ادنى العدّة ، ولو كان اهلا للقتال .

والمعنى على ما ذكره ابن جني في التنبيه : (لو
 جزعت لهم لكنت معدورا في ذلك ، لأنهم أعز علي من
 أهلي ومالي) ٠ وقال أبو علي المرزوقي في شرح ديوان
 الحمامسة (١٠٠٤) : (لو أعطيت العجز حكمة لكان
 حال حينشد بخلاف حالى الساعة ، ولكن لي عذر في
 ذلك ، لأنهم أعز علي من أهلي ومالي ، لكنني تركت
 ذلك اقتداء بالناس في جزء حعم لصا بهم) ٠ والذي
 ينبغي الكشف عنه هنا ، قوله (جزعت لهم) أقتداء
 ب يؤدي مؤدي (جزعت عليهم) ، ام يعني الى ذلك شيئا
 آخر ؟ الذي أراه ان استعمال (اللام) هنا يضيف
 الى (العجز) الاهتمام والبالغة بين فقدوا والخلف
 لهم ، وهم أعز على العجائز من أهله وما له ! او ليس
 هذا ما يقوله الشاعر ؟

ويبدو الفارق بينا بين (غضبت عليه) و (غضبت
 له) ، فغضبت عليه اذا سخطت ، أما غضبت له فمعناه
 غضبت من أجله ٠ وإذا غضبت لانسان فقد اهتممت
 به واتصرت له ٠ وقيل (غضب به) بمعناه اذا كان
 المضروب له ميتا ٠ والباء هنا للسبب ٠ وقد أشار الى
 ذلك ابن قتيبة في (أدب الكاتب/ ٢١٦) ، وفصله
 الحسن بن قاسم المرادي في (الجستي الداني في
 حروف المانع/ ٣٩) ٠

وجاء في الاساس : (وللشماخ :
 وقد أتاني بأذن قد كتبت تغبب لي
 ووقدمة منك حق غير ابراق
 فسهرتني ذلك حتى كدت من فرح
 أساور الطسود أو أرمي بارواق)^(١)

(١) رمى بأوراقه على الدابة : ركبها وعلاها .

(حفظ) بـ (اللام) . وقال المزروقي في شرح الحمسة (١٥٣٥) : (وحفظت عليها صيانته تسمها) ، لكنه قال (٥٥٧) : (وحفظت لها وعليها مياها وبلادها ومراعيها ومراداها) . وليس هذا صريحاً باستعمال الحرفين حسب ، وإنما هو دليل على أن لكل منها معنى ومتوجهها ، فإذا قلت (حفظت له المال) فقد عنيت به أنك حرسته له وصته من أجله أو ما مائل ذلك . وإذا قلت (حفظت عليه المال) فقد أردت به أنك قد أبقيته عليه وصته من أذى وحافظت عليه بالرعاية . وهو من القوة بعثي لا يؤخذ به معنى (حفظت له) . وكذلك قوله : (حفظت عليه أحواله) فهو على معنى المراقبة والمحاسبة . فاظر إلى ما جاء في اللسان : (والحفظ المحافظ ، ومنه قوله تعالى : وما أنا عليكم بخفيظ) ، وفي الأساس : (وهو خفيظ عليه : رقيب) . قال الزمخشري في كتابه حول قوله تعالى : (وما أرسلوا عليهم حافظين / المطففين / ٣٣) : (أي حافظين موكلين بهم يحفظون عليهم أحوالهم ويهمنون عليهم) . وفي ذلك معنى المراقبة . واظر إلى ما أتى به اللسان : (وقد حفظ على خلقه وعباده ما يعلوون من خير أو شر) ، فان فيه معنى المحاسبة ، وما أورده أيضاً (والحظة الذين يُحصون الاعمال ويكتونها على بنى آدم من الملائكة) !

ومن شواهد الدكتور جواد ، ماجاء في سيرة ابن هشام . قال رسول الله ﷺ : (منْ رَجُلٌ يحفظ علينا التاجر لعلنا ناتم) ، قال بلال : (أنا يا رسول الله أحفظه عليك) ، وما حكى عن سيدنا علي ، قال : (فان نسيت مقالتي حفظها عليك غيرك) والاول على معنى المراقبة ، والثاني على معنى المحافظة ، كما أسلفنا . ويتبيّن بذلك أنك تقول : (حفظت على فلاذ أمره) و (حفظت على الشيء سداده) ، فإذا

اللوم على فعلته تلك) . قال المزروقي في شرح الحمسة (٣٧٣) : (ويلوهم على ما كان منهم من التصور عن نصرته ..) . وتقول إلى ذلك : (استحق فلاذ اللوم ل فعلته) أيضاً . قال المزروقي : (٧٦٦) : (فعدت امرأته تلك الفعلة منه ، وما اتفق عليه ، سفها وذنبها ، يستحق لها اللوم ، ففقطت باكرة عليه شجرة وتوتبه) أي يستحق اللوم ببعدها ومن أجلهما .

★ ★

وظير ما نحن بسيله منع الدكتور مصطفى جواد قول القائل (حفظ له الشيء) والاتصال على (حفظ عليه الشيء) . فقد عاب على الشيخ رؤوف جمال الدين قوله (حقوق الطبع محفوظة للمؤلف) . قال في كتابه (دراسات في فلسفة النحو والصرف واللغة) : (والفصيح بل الصواب محفوظة على المؤلف ، يقال : حفظ فلاذ عليه الشيء ، حفظاً فالشيء محفوظ عليه) . واستلهم بكلام كثير من الأئمة كالأمام علي ، والأمام زين العابدين علي بن الحسين ، وغيرهما . قال علي رضي الله عنه : (فان نسيت مقالتي هذه حفظها عليك غيرك) . وقال زين العابدين في دعائه : اللهم احفظ علي سمعي وبصري الى انتهاء اجي . وأنت تعلم أن دليله هذا انا يقوم على ايات تصرف الفعل بـ (على) ، ولاينفي جواز استعماله باللام ، قال صاحب اللسان : (الخفيظ من صفات الله عن وجٰل ، لايمزِّب عن حفظه الاشياء كلها ، مثقال ذرة في السموات والارض ، وقد حفظ على خلقه وعباده ما يعلوون من خير أو شر) ، فعدت (حفظ) بـ (على) . لكنه قال أيضاً : (ويقال استحفظت فلاذنا مالاً إِذَا سأله أَنْ يحفظه لَكَ) فعدت



لـ (حفظت على فلان) أو (حفظت على الشيء) فهو أما على حذف المفعول ، أو على ايقاع (حفظ) موقع (حافظ) كما توقع هذا موقع ذلك ، وهما هنا يعني . فمن الاول ما جاء من نوح البلاعنة (١٧/١) : (حافظاً على عهده) ، ماضياً على تفاذ أمرك (من حفظ عليه كحافظ عليه) . وفي التزيل : (وربك على كل شيء حفيظ - سبأ / ٢١) . قال الرمخيري : (محافظ عليه ، وفعيل ومفاعل : متاخيان) . ومن الثاني قول المزوبي (٥٨٥) : (فلم يراعوا ذمة ، ولم يحافظوا حرمة) ، من حافظ كحفظ . وكذا قوله (٧٤٠) : (وإذا حافظنا الحقوق وراعينا الوسائل والحظوظ تنسقت الابوة والأمومة ، وتلاحظت البنوة والأخوة) . ويحمل الشتمري تعبية (حافظه) كـ (حفظه) ، على حذف الجار وايصال الفعل . ففي الكتاب (٩٧/١) :

أخذت بسجلهم ففتحت فيه

محافظة لهن إخا الذمام

قال الشتمري : (الشاهد فيه نصب إخا الذمام بمحافظة ، والتقدير لأن حافظت إخا الذمام أي راعيته وقارضت به ، والمعنى على إخا الذمام فحذف حرف العبر ووصل المصدر لما فيه من معنى الفعل ، وأراد إخاء الذمام فقصر ضرورة . والسجل الدلو ملأى ماء فضررت مثل في العطاء والحظ لأن العيش بالماء ، ومعنى فتحت : أعطيت) .

هذا وقد اقتصر الدكتور جواد في استعمال (حفظ) مع اللام ، على صورة واحدة ، اذ ارتضى قول القائل (أحسنت الى فلان فحفظ لي ذلك) أي ذكره . ويمكن أن يرد هذا الى معنى الصون الذي ثبت لل فعل في الأصل . تقول : (حفظت له المهد) اذا صنته بالير والوفاء . فيما بال الاستاذ أساغ هذا وأنكر (حفظ

له حقه) و(حقه محفوظ له) أي مصون ، ومحظى في هذا كحافظ في قول ابن منظور (المحافظة الوفاء بالعقد والتمسك بالولد) . والذى يحدث اليقين بما قلناه أن استعمال اللام مع الفعل فيما قدمنا جيئاً مقيس مطرد للاحاجة به الى اجتهاد أو ساع . وإنما سقنا الشاهد ليؤنس ما ذهبنا اليه ، وأوردنا الدليل ليسلكنا الى ما نبغيه . فاظر الى قول الشيخ نصر الموريني في شرح ديباجة القاموس : (ومودع بالضم اسم فاعل من أودعه الشيء جعله عنده وديعة يحفظ له) أفكنت تحتاج الى ساع يقر قوله (حفظت له الودية) ، او اجتهاد يسغى النطق بما يتوجه القياس ؟ ثم انظر الى قول مسكن الدرامي :

فاني سأخلي لها يتها

فتحفظ لى نفسها أو تذر

وقد أورده الراغب في محاضرات الأدباء من قصيدة (٢٣٢/٣) . وهذا قول علي " كرم الله وجهه من نوح البلاعنة (١١١/٣) : (واحفظ له ما استحفظك من حقه فيهم ، واجعل له قسم من بيت مالك) !

* * *

ونحو من (حفظ له الشيء وحفظه عليه) . (توفر له الشيء وتتوفر عليه) .

فقد أنكر الاكترونون (توفر) في غير صورة واحدة أوردها الاساس وسواء . قال الزمخشري (ومن المجاز .. توفر على صاحبه اذا درع حرماته ، وتتوفر على كذا اذا كان مصروف الملة اليه) . وقد جاء الصحاح والتمذيب واللسان والمصاحف والاتاج بفشل هذا النص فتماثلت فيه تقولها وتساهمت مروياتها وتناصرت ، فوقف الناقدون عند النص ، ولم يتعدوه او يستفسروا قرائته فيستبطروه .

قال الاستاذ أسعد داغر في تذكرة الكاتب



تنقصه ، فوفر هو . ففي المصاحح : (قال أبو زيد : وفرت له طعامه توفيراً ، اذا اتمته ولم تنقصه ، ووفرت عليه حقه : اعطيه .. فاستوفره واستوفاه) . وفي الصحاح : (ووفر عليه حقه توفيراً واستوفره واستوفاه) .

فاقتصر الزمخشري وسواء على القول (توفر على صاحبه اذا رعى حرماته ..) لا يمنع معه (توفر) في مصارف أخرى كما رأيت . ذلك أن الزمخشري قد أورد كلامه على أنه مجاز فلم يتبع كثرة الناقدين له . ولو قدرنا أن لهذا المجاز أصلاً لابد من ابتعائه والتماس وجهه لظفروا به من غير كلفة أو عناء . ذلك أنك تقول من (وفر) مثلاً : (وفرني فلاذ على كذا) أي وفتر جهدي ووقته عليه . و (توفرت على كذا) اذا وفرت جهدي وجمعته عليه ، وصرفت همتي اليه . قال المرزوقي (١٣٢٠) : ولم توقروني على ما أهم به . وهكذا تقول : (توفرت على صاحببي) اذا وفرت همتك على ما تستقيم به أمره وتصلح أحواله وهذا ما ابنته الماجم جين تناقلت النص الذي أوردنا (ومن المجاز : توفر على صاحبه .. وتتوفر على كذا ..) .

هذا وقد أصبح (التوفر) بالمجاز مرادفاً للعنابة بالامر والانصراف اليه والاهتمام بالانسان وتقده وحسن رعايته . فاقرر الى قول المرزوقي (لحسن توفرنا عليه واحتفلنا بسوق الخير اليه / ١٢١) . و قوله : (وان التوفر على الضيف واكرامه ٠٠٠ من الخصال المحمودة / ٧٠٠) . و قوله : (وازدادوا توفرًا عليهم وتقديرا لهم / ١٠٨٥) ، و قوله : (متوفرون على ، حسب ما يقتضيه كرمهم / ١١٥٩) و ظائزه كبير .

(ويستعملون الفعل توفر بمعنى وفر أو توافر أي كثر ، فيقولون يجب أن توفر في الخبرة ، وهذا لم توفر فيه الاسباب الكافية . وفي اللغة توفر عليه رعي حرماته وصرف همة اليه) . ومما لا يدرك الاستاذ محمد المدعاني في مجده فقال : (ويقولون توفر الذكاء والاجتهد والصواب : وفر أو توافر أي كثير ، لأن معنى توفر عليه رعي حرماته وبره وصرف همة إليه مجاز) .

وخلالهما الدكتور مصطفى جواد (١) إذ أقر (توفر) كوف لازماً ، لكنه منع (توفر له) وارتضى (توفر عليه) وأنت لا تملك الا استنراب ما ذهب إليه في هذا التفريق ، وقضاء المعجب منه !

أما اقرار (توفر) فدليله على ما ذكر الدكتور جواد قول بشار ، فيما حكاه صاحب الاغانى (١٤٥ / ٢) : ان عدم النظر يقوى ذكاء القلب ويقطع عنه الشغل بما ينظر اليه من الاشياء في توفر حسه . وقول المرتضى في أماله (٥٦ / ١) : (في توفر اللبن على الحلب) وكلاهما شاهد بصحة (توفر الشيء) إذا وفر وتجتمع .

ويؤيد هذا ، وينزع منزعه ، قول أبي حيأن التوحيدى . في كتابه (المصائر والنخائر - ١ / ١٧٠) : (يقال من أكثر الخير سار به ذكره ، وتوفر عليه أجره) . وقوله في كتابه (المقابلات - ٢٣٨) : (ولهذا لا توفر القوتان للانسان الواحد) . وقال أبو علي المرزوقي في شرح الحمسة (٧٩٠) . (توفرت عليه الرحمة) ، وقال أيضاً (٨٦٦) : (وان العناية متوفرة من جمتهم) . وقال (٧٩٤) (ليتبين كيف توفر الجزع عليه) . فثبت بذلك أنك تقول (وفرت الشيء) اذا أكملته ولم تنقصه ، فتوفر هو اذا تحصل دون نقص . وذلك ك (وفرته) بالتخفيض ، اذا أكملته واتمته ولم

(١) في كتابه (دراسات ..) و (قتل ولا تقتل) .



الا من قرشي أو أنصاري . ومثله : قضية الدين
فاقتضاها أي قبله وتوفره) ٢٠٠ ويبني هذا أن (توفره)
كاستوفاه واستوفره . وقد أورده سوره النص ،
فتامل !

هذا وقد أخذ الاستاذ صبحي البصام في رسالته
الاستدرار على استاذى العلامة الدكتور مصطفى
جواد بعض ما جاء في كتابه : (قل ولا تقل) ، لكنه
لم يعرض لشيء مما نحن فيه .

* * *

وإذا تجاوزنا من حروف الجر (اللام وعلى) فهناك
(من) . ومن معانها كما ذكر المفني (١٤/٢) التعليل ،
وقد مثلوا له بقول الفرزدق :

يُنْضِي حَيَاةً وَيُنْفِضِي مِنْ مَهَابِهِ

فلا يكلم الا حين يتسم
وتأسياً على هذا تقول (أسفت من حسدك
إباهي) ، ولا ترجو أن تجده في معجم لتراث السى
سداده وتسكن الى صوابه . قال صاحب المحاضرات
(٧٤/٣) : (تاسف من هجر محبوبه) . وقد جاء
فيه (٤/٣٩٤) قول الشاعر :

وَقَدْ يَأْسَفُ الْمُرِهِ مِنْ فَوْتِ مَا

لَسْلَمَةَ مِنْ فَوْتِهِ

وقول آخر :

لَمْ أَبْكِ مِنْ زَمْنٍ شَكُوتَ صَرْوَهْ

الآ بَكَيْتَ عَلَيْهِ حَيْنَ بَرُولَهْ

وقول آخر (٢٨٧/٣) :

لَا تَجْزَعْنَ مِنْ الْمَرْزَالِ فَطَالَا

ذِبْحَ السَّمِينِ وَعَوْفَى الْمَرْزُوقِ

وجاء في شرح ديوان العباس للمرزوقي (٩٦١) :

بَكَتْ دَارَهُمْ مِنْ قَدَهُمْ فَتَمَلَّتْ

دَمْوعِي فَأَيِّ الْجَازِعِينَ أَلْسُومْ

ولكن ما بال الدكتور مصطفى حداد يلعن قول
السائل (توفر له) فيقول في كتابه (دراسات ٢٠٠) :
(قل ولا تقل) : (وقد أخطأ حفظه الله باستعمال
اللام مع الفعل توفر ، وإنما قال الفصحاء توفر عليه
لا له ، وتتوفر فلان على فلان ٢٠٠) ! وإذا كان الاستاذ
جواد قد أكثر من شواهد على استعمال (توفر عليه)
فليس هذا سندأ له في حظر (توفر له) بحال من
الأحوال . وهو قياس منقاد لا شأن فيه لحكاية أو
رواية أو سباع .

فقد رأيت أبا حيان يقول : (ولهذا لا تتوفر
القوتان معاً للإنسان الواحد) ٢٠٠ يقىده قول المرزوقي
(١٥٠٧) : (خبروني أى العادتين أقرب إلى الكرم
وأجرى في وفاة الشيم أعادة من يستنزل الأضياف عن
أموالهم وينقص ما توفر لهم ، أم عادة من يزيدهم
ويسير حظوظهم) ٢٠٠

وإذا قال صاحب المصباح (وفتر له الطسام
توفيراً إذا أتته ولم تقصه) أفال تقول في إثره (قتوفر
له الطعام) . والا فكيف يسوغ قوله (وفتر له)
ويكتن (قتوفر له) ٢٠٠

وليس هذا حسب ، فإذا أعملنا الفكر في تصرف
ال فعل بالمعنى فأنتينا لكل وجية وقصدناه فإذا قلت :
(توفر له المال) فقد أردت تجمعه في يديه أو صيرورته
إلى ملكه وحوزته ، وإذا قلت (توفر عليه المال) فقد
لحتت إلى تجمع المال ، فضل التぬمة وضفوها بل تماماً
وسبوغها عليه .

وإذا كان (توفر) كـ (وفر) لازماً ، فهل جاء
(توفره) متديناً كـ (وفره) ؟ أقول لم أر هذا في
معجم ، لكنني ظفرت به في شرح العباس (٢١٨) ،
قال المرزوقي : (يقال وديته فاتدى ، كما يقال وهبته
فاتهب أي قبل المبة . وفي الحديث همت ألا اذهب



وقال أبو الطمحان الصيني (١٢٦٦) :
و قبل غد يالهف تسي على غد

اذا راح أصحابي ولست برائي
قال المرزوقي : (ريوى : يالهف تسي من غد
وهذا تلهف من غد) ٠

وهكذا القول في استعمال (في) و (باء) قياسا
مطراً فيما كان له . فانت تقول مثلاً (جزع فيه
وبه) ولا تحتاج فيه إلى نص يشهد بصحته . قال
التبني :

أجد العزن فيك حفظاً وعقلاءً

وأراه في الخلق وعرأ وجهلاً

وجاء في شرح ديوان الشاعر لأبي البقاء الكعبري
(١٢٤/٣) : (قال الواحدى المراد بالعقل الاعتبار
بمن مضى ، فان العاقل ائما يحزن بالميّت اعتباراً به
وعلما أنه عن قرب يتباهي . وحزن غير العاقل ائما
يكون خوفاً من الموت ، وهو جهل لانه ميت لا محالة
وان حزن) . وقال أبو البقاء : (والمعنى انما تحزن على
من تصاب به من أحبك ، حفظاً لذاتهم ورعايتها
لخدمتهم وانصافها وعقلها ووفاء وكرما ، وأراه في غيرك
خوفاً وجرعاً وجهلاً) .

وقال : المرزوقي (٨٠٤) : (وانه ما يقاسونه من
الجزع فيهم) . وقال : (او أحزن في اثر فائت او
اجزع بتولي مدبر) . وقال (٨١٧) : فيشقى بالجزع
له وفيه) .

وحكى الراغب في المحضرات (٤/٥٠٧) عن
خالد بن صفوان قوله (صبرك في مصيتك أحمد من
جزعك ، وجز عاك في مصيبة أخيك أحمد من صبرك) .
واقل الى قول هشام بن عقبة المدوي : فلم تنسني
أوفي ، المعيبات بعده : ولكن تلك القرح بالقرح أوجع
قال المرزوقي (٧٩٥) : (ونبه بهذا الكلام على أن

الجزع بأوفي لم ينزله ما تعقبه من المصائب ولكنه زاده
اشتاداً) ، وأردف : (فالهمل بموت أوفي وقد أمد
بمصاب آخر يكون أئم وأكمل) . وفي موضع آخر
(٨٠٠) : (فيه دلالة على تمكّن الجزع بالمصاب من
كافة الناس) .

★ ★

فيستبين بما قدمنا أنه اذا حرص الكاتب ان يتحمّل
الخطأ في تصريف حروف الجر ، فتبرأ كاتبته من الطعن
وتخلو من الخطأ وتحفظ دون الا بتذلل ، فلا ينفيه
المودة الى المعجم ليحتوي نصّه فيقف منه على وجه
الصواب في استعمال هذه الحروف مع الاقفال ، ولو
كان ذلك أسهل مائة وأقرب مأخذنا . اذا بد له من
الاحاطة بمعاني هذه الحروف فيما فصلته كتاب التحو
ومختلف المطان ، ومولاة قراءة نصوص الأدب ثرا
وشرعاً بفتح الاطلاع ، بالاستقراء ، على مصارف
الحروف في تحقيق ما يتسم له الفعل من دلالات ، وما
يتجه اليه من قصود ، فيتعرف مواقعها ويتبين قواعدها
ويتميز مسالكها ، فيكون من ذلك على رشد ، ويفس
منه باحتياط . ولا يصرفه اعتياد نوح أو إلف اسلوب
عن تدبره واستجلاء وجه صحته .

وليس للكاتب ، بعد هذا ، أن يجزم في ذلك
حکماً ، حتى يضم يده على دليل تسعفه رواية وتشهد له
درایة . فقد رأيت أن ما صرنا القول فيه قد رفناه
بالحجّة وعزّزناه بالبيضة ولا يقصد بالقارئ عن استخفاف ما
تضمنه هذا الفصل أنه ليس سلس المطلب ، داني المثال
في كل وجه . فالعلم سهل وعويس ، وذلول وجموح ،
وهو لا يدرك الا بمواصلة البحث والموازنة والمكالمة ،
وان طال نفس الملة في تحصيله ، واستفراغ الوسع في
السي له ، والله الموفق للصواب .

□ □



عبد الغني النابسي بين العدمية والحياة

هُدَى النَّعْمَانِي

عن صبة كانت أقرب الى الجنون ، وقلوبهم حنطة
ترقص وتدور ، حسب ايقاعات أشبه بالفرور في
الاكوان ، وجزموا وفروا أن كل شيء « هو » حتى
هم ، وسکروا وأذبوا وغروا التجبر وهتوا ،
وهتكوا التجبر ، واستروا ، ودكوا الجبل عن المظهر
الناري ، وسجنا تحت اسم الرحمن عثبة تطلب
الري مقام الذنب ، مستعينة عن المطر المطر بالطاعة
والتجلي ووضع العرش ان قتلت حروفه ، وسموا
بالمتصوفة .

ما زالوا حتى اليوم عبر نفح السنين ورقائقها
بتضليلهم ودراساتهم ، بأشعارهم وفتحاتهم البسمة
اللذى على ثغر الاسلام فيما كان الاسلام ملتهباً تارة
بيد الفزاعة والجبر ، او مزقاً تارة بيد المصيبة والجهل ،
وما فتروا ، مهما فاقت الارض دراً وتدى ، باصرارهم
وعقاقيرهم واشياقهم وص بواسطتهم ، المفقرة الطاهرة
على شموس الحب .

- 7 -

«ان من بعض ماهي الامصار
لي مقام فيه اسمه الأغيار

« قال تعالى : وأسجد واقترب .
هنا سجدةتان .
الأولى أن تجد بك فيه .
الثانية أن تجد به فيك .
والثانية سمت باسم الاقتراب . ولم تسمى
باسم السجدة .
مع أنها سجدة في الحقيقة . لأنها معها بدللت
الارض غير الارض والسماءات ، وهي حقيقة قاب
قوسين . وعندها تذهب نقطة الفين عن العين والله
الهادى والمؤمن » .

بها التيقظ والتفهم، اشتعل بعض الأئمة
ومنهم العلامة الشيخ عبد الفتى النابلي باطنا وظاهرًا،
ومالت أهداهام نحو القسوة ، حتى أعظم الذنوب .
بها التيقظ للفلة عن هذه الفلة ، كبوا الأراجيز
بددب « كان الثاني منه أشد من الأول »، ولم يرفعوا الضرر
شرمة بيساء عن شرة سوداء ، بل لم يرفعوا الضرر

أستاذ الالايات وجبيـد الجـابـدة ، ولـد في دـمـشـقـ فـي
الـخـامـسـ منـ ذـيـ الحـجـةـ سـنـةـ خـمـسـينـ وـأـلـفـ ، وـكـانـ
وـالـدـ مـسـافـرـ إـلـىـ بـلـادـ الرـومـ ، فـبـشـرـ وـالـدـتـهـ بـهـ
المـجـذـوبـ الصـالـحـ الشـيـخـ مـحـمـودـ وـقـالـ سـيـءـ عـبـدـ
الـشـيـخـ فـاـنـهـ مـنـصـورـ ٠٠٠

شـفـلـهـ وـالـدـ بـقـرـاءـةـ الـقـرـآنـ ثـمـ بـطـلـبـ الـعـلـمـ ٠
فـقـرـأـ لـقـهـ وـاـصـولـهـ عـلـىـ الشـيـخـ أـحـمـدـ الـقـلـعـيـ الـعـنـفيـ ،
وـالـنـحـوـ وـالـمـعـانـيـ وـالـبـيـانـ وـالـصـرـفـ عـلـىـ الشـيـخـ مـحـمـودـ
الـكـرـدـيـ نـزـلـ دـمـشـقـ ، وـالـحـدـيـثـ وـمـصـطـلـحـهـ عـلـىـ
الـشـيـخـ عـبـدـ الـبـاقـيـ الـعـنـبـلـيـ ، وـحـضـرـ دـرـوـسـ وـالـدـهـ فيـ
الـتـقـسـيرـ بـالـمـدـرـسـةـ السـلـيـمـةـ وـفـيـ شـرـحـ الدـرـ بـالـجـامـسـ
الـأـمـوـيـ ، وـدـخـلـ فـيـ عـوـمـ اـجـازـتـهـ ، وـحـضـرـ دـرـوـسـ
الـنـجـمـ الـفـزـيـ وـدـخـلـ فـيـ عـوـمـ اـجـازـتـهـ ، وـقـرـأـ اـيـضاـ
وـأـخـذـ عـلـىـ الشـيـخـ مـحـمـودـ الـأـسـطـوـانـيـ وـالـشـيـخـ اـبـرـاهـيمـ
الـقـتـالـ ، وـأـجـازـ لـهـ مـنـ مـصـرـ الشـيـخـ عـلـىـ الشـيـخـ الـشـبـارـمـيـ ،
وـأـخـذـ طـرـيقـ الـقـادـرـيـ عـنـ الشـيـخـ عـبـدـ الرـزـاقـ
الـكـلـيـاـنـيـ ، وـأـخـذـ طـرـيقـ الـقـشـبـنـدـيـ عـنـ الشـيـخـ سـعـيدـ
الـلـهـيـ ٠٠٠

وابـدـاـ فـيـ قـرـاءـةـ الـدـرـوـسـ وـإـلـقـائـهـ وـالـتـصـنـيفـ نـاـ
بلغـ عـشـرـينـ عـامـاـ وـأـدـمـنـ الـمـطـالـعـةـ فـيـ كـتـبـ الشـيـخـ مـعـيـ
الـدـنـ بـنـ عـرـبـيـ وـكـتـبـ السـارـةـ الصـوـفـيـةـ كـابـنـ سـعـيـنـ
وـالـمـفـيـيـ فـعـادـ عـلـيـ بـرـكـةـ بـرـكـةـ أـنـفـاسـمـ فـاتـاهـ الـفـتـحـ
الـلـدـنـيـ ٠٠٠

تـالـيـهـ وـمـصـنـفـاتـهـ كـثـيرـ وـكـلـهاـ حـسـنـةـ وـمـتـداـولـةـ
مـفـيـدـةـ وـظـمـهـ لـاـ يـحـصـيـ لـكـرـتـهـ ٠٠٠

كـانـ عـالـاـ مـالـكـاـ أـزـمـةـ الـبـرـاءـةـ وـالـيـرـاعـةـ فـيـمـاـ
مـتـبـحـراـ ، يـدـرـيـ لـقـهـ وـيـقـرـرـهـ ، وـالـفـسـرـ وـيـحـرـرـهـ ،
غـواـصـاـ عـلـىـ الـسـائـلـ ، خـبـرـاـ بـكـيـفـيـةـ الـاـسـدـالـ
وـالـدـلـالـ ، ذـطـيـمـ مـنـقـادـ وـبـدـيـهـةـ مـطـوـأـةـ ٠
هـذـاـ مـعـ اـقـبـالـ النـاسـ عـلـيـهـ وـمـجـبـتـمـ لـهـ وـاعـتـادـهـ

وـهـوـ زـيـدـ كـذـاـ وـعـمـرـ وـبـكـرـ
وـبـهـ فـيـهـ تـشـدـ الـاشـمـارـ
فـاـذـاـ قـلـتـ فـيـهـ قـالـ فـلـانـ
وـفـلـانـ فـاـنـهـ اـسـتـارـ

نـسـمـ الـقـائـلـ الـذـيـ قـدـ ذـكـرـنـاـ
لـكـنـ الـكـنزـ نـعـنـ وـهـوـ الـجـدارـ
وـهـوـ جـنـ مـنـ الـجـفـونـ لـعـيـنـيـ
وـأـنـاـ الـجـمـعـ مـنـهـ وـهـوـ الشـمـارـ
وـأـنـاـ الـلـبـ وـالـبـرـيـةـ قـشـرـ
وـأـنـاـ الـوـجـهـ وـالـجـمـيعـ خـمـارـ
كـلـمـ فـيـ مـدـارـ رـوـحـيـ حـرـوفـ
وـأـنـاـ الشـسـ وـالـسـوـىـ أـقـمارـ

وـالـذـيـ عـنـدـهـ مـنـ الـمـلـمـ طـلـ
وـالـذـيـ مـنـهـ عـنـدـنـاـ فـبـحـارـ
بـانـةـ غـرـدـ عـلـيـهـ طـلـيـسـورـ
أـنـاـ وـحدـيـ مـنـ بـيـنـنـ الـمـذـارـ
أـنـاـ عـبـدـ الـشـيـخـ مـعـنـ مـعـيـ فـيـ
هـذـهـ الـحـالـ وـالـفـنـيـ اـفـقـارـ
رـبـنـاـ اللـهـ فـيـ جـمـيعـ الـمـجـالـيـ
مـاـ عـلـىـ وـجـهـنـاـ الـجـيلـ غـبـارـ
وـالـأـحـباءـ حـضـرـةـ الـبـسـطـ تـجلـيـ
مـنـ هـوـانـاـ عـلـيـهـمـ الـأـسـرـارـ ٢)

(هوـ الشـيـخـ عـبـدـ الـشـيـخـ اـبـنـ اـسـمـاعـيلـ بـنـ عـبـدـ الـفـنـيـ
ابـنـ اـسـمـاعـيلـ بـنـ أـحـمـدـ بـنـ اـبـرـاهـيمـ الـمـرـوـفـ كـالـلـافـهـ
بـالـنـابـلـيـ الـعـنـفـيـ الـدـمـشـقـيـ الـقـشـبـنـدـيـ الـقـادـرـيـ



فيه ، ورأى في أواخر عمره من العز والجاه ورفعة القدر
ما لا يوصف ، متمة الله بقوته وعلمه حتى بعد أن جاوز
الستعين) ٣٠٠ .

وفي هذه المثابة ، من الريب المطلق عن سائر
المقول : تأصل وتعاظم لديه .
الكيف :

كيف أمكن للعقل أن يؤمن ؟ ، وحقيقة الذب
بحسب الباطن بعد وصول التبليغ عن نفسه بنفسه
عن نفسه ؟ ، ومن امتنل ثم خالف الأمر ٠٠٠
وكلام العلماء من أهل الرسوم ؟ وأقسام الذب
وحد الأصرار والتوبة التي يجب على الفور ؟ والتي
هي خلقت ؟ كذلك النفس التي هي الروح ٠٠٠
باعتبارها كيفية بسبب اتصالها المخصوص ؟ ثم التوبة
من التوبة ؟

فينهر :

« بل ليصدق الوعيد . مقام التوبة هو الدخول
في هذا السير مع هؤلاء السائرين .
وما ثُمَّ الاـ رفع حجاب ومصادفة حجب أخرى . وكل
تجليـ رفعـ لحجاب وسدـ لحجاب آخر » يقول في
كتابه الفتح الرباني والفيض الرحمنـي
ثم ماذا ؟ ماذا عن ابن غانم المقدسـي ، وزينـ
العابدين البكريـ ، والشيخ الأكبر قدس الله سرهـ ،
ومحمد البكريـ ، والساقي في الثانية ؟
ثم ماذا ؟ ماذا من حرف الصاد ، وعلام من حرف
اللام ؟

والحلـم ؟ ماذا عن الدقيق والشمس والمشـبـ
والبحر . . . تسائلـه دمشقـ ، وتسائلـه مكةـ ، وتسائلـه
بغدادـ ، وتسائلـه القدسـ . فـينـهرـ :
« انـتـأسـ منـ رـحـمةـ ربـكـ إـيـاكـ . . . إـيـاكـ ! »
ويـنـجـليـ ، لـكـأنـ مـرـآـهـ مـنـ الـذـهـبـ المـقـنـطـرـ
وـيـنـازـلـ ، وـيـتـكـبرـ ، وـيـتـحدـىـ :
وـقـلـمـتـ دـيوـانـ التـنـزـلـ كـلـهـ
فـيـهمـ بـلـفـظـ مـجـبـ وـقـامـ

بـثـلـ هـذـاـ التـقـرـيـطـ الـذـيـ أـورـدـهـ المـرـادـيـ فيـ
« مـلـكـ الدـرـرـ »ـ يـضـيفـ الـمـؤـرـخـونـ الـشـرقـيـونـ
وـالـفـريـونـ (٤)ـ كـالـجـاـبـرـيـ ، وـالـمـجـبـ ، وـهـرـمـانـ ،
وـبـرـوـكـلـمانـ ، وـجـلـدـيـسـتـ وـغـيرـهـ ، الشـيـخـ الـكـبـيرـ عـبـدـ
الـفـيـ النـابـلـسـيـ الـذـيـ يـجـثـوـ الـيـوـمـ بـجـوارـ أـسـتـاذـهـ الشـيـخـ
الـأـكـبـرـ اـبـنـ عـرـبـيـ ، تـحـتـ قـبـةـ خـضـراءـ فـيـ مـسـجـدـ بـنـاهـ .
لـنـفـهـ فـيـ الـمـاهـجـرـيـنـ ، طـاوـيـاـ بـخـطـ دـقـيقـ كـانـ يـمـشـقـهـ .
سـيـنـاـ مـنـ الـجـمـدـ وـالـأـسـارـةـ وـالـمـكـوـفـ وـالـاعـتـرـالـ
وـالـأـسـلـاخـ وـالـرـهـةـ وـالـوـلـهـ وـبـسـطـ الـأـعـيـنـ وـالـنـشـوةـ ،
تـارـكـاـ مـاـ يـزـيدـ عـنـ مـنـيـ مـؤـلـفـ مـنـ جـنـةـ وـنـارـ :ـ وـبـرـكـةـ
وـقـنـادـيلـ وـزـيـتـ يـفـيـضـ ، وـرـفـعـ قـوـافـيـ وـتـجـرـيـدـ وـتـفـرـيـدـ ،
فـيـ مـدـائـعـ وـرـيـاضـ وـمـسـالـكـ وـتـرـاجـمـ وـقـصـورـ وـبـلـدانـ
وـرـسـائـلـ وـالـحـانـ وـكـوـسـ رـحـيقـ ، فـتـيـزـ بـرـأـيـ الـجـمـيعـ
فـيـ الـأـدـبـ أـدـيـاـ ، وـفـيـ الـفـقـهـ فـقـيـهاـ ، وـفـيـ الـتـفـيـيـرـ اـمـاماـ ،
وـفـيـ الـتـصـوـفـ قـطـباـ ، حـتـىـ لـيـحـبـ الـرـأـيـ أـكـبـرـ مـنـ رـجـلـ ،
وـأـكـثـرـ مـنـ مـسـلـكـ ، وـأـكـثـرـ مـنـ نـسـائـ وـأـكـثـرـ مـنـ عـاصـفـهـ .
وـهـكـذـاـ فـيـ غـوـصـ لـيـسـ بـالـفـوـصـ ، وـقـضـيـ لـيـسـ
بـالـقـبـضـ ، يـصـلـ النـابـلـسـيـ بـيـنـ نـقـطةـ الـبـدـ وـالـعـانـصـرـ
الـأـرـبـعـةـ فـيـ أـيـيـهـ السـالـكـةـ إـلـيـ الـمـحـجـةـ ؟ـ الـخـلـقـ ؟ـ

الـأـرـضـ وـالـسـمـاـوـاتـ ؟ـ وـيـطـنـشـاـ مـاـذـاـ عـنـ ؟ـ مـاـذـاـ عـنـ ؟ـ

وـتـأـتـيـ أـجـوـيـتـهـ قـيـدـ يـمـارـ ، وـكـلـمـاتـهـ أـثـوابـ تـشـفـ ،
وـالـحـقـيـقـةـ أـحـجـيـةـ تـسـتـمـلـ فـيـ الـعـشـ وـالـذـاتـ الـأـخـرـىـ
شـجـرـ ظـلـ الدـلـ وـالـدـوـحـ وـالـبـدـولـ وـالـحـلـمـ وـالـمـدـامـ
وـالـجـارـيـةـ وـالـقـلـامـ وـالـكـلـاسـ وـالـطـيرـ وـالـبـرقـ ، يـيـسـاـ الـيـهـ
ضـوءـ فـيـ الـعـقـلـ وـشـمـوسـ فـيـ الـوـرـىـ ، لـاـ يـيـنـهـ فـيـ بـنـيةـ
لـاـ اـذـاـ خـرـجـ هـوـ وـخـرـجـوـاـ بـهـ عـنـهـ وـعـنـهـ ٠٠



أشعاع شمس من قراة ماء
 أم جسم نار في قيص هواء
 وقضيب بانٍ فوق غصين من تقى
 أم بدر ثم طالع بسأه^(٧)
 سترسلةٍ وحنونٍ حيناً بداعبه وأنس٠٠
 جفونك ثم خصرك ثم جسي
 نحيلٍ في فحيلٍ في فحيلٍ
 وردفك والمذول وشوق قلبي
 ثقيلٍ في ثقيلٍ في ثقيلٍ^(٨)
 جائحةٍ مرة برقة وخرف ،
 لاختطَّ خالاً تحت صفحة خده
 متوارياً خلف اللهيب النافذ
 فسألته ماذا المقام ، فقال لسي
 هذا المقام المستجير العاذِ^(٩)
 متهاجٍ مرة في عدو نحو العطر٠٠
 من لي بظبي وما للظبي لفته
 تقاسم الحسن في خلق وفي خلقٍ
 كأنما الورد مثورٌ بوجنته
 والدر من فيه منظومٌ على نسق^(١٠)
 منصرفٍ كالدخان مراراً حتى اللاتئية ،
 تبارك الله ما في الدار ديار
 إنما هي نيران وأنوار
 قد أماتت سليسى عن براغتها
 فوجهها شرق والطرف محثار
 وما للجميع سوى اشراق بعجتها
 دوائر كلهم عنها وأدوار

وأتيت فيه بكل معنى رائق
 في كل جارية وكل غلام
 والقصد أنت بالطبع وذكرهم
 هو ذكركم عندي على الإيمام
 فاسير سير الفالفين بقولهم
 أبداً وأقصد مقصد الأقوام
 وأنا الذي في ظاهري متسلٍ^(١١)
 بشرعيتي فيسائر الأحكام
 وأنا الذي في باطنني متحقق
 بحقائق التوحيد والإيمان
 أنا مجتمع البحرين موسى ظاهر
 والباطن الغضر الأجل السامي
 هياهات أن تتجو فراعين العدا
 مني وبحرى بالمعارف طامي
 وعلىَّ من أعين السرادق أعنٍ^(١٢)
 للحق تحفظني مدى الأيام
 وأنا لأطيار الحقيقة مخرسٍ
 وأنا الإمام بها لكل امام
 والمعروفون رعيتي في قبضتي
 والقوت والأقطاب من خدامى
 نحن الشموس وما خفافيش الورى
 تستطيع تبصر غير محض ظلام
 النابلي^(١٣)

ثم يكسر الطوق في صورٍ رشيقةٍ وملتحمةٍ
 حيناً ،



إذ أومات كانت الاكوان ظاهرة

عنها وإلا

فيها الكل اسرار

(١١) لانوار عسل الى راحتنا ،

عائنة كأنه ينادي باندبي

قف على باب حاتمي ياندبي

عل يرضي دخولك الخمار

واسمع صوت قبقي تختن

حيث جسي في كفها مزمار

وجميع الوجود ليسل لقوم

جلوا وهو عند قوم نمار

وجنان النعم عند ائس

(١٢) وأئس «ذا» عندهم هو نار

ضاربه يدا ييد ، همسا بهمس

ان الساع سماع الناي والوتر

يسقي اراضي هوس الناس كالملظر

حلقية السقم والشجا والاحشاء الى الماوية ،

هللا غيتيم بما غتني به الور

فتسمعوا منه يا عشاقه وترروا

فاذ في فحة الطبور بارقة

من البروق التي في القلب تستر

واستطقو الدف ينطق بالاشارة عن

معنى بدا وهو في الاكوان مستر

وهي المعاني تراءت في الساع لنا

عنها لقدرها محجوبا بها البصر

واخبرتنا اشارات الصنوج بها

(١٣) نهيم القلب من ذلك الخبر

جائشه مع طيب غيث الجوهر كعجر كصارم

تجرد عن غمد ، كما يقول ، بين شمس ضحى كدّس

من العمل يحيي المجد والطيب والاجناس ، بين
لقاءات في الفقه والشعر والنحو تقر كنوز العطاء في
غيل لا ينضب ، بين فتحات تاريخ من أعاجيب الوجود
هي ميراث وأيما ميراث ٠٠٠

ويقر أن يرحل ٠٠٠

فيرحل للتبرك والنفع العام ٠ ويرحل ٠ كي يعود
 بشاشة « ورواية » :

أشرق بدر السماء على البحر

كمثل عقد الملح على التحر

تصقله الريح وهو يচقلها

تعجري به وهو تحتها يجري

والبحر أمواجه ترددتها

وسوسة المستهام في الصدر

او درجات الى علا شرف

او عقد النافتات في البحر

زدت بينائهما « طرابلس »

فهو رداع برقة الخضر

والزهر فيما يبت تحته

مع النسم الذي أتي يسري

ونحن في الانس والسرور بلا

اسماء الصخب بهجة مصر

(١٤) كذلك دقة وتنصيفا

وقد رأينا على حافة المينا أنواع المراكب والسفين

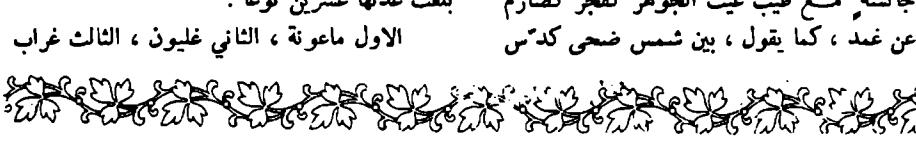
وقد ذكر لنا اسماءها صديقنا الحاج نور الدين

الطرابلسي المذكور ٠٠٠ لأباين بذلك لتسم

الفائدة ٠ فاعلم أن انواع المراكب واسماءها كثيرة

بلغت عدتها عشرين نوعا :

الاول ماعونة ، الثاني غليون ، الثالث غراب ،



الرابع فرامرسل ، الخامس زربوته ، السادس شائمة
السابع غليطة ، الثامن سبكلة ، التاسع قايق ، العاشر
قياسة ، العادي عشر معاش ، الثاني عشر نقرة ، الثالث
عشر شختورة ، الرابع عشر فلوكة ، الخامس عشر
تقيلية ، السادس عشر شوطية ، السابع عشر شبر ،
الثامن عشر قارب ، التاسع عشر برقة ، العشرون
شكناية » (١٦) .

أيضاً أسطورة وطراقة ۰۰۰

« وخبرني بعض الناس أن في جبل الدروز قلعة
كانت في أعلى الجبل ، فبات أهلها في ليلة ، فلما
 أصبحوا ، وجدوا القرية وجميع ما فيها مع أهلها كلهم
 ويوبتهم صاروا في أسفل الوادي هناك ولم يخرب
 منها شيء ، ولا تضرر أحد ولا سقطت شجرة ، وهي الآن
 باقية وأسمها الزاحلة » (١٧) .

غير الفرادة والتقنية والوصف ،

« وقد اطلتنا حضرة الباشا في هذا اليوم على
 كتاب عجيب وأسلوب غريب يسمى : « نخبة الدهر
 في عجائب البر والبحر » لابي طالب المشتكي . ذكر
 في الباب السابع في الفصل التاسع محاسن دمشق
 وحاملا المعمور ، ان من خصائصه انه لا يوجد فيه
 عنكبوت ولا في سنته ولا في حيطانه ، ولا يخرج فيه
 المصفور مع كرته فيه ، ولا يعشش فيه وزعة .

ثم قال دمشق مقصومة ثلاثة أقسام . قسم
 بشوت العمارة في غوطتها ، لو جمع لكاذن مدينة
 عظيمة ما بين شواهد وقصور وقاعات وطواحين
 وحمامات وأسواق عظيمة وجوانب ومساجد ومشاهد
 غير القرى والضياع . القسم الثاني تحت الأرض .
 ومنها مدينة أخرى من متصرفات المياه والجداول
 والقنوات والمسارب والقنوات تحت الأرض حتى لو
 خفر الإنسان أين ما خفر وجد الماء مشتبك طبقات

يئنة ويسرة ، شيئاً فوق شيء . القسم الثالث سورها
 وما فيها وحوله . وكانها في وصفها طائر أبيض في مرج
 أحضر يرشف ما يصل إليه من الماء أولاً فاولاً » (١٨) .

« ودعانا حضرة الفتى حنظله الله تعالى إلى داره ،
 فذهبنا لمجلس وابتهجنا بأنواره وأنشدنا من لطائف
 الأشعار ۰۰۰ وجرت بيننا وبينه ابحاث علمية وسائل
 فقهية وقواعد نحوية ، فمن ذلك مسألة السرقة ، وأنه
 يقال في السارق « أخذ » لسرقة لوجب القطع . وقد أورد حكاية
 ولأنه لو ظهرت السرقة لوجب القطع . وقد أورد حكاية
 طيبة عن هارون الرشيد ذكرها صاحب « البحر
 الائق شرح كنز الدقائق » وعبارة قوله ۰۰۰ فجعوا
 منه واتنى ۰۰۰ » (١٩) .

غير الندى في الحكم والمعاراة .

« وقد رأينا في بلدة بيروت المحية زوابيا كثيرة
 وجوامع وحمامات فلا يأس ذكر محاسنها السنية ،
 فمن الروابيا زاوية مشرفة الانوار تسمى بزاوية ابن
 القصار ، وهي نية مرتعة البيان يجتمع فيها الحفاظ
 ما بين الشائين يتدارسون بها القرآن ، ومنها أيضاً
 زاوية تسمى بزاوية ابن العمرا يقام فيها الذكر
 والأوراد ، وبها حفاظ تقرأ ، وهي متسمة ، بها ايوان
 به محراب كبير ، وفيها بركة ماء بجانبها يتر مستخرج
 منه ماء غير ۰۰۰

والجوامع التي بها أربع : الاول الجامع الكبير
 وهو يشتمل على اثنى عشر عضافة كل عضافة
 يحيط بها رجال . وهي عظيمة العمارة ، يقال أنه كان
 في الاصل كثيبة ۰۰۰ واما حماماتها فايضاً أربعة :
 الأول حمام الأمير فخر الدين بن منن ، الثاني حمام
 القيشاني الثالث حمام الوزاعي ، الرابع قديم لا يعرف
 له اسم ، وكلها مهجورة ، ماعدا حمام الأمير فخر الدين



نفسه وهذا الاول للعالم الفرنسي دي مونكوني De Maucony والثاني للانكليزي بعد النابليسي Robert Wood .

كما يؤكد Burse ان مآثر « الحضرة الانسية في الرحلة القدسية » تكمن في وصفها المزارات الاسلامية في القدس ، وان كتاب « الحقائق والمجاز في رحلة بلاد الشام ومصر والجهاز » يحدد الواقع الجغرافي في شبه الجزيرة العربية آخذًا بالوصف واحداً وتلاته مركزاً (٢١) ٠٠٠ ساها وقصد هنا Burse عن التوبيه كجيئ أقرانه مثل جلد مايستر ، وجراف وفون كريير او حتى الصحفي المصري (٢٢) ديمترى تقولا ، عما عنته هذه الرحلات في انكساراتها من ميادين سياسية او غaiات روحية ودينية تلف هذه المآثر وتتجوهر فيها ٠

ينبأ أن النابليسي نفسه يذكر في مقدمات هذه الرحلات ، أن كل ما أورده من كرامات ومعجزات ورسم مساجد وكنائس ، وأضরحة واستراحات وما كل وشارب وروايات منقوله ومجادلات علمية وفقهية ، صبها في قوالب أدبية ترمي في الظاهر إلى غaiات اجتماعية وسياسية ، إلا أنها تخدم في الحقيقة الخاطئة الكشف التي بوده أن يزفها اليانا ، والمعوظة الأذية التي يعن إلى الارتواء والإرواء منها ، نافذاً من خلال الزمان والمكان والانسان في سعيه اليومي إلى رحلة النفس إلى الكل ، التي هي رحلة التقوى ، بعد الرحلة إلى الداخل (نذكر هنا باعتقاد النابليسي في داره سبع سنوات كلامات لا يخرج فيها ولا يقص شعره ولا يقلم اطاوفه حتى ظنه الكثيرون أنه جن) حيث تتفتح في قلب السالك اخضرار الكلمة ، عطمة الغالق والخلق ، وقداسة الخطوات ٠

وبسبب ذلك الظلم من الحكم ، فاذ هذا حمل للميري ، ويؤجره الحكم في كل سنة ، هو وقهوه هناك بالف قرش ومتى قرش ! وهذا العام مبلط بالرخام الملون ، يشتمل على شادروان في داخله ، يحيط بعواربه الاربعة اربعة ايوانات . كل ايوان يقبو وقوس ، وفي مسلخه بركة ماء مشنة ، ويشتمل على قبة مرتفعة على اربعة عماديد ، يحيط بذلك القبة اربعة أقبوسة على أسلوب جامع الأمير عساف غير أن الجامع زيد عليه بالقب وفى هذا القدر كفاية ونساله تعالى الفضامة» (٢٣) ٠

لذلك ، لا يسعنا بعد هذا السياق كله ، الا أن تشيد بما أكده هربرت بوه Vou Herbert Burse في تقديميه للرحلة الظرابلسيه على أن كتب وخطوطات العلامه الشيخ عبد الفتى النابليسي مصدر من مصادر معرفة البلاد العربية ، وإن هذه الكنز الحجة المنتشرة في الشرق والغرب (والتي يصنفها كارل برو لمسان بمائة وخمسين كتاباً ويلحظ الحالدي بأنها تقارب المائتين وخمسين) مازالت محجوبة في مضمونها وتنتظر أن يبين نشرها أهمية النابليسي وتأثيره آنذاك ، فترسم لنا صورة واضحة للحركة الادبية في دمشق وجوارها في القرنين السابع عشر والثامن عشر (٢٤) ٠

الآن بوه Burse كأكثر المستشرقين ، يركز اهتمامه بالدرجة الأولى على كتب الرحلات ، لما تحمله هذه الرحلات من معلومات علمية وفنية . فيروي عن « رحلة الذهب الابرز في رحلة بعلبك والبقاع العزيز » التي ألفها النابليسي في ذي القعدة عام ١١٠٠ هـ بعد رحلة قام بها إلى بعلبك أن هذا الأثر أثار اهتمام غوستاف فلوجل Gwolau Flugel فنشر فرسا لمحويات هذه المخطوطة لوصفها معبده بعلبك من حيث الزمن بين أثرين أو ربفين تناولا هذا الموضوع



مع ذلك يظل يسر في الحدس والتفكير وينهر

- ٦ -

موجود في نفسه ، وهو بالنسبة الى وجود النهار
معدوم (٢٥) ٠٠٠

هابطا الى اللحظة المحرقة بين اللب وهدب العين
التي هي العدمية وفي الان ذاته هي الحياة ٠

محاورا محاورا دون كلل :

« ان سَبَقَ الكلمة بالسعادة هي المرکز ،
والمرکز تردد وحشى » في طلب الآيات ظير مقام
الادلال في القرب المحمود ، والشیان (مبتدأ) في
الحس (خبر) في المعنى ، والحس هو الساتر للاتحاد ،
والستر مستور فكيف يسْتر (٣٣) ٠

موجها مع الزمن ، هذا الاحتراق الكامل
والرؤى ، من الابهام المغض الى التبسيط ، محولا
العجز الشرعي وتفتكك المنازلات الى العمل الجماعي
الهادف في صيورة خلايا الذكر والتواجد المنظم
المشترك ، باعثا من الظلمة والخوف والحيرة هالات
من البراءة الفضئية والطهارة وانهرا من الخزان
والبطء ، باعثا في كل لحن يشد له ، فضيلة صوفية ،
تجدد صدى لجوارحها ، في ذلك المشق الالهي الباعث
إلى الطمأنينة ، والفرح والحياة ٠

والى الغد ، والى ما بعد الغد ، ستنظر نراه في
حضرته تلاميذه ، ضاربا بالدف ، ضابطا الايقاع ٠
سيدا ، منشدا ، متمنعا ،

« ياسامي الله الساقى استينا من خمر الباقي
ياسامي

محبوبى ظاهر يتجلى بالوجه الباهر لل麝اق
في حكمه قاهر

ياسامي ياسامي

« اذا قيل لنا ما السبب في ان العقل التام لا يسكنه
ان يدرك الرب سبحانه وتعالى ، مع انه قادر ان يدرك
كل شيء . فقلنا له : الله تعالى في غاية الاطافة ، والعقل
بالتسبة اليه في نهاية الكثافة ، واللطيف يدرك الكثيف
والكثيف لا يدرك اللطيف . ولهذا ترى الجسم لا يسكنه
ان يدرك العقل لشدة لطافة العقل بالنسبة اليه . وأما
العقل فيدرك الجسم . وقد قسم الله الى لطيف
وكثيف . وحجب الاول عن الثاني . ولم يحجب
الثاني عن الاول » (٣٤) ٠

التابلي

فيذوب هذا الرجل القطب جارحة وجحة ، حول
عميق الماء ، قلائمه ومكنوناتها ، مقتضا من جحيم
المصنفات واغترابها لطفاً واعتدالاً . فنراه يقف بين أراء
السلف والخلف ، مواقف المترنلة والأشعرية ، القدرة
والعجبية ، علوم الطريقة الشريفة والحقيقة ، موقعا
حازاًما وائتاً اتنا فيه كثير من الحكمة والتسبيح .
فتجده آخذنا نفحات اولاء الكلمة كابن البربي (٣٤)
وابن الفارض واليضاوى والبركلى وارسلان
والأشعرى والمازري وغيرهم الى صدره ، قاسما
بطريقة مميزة العلوم الى قول فهم وشهود ، سائرا
بالتأليم نحو التأويل وفي آن ما بالتأويل نحو التسليم ،
صارفا النظر الى أكثر من معنى والإحتمال الى أكثر
من احتمال . كصفة اليد والإيدي والقدرة والإرادة
والسخرية والفرح والضحك وما اليه من صفات أزلية
ومستوفاة لله ، مسلما ان وجود المبد اولاً وآخراً
وجود في ذاته وهو بالنسبة الى وجود الرب عدم
محض ، لا يسكن ان يختلط أحدهما بالآخر ، كما الليل



- (٨) المصدر نفسه من ٢٨ .
- (٩) المصدر نفسه من ٢٨ .
- (١٠) المصدر نفسه من ٢٩ .
- (١١) « ديوان العقاشق » ص ١٥٦ .
- (١٢) المصدر نفسه من ١٥٤ .
- (١٣) المصدر نفسه من ١٥٣ .
- (١٤) المصدر نفسه من ١٥٥ .
- (١٥) « التحفة النابلسي في الرحلة الطرابلسية » من ٦٩ .
- (١٦) المصدر نفسه من ٧١ .
- (١٧) المصدر نفسه من ٢٧ .
- (١٨) المصدر نفسه من ٢٧ .
- (١٩) المصدر نفسه من ٦٢ .
- (٢٠) المصدر نفسه من ٤١ - ٤٤ .
- (٢١) المصدر نفسه المقدمة .
- (٢٢) « الحضرة الانسية في الرحلة المقدسية » للنابلسي وقف على طبعها ديمتري اندري نقولا . جريدة الاخلاص سنة ١٩٠٢ (المقدمة) .
- (٢٣) « الفتح الرباني والفيض الرحمنى » من ١٠١ .
- (٢٤) « شرح جواهر النصوص في حل كلمات النصوص » للنابلسي على كتاب نصوص الحكم لابن هربى . مطبعة الزمان . امام سراي منصور سنة ١٤٠٤ هـ .
- (٢٥) « الفتح الرباني ... » ص ١٠٧ .
- (٢٦) المصدر نفسه من ٦١ .
- (٢٧) « الالهامات الاليمية على الوظيفة الشاذلية البشرية » تأليف محمود ابو الشامات . مطبعة بيروت سنة ١٩٦٠ . ص ٦٢ .
- اكتف لي عنك في ذاتي واقتصر على ذلك
واعجملي ياحبي اتك
يا ساقى ٠٠٠
- محظما بصوته الحنون تماثيل التجمر والجمود
في عيون جميع الذين يذكرون الله قياما وقعودا وبالرفع
وبالانعام والتدد .
- ولئن الذين ينادون إيل ، وينادون لها ،
ويذكرون بالخلق حي ، ويذكرون بالعرف الواحد
كتولم كاف اوهاه او ياي (٣٣) ويتجاذبون ،
ويتحاضنون ، ويتمسكون بالايدي ، ويزرعون الاقدام
في الارض ، ويقولون هو ، ويقولون ها ، ويقولون
هي ، ويفرون الاجنحة ويطيرون .

المراجع :

- (١) « الفتح الرباني والفيض الرحمنى » للنابلسي . نشره وطلق عليه اب انطونيوس . الطبعة الكاثوليكية بيروت . ص ٦٨ .
- (٢) « ديوان العقاشق ومجموع الرائق » للنابلسي . المطبعة الشرفية في مصر . خان ابى طاقية سنة ١٣٠٦ هـ . ص ٨ .
- (٣) « مسلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر » لابى فضل محمد خليل المرادي طبعة مصر سنة ١٢٠١ هـ . صفحة ٢٠ - ٢٨ .
- (٤) « التحفة النابلسي في الرحلة الطرابلسية » للنابلسي . حققه وقدم له هربرت بوس المهدى الالماني للابحاث الشرقية في بيروت ١٩٧١ (المقدمة) .
- (٥) « الفتح الرباني ... » ص ١٠٨ .
- (٦) « ديوان العقاشق ... » ص ١٠ .
- (٧) « الفتح الرباني ... » ص ٢٥ .

امتداد أسبوع العلم الناجع عشر بالقرن البحري الجديد

د. دلال المسلطي

عزّة مریدن الاستاذ السابق في كلية الطب بجامعة دمشق .

٢ - «رسم البيكاريين ومعانٍي النجوم»
للدكتور عفيف البهنسى المدير العام للآثار
والمتاحف .

٣ - «فضل العرب في تقدم العلوم» للدكتور
نشأت الحمارنة الاستاذ بكلية الطب بجامعة
دمشق .

٤ - «نحو تاريخ جديد للرياضيات عند
العرب» للدكتور صلاح الأحمد الاستاذ في كلية
العلوم بجامعة دمشق .

تلك كانت المحاضرات المسائية والتي
انعقدت في قاعة المجلس التنفيذي لمحافظة مدينة
دمشق والتي تتعلق بتاريخ العلوم .

اما المحاضرات الصباحية فقد انعقدت في
درجات كلية الطب بجامعة دمشق .. كانت كما
يلي :

ضمن الاحتفال بالقرن الخامس عشر البحري أقيم أسبوع العلم التاسع عشر ، وهكذا كانت الأهمية التي حملها أسبوع العلم هذا العام ، أهمية مزدوجة : الجانب الأول : هو تقديم المكتشفات العالمية الجديدة من خلال محاضرات السادة الاستاذة وتبثيت هذه المكتشفات الهمامة . والجانب الثاني : هو ما حمله الأسبوع في طياته وخاصة محاضرات تاريخ العلوم وما تحويه من الاشارة الى مرور أربعة عشر قرنا على هجرة الرسول العربي .. ولهذا فقد جاء أسبوع العلم التاسع عشر المنعقد بدمشق في العاشر من شهر تشرين الثاني حافلا بالموضوعات العلمية والتاريخية العالمية لمكتشفات رائعة . وشمل الأسبوع ندوات صباحية وأخرى مسائية مخصصة للبحث في المواضيع التالية :
١ - «البحث العلمي عند العرب» للدكتور



- ١ - « علم السموم في الطب العربي »
للكتور محمد زهير البابا - كلية الصيدلة - جامعة دمشق .
- ٢ - « كتب ابن زهر الطبية»الدكتور ميشيل خوري - مجمع اللغة العربية .
- ٣ - « حول التعبير الفنية في الكحل في المصادر العربية » - الدكتورة لين الخير - كلية الطب - جامعة دمشق .
- ٤ - « حول الرمد في المصادر العربية »
الدكتور عتيق استانبولي كلية الطب - جامعة دمشق .
- ٥ - « الصلات الطبية بين العرب والصين »
الدكتور محمد التونجي - كلية الآداب - جامعة حلب .
- ٦ - « الحركة العلمية في دمشق عاصمة الأمويين بين القرنين الأول والثاني الهجريين »
ل والاستاذ صلاح الدين الخالدي - مدرس في ثانويات دمشق .
- وقد كانت المحاضرات على نوعين : الاول : متخصص .
والثاني : عام .
- ضمت المحاضرات المتخصصة :
- ١ - محاضرة الدكتور زهير البابا : وتركزت بحث الدكتور زهير البابا حول مخطوط شنان في علم السموم وهو المخطوط الموجود في المكتبة الظاهرية بدمشق والذي يعتبر أساساً للتعرف على العرب على علم السموم الهندي وقد ترجم
- هذا عن المحاضرات الصباحية المتخصصة
اما المسائية - فقد القى الدكتور عفيف البهنسى محاضرة استعرض فيها تاريخ الزخرفة بالنجوم

عند العرب « والتي نأمل نشرها بالرسوم
الإيضاحية قريباً » .

اما المحاضرة المسائية الثانية فقد كانت
للاستاذ الدكتور صلاح الاحمد بعنوان (نحو تاريخ
جديد للرياضيات عند العرب) وهي من اهم
المحاضرات التي عرفها اسبوع العلم حيث وضع
فيها اكثرا اكتشافات العرب اهمية وتركز حديثة
في المسائل التي تتعلق بقانون نيوتن - وتمثلت
باسكال والهندسة التحليلية وغيرها .. وقد حرص
المحاضر على تقديم الحقائق العلمية بحياد تاريخي
وأكذب سبقية العلماء العرب في هذه الاكتشافات
اعتماداً على الوثائق التاريخية والمخطوطات
المكتشفة حديثاً . والتي قام بتحقيقها وتحليلها
عدد من الباحثين العرب المعاصرین .

وكشف الدكتور صلاح الاحمد حقائق مثيرة
وهامة في علم الرياضيات . وأكذب على أهمية
التناول التاريخي الامين للسابقية في هذا المجال
ومن اطرف ما قاله في هذا الموضوع : ان مؤلفي
الرياضيات العرب في العصور الوسطى لم يكونوا
ينسبون هذه الفتوح العلمية الا الى اول من عرفت
عنه دون ان يؤكدوا على انه صاحب الابتكار ، في
حين نجد ان بعض مؤرخي العلوم ينسبون تلك
الاكتشافات لعلمائهم متزازين الامانة التاريخية
لسابقية الاكتشاف العلمي .

وقد اورد الاستاذ الدكتور صلاح الاحمد
مجموعة من الحقائق على رأسها ان قانون نيوتن
الذي يعود ببرهانه الى القرن السابع عشر قد
استخدم في القرن العاشر من قبل العالم العربي
محمد بن ابي بكر الكرخي وكذلك انشاء المثلث

المعروف بمثلث باسكال الذي يعود امر اكتشافه
إلى نفس العالم العربي محمد بن ابي بكر الكرخي
و حول هذا الموضوع أشار الاستاذ صلاح الاحمد الى
نقطة هامة الا وهي : ما دام اكتشاف هذا القانون
يعود لعالم عربي وفي القرن العاشر اي بسبعين
زماني علمي قدره سبعة قرون فعلى اي اساس
يسمي هذا الاكتشاف الى يومنا هذا باسم نيوتن
- باسكال ؟ ولقد صدر عن وزارة التعليم العالي
كتاب حول هذه المسألة وهو كتاب «الباهر في الجبر»
للسمواع المغربي (الكتاب من تحقيق وتحليل الدكتور
صلاح الاحمد والدكتور رشدي راشد) كما اشار
إلى نقطة ثانية وهي ان الهندسة التحليلية والتي
كانت من مفاخر ديكارت حيث اعتبر مبدعها
وسيدتها ، لم تكن ايفا كذلك ، فقد كان اول من
تكلم بها هو العالم العربي شرف الدين الطوسي
في كتابه (المعادلات) واستدل ببراهن مقنعة
وعلمية ، ثم ذكر ان هذه الرياضيات والتي اعتبرت
من مكتشفات القرنين السابع عشر - التاسع
عشر ، انما كانت موضوعاً يدرس للمبتدئين
العرب في القرن العاشر الميلادي .

هذا عن المحاضرات المتخصصة اما عن
المحاضرات العامة والتي تهم جمهرة المثقفين
فمنها محاضرة الاستاذ الدكتور ميشيل خوري
وهي محاضرة استعرض فيها كتب ابن زهر
الطبعية - والتي تعتبر من اهم ما كتبه العرب
ويقوم الدكتور حالياً بتحقيق كتاب (التيسير)
لابن زهر وقد اصبح الكتاب جاهزاً للطبع ، ولا
شك ان نشر الكتاب يعتبر من اهم الاصدارات
الثقافية التي ستضيف الى المكتبة الطبية
العربية ابعاداً تاريخية وعلمية .



● بعد ذلك قدم الدكتور محمد التونجي محاضرة استعرض فيها مدى تأثير الأطباء العرب على تطور الطب الصيني وفهم ما في هذا الأمر ان الاستاذ المحاضر اثبت وجود هذه الصلة وهذا التأثير بنفسه وبجهوده الخاصة . كما انه قدم ما يؤكد على آرائه حول هذه المسألة التي يعود تاريخها الى القرن العاشر الميلادي .

ثم أتت محاضرة الاستاذ صلاح الدين المالدي لتدرس الوضع العلمي ومستوى تطور الطب والكيمياء في عاصمة الامويين قبل عصر الترجمة مبينا الاثر الكبير والتأثير الهام الذين كانوا لعرب الشام ابان الفتح الاسلامي وأشار الى مستوى التطور العلمي في دمشق ، قبيل الاسلام والذي يدل على ارتقاء مستوى العلوم وخاصة في الشام « الحضارات القديمة ابتداء بالبابليين وانتهاء بالسريان » .

● وحول موضوع البحث العلمي عند العرب قدم الدكتور عزة مریدن العيد السابق لكلية الطب بجامعة دمشق ، محاضرة كان لها صدى كبيرا حيث استعرض أحدهم منجزات العرب في شتى العلوم وبين فضلهم في تقدم الفكر والحضارة الإنسانية - واعطى عشرات الأمثلة . وعلى هذا فقد كانت محاضرة الدكتور عزة مریدن موضوعا للاستشهاد لبعض المحاضرات كما بين ارتقاء مستوى البحث العلمي عند العرب وتتطور سوية المشافي عندهم كما بين دقة وأمانة حركة الترجمة عن اللغات القديمة ومدى التشجيع الرسمي الذي حازت عليه هذه الحركة .

● وقدم الدكتور نشأت الحمارنة محاضرة

عنوان « فضل العرب في تقدم العلوم » . وقال في بداية المحاضرة ان موضوعا كموضوع تاريخ العلوم مسألة في غاية الاممية لأن هذه المسألة تداخل مع الامانة العلمية العزيزة على قلوب الباحثين . وهذه في اوليات وبديهيات اخلاقيات البحث العلمي حيث يجدر بالباحث ان يكون دائما بالفكر متوفها لامور بحثه بكل ما يتطلب البحث من موضوعية ودقة خصوصا وأن بحثنا كالتراث بين ما وصل اليه العرب من تقدم علمي وفضل في تقدم العلوم . ومن المؤسف ان الباحثين في هذا التراث هم قلة قليلة من اولئك الذين يحرضون على التراث ويقومون بجهود فردية محبطة تبقى قاصرة أمام بحث بهذا ، الذي هو بحاجة الى جهود كبيرة تشارك فيها كافة المؤسسات الثقافية وأشار الى جهود بعض الاساتذة الذين يقومون الان بترجمة الكتب الى العربية حيث ان هذه الكتب تبحث في تاريخ الطب وتراث العرب كتاب لوكلير في الطب العربي وكذلك الموسوعة الاسلامية وهي ما زالت في طريق الاعداد .

واوضح ان البحث في التراث العربي ما هو الا استكمال للشخصية القومية للعرب . واستكمال هذه الشخصية لا بد من فهم ومعرفة التراث العربي بكل ما يحوي من علوم كانت اساسا في تطور العلوم في العالم . وقد اشار الدكتور الى نقطة هامة جدا وهي البحث عن المخطوطات العربية الموجودة او المتوفرة لدينا ثم دراستها بدقة وترتيبها وفهرستها والحصول على المخطوطات الكثيرة الموجودة في مكتبات



● هذه هي أهم المواقف التي ضمها أسبوع العلم التاسع عشر والتي تتعلق بتاريخ العلوم عند العرب ولستنا بصدد تكرار واعادة ما قدمه العرب وما ساهموا به في تقديم العلوم ابان العصور الوسطى حيث كان الغرب غارقاً في جهله وانما نحن بصدد تسجيل بعض ما اكتشف حديثاً من حقائق علمية عالمية نسبها المؤرخون الاوربيون عن غير حق لعلماء غير العرب ولحضارة غير العصارة العربية .

استانبول والمغرب وغيرها والتي ما زالت بعيدة عن الدراسة والبحث مما اتاح الفرصة للمتخصصين الاوربيين ان يحوروا الحقائق ونسبتها اليهم - وقد أكد الدكتور على ضرورة ايجاد المعاهد التي تعد الباحثين من أجل القيام بهذه المهمة .

وتحذر الدكتور الحمارنة عن أسباب رقيي العلم عند العرب ومقوماته والعوامل التي ينبغي ان تتتوفر لكي تنهض مرحلة علمية جديدة ، في امة سجلت في التاريخ اثارها الحضارية .



الخطي

七

تہذیب:

- ١ - المواد الواردة الى المجلة لا ترد الى أصحابها سواه نشرت او لم تنشر .
 - ٢ - يخضع ترتيب المواد لاعتبارات فنية وطبعية .
 - ٣ - اراء الباحثين ليست ملزمة للمجلة ، والباحث مسؤول عن اقتباساته وبياناته التاريخية والاسمية .

الوزعون

- الجمهورية العربية السورية** : المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات .
- الجمهورية الجزائرية الشعبية الديمقراطية** : الشركة الوطنية للنشر والتوزيع .
- الجمهورية التونسية** : الشركة التونسية للنشر والتوزيع .
- بنية القطران العربية** : المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات .

		سعر العدد	
٨ دراهم	دبي	١٠٠ ق.س.	سورية
٥٠٠ درهم	لليا	٢٠٠ ق.ل.	لبنان
٨٠٠ غلش	تونس	٥٠٠ غلش	الكويت
٨ دراهم	المغرب	٢٠٠ غلش	الأردن
٨ دينار	الجزائر	٨٠٠ غلش	مدن
١٠٠٠ ملليم	السودان	٨ ريالات	قطر
٥٠٠ غلش	المراد	٨٠٠ غلش	البحرين
٦٠٠ مليم	مصر العربية	٨ ريالات	السعودية
٨ دراهم	الطبع العربي	١٠ دراهم	ابو ظبي

صم الملفت : محمود حماد

طبع في مطبعة الكتاب العربي
دمشق - شارع خالد بن الوليد
هاتف : ١١٩٧٢٨